الـــجمهوريـــة الـــجزائـريـــة الـــديمقراطية الـــشعبيـــة
وزارة التعلـيم الـعالي والـبحث الـعلمي
جـــــامعة السانيا - وهران

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
قسم: العلوم الإسلامية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية
تخصص: كتاب وسنّة

الإيمان في القرآن الكريم

حقيقته ، براهينه، وآثاره

من إعداد الطالب
بختاوي عمر

إشراف الأستاذ :
الأخضري لخضر

2007 ـ 2008
1428 ـ 1429

السنة الجامعية

إهداء

إلى والديّ الكريمين أطال الله عمرهما في طاعته وأثابهما في الآخرة بجنّته

إلى شقيقاتي الغاليات

إلى صهريّ الكريمين علال وعمر

إلى حبيبي في الله مداني فتحي و زوجه

إلى من كان له الفضل بعد الله عزّ وجلّ في أن أحظى بشرف أن أكون أحد طلبة العلم شيخي وصديقي ذبّاح بدر الدين

إلى ريحانتي قلبي أميرة وسارة

إلى كل من جمعتني بهم في هذه الدنيا رابطة من قرابة أو صداقة أو أخوّة في الله

شكر

أحمد الله عزّ وجلّ على أن يسّر لي إتمام هذا البحث و أسأله سبحانه أن يجعله خالصا لوجهه الكريم

ثم الشكر موصول لفضيلة الأستاذ المشرف الدكتور **الأخضري لخضر على تفضّله بقبول الإشراف على هذا البحث وعلى ما أسداه إليّ من نصح وتوجيه سائلا الله تعالى أن يبارك في علمه ووقته، و أن يجزل له الأجر و الثواب**

كما وأتقدم بالشكر إلى كل من أعانني على إنجاز هذا البحث بنصيحة أو توجيه أو كتاب

مقدّمة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتمّ علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينا، وصلى الله على رسوله النبيّ الأميّ الذي أرسله ربّه شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فهدى به من الضلالة، وأرشد به من الغواية، واستنقذ الناس به من الظلمات إلى النور.
أمّا بعد:

فلا ريب أنّ الاشتغال بتدبرّ آيات القرآن الكريم، وبذل الجهد لدرك معانيها ودلالاتها يعدّ من أجلّ القربات، ومن أنفس ما تصرف فيه الأعمار والأوقات.
من أجل ذلك اشتدّت عناية العلماء بتفسير آيات القرآن الكريم وكشف معاني ألفاظها ووجوه دلالاتها ما جعل المؤلفات في علم التفسير من أكثر كتب التراث الإسلامي.

ورغم كثرة هذه الكتب إلاّ أنّ القرآن الكريم مازال يشكّل مجالا خصبًا لكثير من البحوث والدراسات، خاصة ما يعنى منها بدراسة آيات القرآن الكريم دراسة موضوعية، إذ من المعلوم أنّ الآيات المقررّة لموضوع من الموضوعات لا ترد مجموعة في سياق واحد، بل هي متفرّقة في سور القرآن الكريم، مجملة في مواضع ومفصلّة في أخرى، و مقيّدة حينا ومطلقة أحيانًا أخرى، ولاشك أنّ جمع ما تفرّق من هذه الآيات هو جمع لجوانب مختلفة من موضوع واحد، ودراستها مجموعة يعطي صورة كاملة عن منهج القرآن الكريم في عرض الموضوع من خلال إبراز ما اهتم به من جوانبه، وما سلك من الطرق والسبل لعرض مضامينه.
ولمّا كانت سعادة المرء في الدارين متوقفة على صحّة إيمانه ورسوخه في قلبه، وكان الإيمان أفضل الأعمال كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم أي الأعمال أفضل؟ فقال: « **إيمان بالله ورسوله**».

ولأنّ الناظر في القرآن الكريم يجده أولى مسألة الإيمان عناية بالغة فبيّنه أتمّ البيان، وأقام عليه أفضل الحجّة وأقوى البرهان، ورغّب فيه ببيان عاقبته وما يؤول إليه من السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة بالجنان.
فقد رغبت في أن أتناول بالبحث أفضل الأعمال الذي هو الإيمان من خلال أفضل الكتب المنزّلة ألا وهو القرآن، فجاء البحث موسومًا بـ: **الإيمان في القرآن الكريم (حقيقته، براهينه، وآثاره)**

أهميّة الموضوع:

لا يماري أحد في أنّ الأمة الإسلامية اليوم تتعرّض لحملة شرسة تستهدف زعزعة إيمانها ، وتشكيكها في أصوله، وإضعاف استمساكها به، وتقوم هذه الحملة على ثلاث أسس:

- **الأوّل** : الحدّ من أثر الإيمان في حياة حامليه بجعله في نظرهم مجرّد تصوّرات واعتقادات لا علاقة لها بدنيا الناس وواقع حياتهم، وحسبها في أحسن الأحوال أن تحمل المؤمن بها على التوجّه لخالقه ببعض شعائر العبادات، وللمرء بعد ذلك أن يؤسّس لحياته على النحو الذي يشاء ويرضى دون أن يقدح ذلك في إيمانه وعقيدته.
- **الثاني** : إثارة الشبهات حول كثير من أصول الإيمان ومحاولة إظهارها في صورة جملة معتقدات عن عالم الغيب لا تتعدّى أن تكون ظنونًا قد تصدق أو تكذب،غاية المرء أن يصدّق بها دون أن يحمله ذلك على الحكم ببطلان ما ينافيها و يناقضها و لو كان تأليها للأحجار و الحيوانات ما دام أنّ جميع المعتقدات و التصوّرات لا تخرج عن كونها أمورا غيبية لا مستند لها من عقل أو حس .
- **الثالث** : محاولة إغراق الأمّة في الشهوات والملذّات من خلال تعريضها لسيل جارف من الفتن والمغريات.

وينبغي الاعتراف أنّ هذه الحملة قد حققت جملة كبيرة من أهدافها إذ غدت دعوة الناس إلى تحكيم شريعة الله والتحاكم إليها في صغير الأمور وكبيرها كما هو مقتضى الإيمان دعوة تثير كثيرًا من النقاش والجدل، ويواجهها كثير من المسلمين بالمعارضة و الإستغراب.

ووجدت كثير من الدعوات المستندة للظنّ والتخرّص مكانًا لها في مجتمعات المسلمين بعد أن كان أصحابها يخجلون من عرض باطلهم في مقابل عقيدة الإسلام المستندة للبرهان واليقين.

وضعف وازع الإيمان عند كثير من المسلمين فغرق وا في مستنقع الفتن والشهوات.

وضاعف من آثار هذه الحملة المدمّرة أنّ أغلب ما تحويه مكتبة التراث الإسلامي من المؤلفات في هذا المجال كتبت في ظل ظروف كانت تعيشها الأمة تختلف تمامًا عن ظروفها اليوم، وقصد مؤلفوها من وراءها تحقيق أهداف وغايات لم تعد اليوم من صلب الإهتمام والأولويات.

لهذا كلّه أضحت الحاجة ماسّة إلى وجود مؤلفات تعنى بترسيخ الإيمان في النفوس :

- ببيان حقيقته فلا يعتريها تشويه أو تحريف.
- وتجلية براهينه فيستيقن حاملوه بصحتها و قطعيتها.
- والتعريف بالمزايا والآثار التي تترتب على التمسك بحبله فلا تؤثّر في حامليه الفتن و المغريات.

وما هذا البحث إلاّ محاولة متواضعة في هذا المجال أحاول من خلالها دراسة موضوع الإيمان من خلال ما جاء به القرآن الكريم الذي وصفه الله تعالى بأنّه كتاب دعوة إلى الإيمان فقال سبحانه على لسان عباده المصطفين :(رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّا) [آل عمران: 193] ، قال محمد بن كعب القرظي : المنادي هو القرآن .

و قوّى عزمي على تناول هذا الموضوع ما وقفت عليه من كتابات لبعض العلماء المعاصرين تحثّ على العناية بتناول هذا الموضوع ، وعرضه بطريقة سهلة مسيرة على وفق ما جاء به القرآن الكريم كالشيخ علي الطنطاوي في كتابه تعريف عام بدين الإسلام ص 10 وما بعدها، والشيخ عمر سليمان الأشقر في كتابه العقيدة في الله ص 64.

إشكالية البحث :

أحاول من خلال محاور هذا البحث الإجابة على جملة من الإشكالات:

فالمحور الأوّل : لبيان حقيقة الإيمان الذي جاء القرآن الكريم بالدعوة إليه، هل هو مجرّد اعتقادات قلبية يصدّق بها الإنسان فيصحّ بها إيمانه؟ أم أنّه يستلزم ظهور أثره في حياة المؤمن؟ وهل هذا الأثر قاصر على شعائر العبادات أم أنّه منهج متكامل لتنظيم جميع جوانب الحياة؟

والمحور الثاني: لبيان البراهين التي سيقت في القرآن الكريم لإثبات صحة ما دعا إليه من الإيمان، هل هي من القطع بحيث لا يتطرق إليها احتمال شك أو نقض؟ وهل هي صالحة اليوم لتقام بها الحجة على الناس في عصر يؤلّه العقل ولا يحتكم إلاّ للمشاهد والملموس؟

والمحور الثالث: لبيان ما ذكر في القرآن الكريم من الآثار المترتبة على الإيمان وهل هي قاصرة على الآخرة فقط؟ أم أنها أيضًا تمتد لتشمل الحياة الدنيا؟

الدراسات السابقة في الموضوع :

لم أقف على دراسة موضوعية شاملة للإيمان في القرآن الكريم، وغاية ما وقفت عليه كتابان تناولا عرض البراهين الواردة في القرآن الكريم الذي هو المحور الثاني لبحثي هذا:

الكتاب الأوّل : الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد لمؤلّفه سعود بن عبد العزيز العريفي وهو عبارة عن رسالة علمية نال بها درجة الماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة قسم العقيدة.

الكتاب الثاني : الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية لمؤلّفه عبد الكريم نوفان عبيدات وهو عبارة عن رسالة علمية نال بها درجة الدكتوراه من جامعة أم دورمان الإسلامية بالسودان قسم العقيدة أيضا.

- منهجي في البحث :

اعتمدت في بحثي على المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي الذي يقوم على استقراء الجزئيات و تحليلها ليصل من ذلك إلى الاستنتاج و الترجيح .

و قد حرصت عند كتابة البحث على الالتزام بالقواعد المتعارف عليها في كتابة الرسائل العلمية من خلال:

1- عرض المادة العلمية بتقسيمها إلى فصول ومباحث ومطالب.

2- الإلتزام- ما أمكن-بالموضوعية في الطرح والمنهجية العلمية عند الترجيح بين الأقوال المختلفة.

3- عزو الآيات المنقولة بذكر الرقم واسم السورة بعد ذكرها في المتن مباشرة تجنّبا لكثرة الهوامش.

4- خرّجت الأحاديث النبوية الواردة في البحث تخريجا علميا بذكر مصادرها من كتب الحديث متبوعة بالباب و الجزء و الصفحة و رقم الحديث إن وجد، و أتبعت ذلك بما تيسر لي الوقوف عليه من أقوال العلماء في سند الحديث إن لم يكن في الصحيحين.

5- ترجمت في آخر البحث للأعلام الذين ورد ذكرهم مرتبًا لهم على حروف المعجم بحسب أسمائهم المذكورة في البحث.

6- اكتفيت عند الإحالة إلى المصدر في الهامش بذكر أسماء المصادر مختصرة، وأوردتها في آخر البحث بعناوينها الكاملة مع ذكر اسم المطبعة وسنة و رقم الطبعة إن وجدا، وترتيبها على حروف المعجم بحسب أسمائها المختصرة الواردة في البحث.

8- الكلام المنقول بنصّه منسوبا لقائله أضعه بين مزدوجين هكذا « » و ما كان منقولا بالمعنى أو متصرّفا فيه صدّرته في الهامش بقولي: ينظر.

9- ذيلت البحث بفهارس عامة.

الصعوبات التي واجهتني في البحث:

لا يخلو أي بحث من صعوبات وعقبات تواجه الباحث، ولعلّ أهم ما لقيت من صعوبات:

1- طول البحث وتشعب مسائله ممّا صعب جدًا التحكم فيه.

2- الخلاف الكبير الذي وقع حول مسألة حقيقة الإيمان بين مختلف طوائف الأمة منذ صدر الإسلام، والذي انعكس على كتب التفسير ممّا استدعى مراجعة كثير من كتب العقيدة للوقوف على أصل الخلاف في المسألة.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول تعقبها خاتمة فجاء على النحو التالي:

مقدمة: ضمنتها التعريف بالموضوع و بيان أهميته والمنهج المتّبع فيه:

الفصل الأول : لبيان حقيقة الإيمان في القرآن الكريم ويتضمن ثلاث مباحث:

المبحث الأوّل : مسمى الإيمان في اللغة وفي القرآن الكريم.

المبحث الثاني : أركان الإيمان في القرآن الكريم.

المبحث الثالث :معالم مهمة لحقيقة الإيمان في القرآن الكريم.

الفصل الثاني : براهين الإيمان في القرآن الكريم و يتضمّن ثلاث مباحث :

المبحث الأول : براهين الإيمان بالله تعالى

المبحث الثاني : براهين الإيمان باليوم الآخر

المبحث الثالث : براهين الإيمان بنبوّة محمد عليه الصلاة و السلام

الفصل الثالث : آثار الإيمان في القرآن الكريم و يتضمن مبحثين :

المبحث الأول : الآثار الدنيوية للإيمان في القرآن الكريم

المبحث الثاني : الآثار الأخروية للإيمان في القرآن الكريم

الخاتمة : لخّصت فيها أهم ما توصّل إليه البحث

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم وأن يرشدني فيه للحق والصواب إنّه سميع مجيب.

الفصل الأول
حقيقة الإيمان
في
القرآن الكريم

من خلال استقرائي لآيات القرآن الكريم ظهر لي أنّ بيان حقيقة الإيمان في القرآن الكريم يمكن أن يتم من خلال ثلاثة مباحث.

المبحث الأوّل : مسمى الإيمان في اللغة وفي القرآن الكريم: أحاول من خلاله بيان الدلالة اللفظية للإيمان، ذلك أنّ هذه الدلالة تختلف بحسب سياق الآيات التي ترد فيها وتجلية هذه الدلالة يزيل كثيرا من اللبس الذي اعترى هذه المسألة.

المبحث الثاني : أركان الإيمان في القرآن الكريم: أتناول فيه بيان أركان الإيمان التي لا يتصور وجوده عند انعدام أحدها.

المبحث الثالث :معالم مهمة لحقيقة الإيمان في القرآن الكريم: خصصته لمجموعة من المسائل التي ظهر لي أنّه لا يمكن بيان حقيقة الإيمان مع إغفالها .

المبحث الأول
مسمى الإيمان
في اللغة وفي
القرآن الكريم

أولا : مسمّى الإيمان في اللّغة

يأتي الإيمان في اللّغة على عدة معان [1] :
أظهرها: <u>التصديق</u> وضده التكذيب، يقال آمن به قوم وكذّب به قوم.

- قال الله تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام أنّهم قالوا لأبيهم: (وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾) [يوسف: 17].

أي ما أنت بمصدّق لنا [2] .

- وقال سبحانه في وصف نبيّه محمد صلى الله عليه و سلم:(يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ)[التوبة : 61].

أي ويصدّق المؤمنين[3] .

ثانيا : <u>الأمن</u> : تقول استأمنني فلان فآمنته أومنه إيمانا.
ومنه اسم الله تبارك وتعالى المؤمن أي الذي أمّن عباده أن يظلمهم[4].
ومنه أيضا قوله تعالى :(وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفٖ ﴿٤﴾) [قريش : 4].

ثالثا : <u>الثقة</u> : يقول المسافر : ما آمنت أن أجد صحابة أي ما وثقت أن أظفر بمن أرافقه.

وذهب بعض العلماء إلى الجمع بين هذه المعاني :
فقال الزمخشري :÷ الإيمان إفعال من الأمن، يقال أمنته وآمنته غيري، ثم يقال آمنه إذا صدّقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة ×[5].
وقال الراغب : ÷ الإيمان هو التصديق الذي معه أمن، وقوله تعالى :(يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ) [النساء : 51] ، على سبيل الذمّ لهم، وأنّه قد حصل لهم الأمن بما لا يقع به الأمن إذ ليس من شأن القلب- ما لم يكن مطبوعا عليه- أن يطمئن إلى الباطل ×[6].

1- ينظر مادة أمن في لسان العرب لإبن منظور 113/1 القاموس المحيط للفيروز أبادي 199/4 معجم مقاييس اللّغة لابن فارس 133/1 أساس البلاغة للزمخشري ص 20.
2- ينظر تفسير الطبري159/7.
3- ينظر تفسير القرطبي 122/8 تفسير إبن كثير415/3.
4- ينظر تفسير الطبري 52/12.
5- الكشاف للزمخشري47/1.
1- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص .36

وقال ابن تيمية : ÷ إنّ كلّ مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له صدقت كما يقال كذبت، فمن قال: السماء فوقنا قيل له صدق كما يقال كذب، أمّا لفظ الإيمان فيستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر كالأمر الغائب،والاثنان إذا اشتركا في معرفة الشيء يقال : صدّق أحدهما صاحبه ولا يقال آمن له لأنّه لم يكن غائبا عنه ائتمنه عليه، فلفظ الإيمان متضمن معنى التصديق ومعنى الائتمان والأمانة ولهذا قال إخوة يوسف: (وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾) [يوسف : 17].

أي لا تقرّ بخبرنا ولا تثق به ولا تطمئن إليه ولو كنّا صادقين لأنّهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك×[1].

ثانيا : مسمّى الإيمان في القرآن الكريم.

تكرّر لفظ الإيمان بمختلف اشتقاقاته في القرآن الكريم أزيد من ثمان مئة مرّة، منها ما أريد به المعنى اللغوي الذي سبق بيانه كما في قوله تعالى:(وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ)[التوبة: 61].

وقوله سبحانه: (وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴿٤﴾) [قريش : 4].

ومنها – وهو الأغلب -ما أريد به المعنى الشرعي وهو المقصود بالبيان هنا فأقول :

بتتبّع آي القرآن الكريم نجد أنّ لفظ الإيمان - وما اشتق منه – قد يرد مطلقا وقد يرد مقترنا بغيره كالإسلام والتقوى والعمل الصالح.

أ- ورود لفظ الإيمان مطلقا : وفي هذه الحال يراد به أحد معنيين:

- معنى عام : يشمل الدين كلّه اعتقادا وقولا وعملا .
- معنى خاص: يشمل أصل الدين وهو القدر الذي يخلص به من الكفر ويتحقق به الانتساب لأمّة الإسلام.

1– ورود الإيمان بالمعنى العام : الإيمان بهذا المعنى اسم جامع لكلّ ما أوجبه الله تعالى من الاعتقادات والأقوال والأعمال.

ويرد ذكره بهذا المعنى مدحا له، وترغيبا فيه، وامتنانا من الله تعالى به على عباده المؤمنين، وبيان ذلك في الآيات التالية:

2- كتاب الإيمان لإبن تيمية ص 228 .

1- قال الله تعالى عن عباده المؤمنين: (رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ) [آل عمران : 193].

فالإيمان في هذه الآية شامل لكلّ ما دعا إليه الله تعالى ورغّب فيه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.
قال الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية :÷ يدعو إلى الإيمان : أي إلى التصديق بك والإقرار بوحدانيتك،وإتباع رسولك وطاعته فيما أمرنا به ونهانا عنه ممّا جاء به من عندك×[1].

2- قال الله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ) [الشورى : 52].

والمقصود بالإيمان هنا شرائع الدين ومعالمه جميعها [2] ، لا أصل الإيمان الذي هو بمقابل الكفر، إذ لو كان كذلك لكان مخالفا للإجماع الواقع على ثبوت العصمة من الكفر للنبيّ صلى الله عليه و سلم قبل بعثته [3] حيث كان يبغض الأصنام ، ولا يأكل ما ذبح على النصب، ويحج ويتعبد لربّه في غار حراء قبل أن يوحى إليه[4]:
و عن علي كرم الله وجهه قال : « قيل للنبيّ صلى الله عليه و سلم : هل عبدت وثنا قطّ؟ قال : لا. قيل : فهل شربت خمرا قطّ ؟ قال : لا وما زلت أعرف أنّ الذي هم عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان»[5].
ويزيد في تأكيد القول بأنّ الإيمان هنا شامل لجميع شرائع الدين ورود الآية في سياق الامتنان من الله تعالى[6] ، والمنّة ثابتة له سبحانه في كلّ ما شرعه من الدين صغيره وكبيره، ودقّه وجلّه إذ الشريعة رحمة كلّها و خير كلّها ومصلحة كلّها.

3- قال الله تعالى:(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧) [الحجرات: 7].

والإيمان مراد هنا أيضا بمعناه العام الجامع لشرائع الدين.

1- تفسير الطبري 3/.553
2- ينظر معالم التنزيل للبغوي 118/4، زاد المسير لإبن الجوزي 88/7.
3- التفسير الكبير للرازي 169/27التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور153./25
4- ينظر دلائل النبوة للبيهقي 312/1، السيرة النبوية لإبن كثير 250./1
5- ذكره السيوطي في الدر المنثور 182/13 و نسبه لابن عساكر ولأبي نعيم في الدلائل ولم أقف عليه فيه .
1- نصّ على أنّ الآية في مقام الامتنان الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير 152/25 .

قال الطاهر بن عاشور :÷ الإيمان هنا مراد منه أحكام الإسلام، وليس مرادا منه الإعتقاد فإنّ اسم الإسلام واسم الإيمان يتوردان، أي حبّب إليكم الدين الذي جاء به الرسول الله صلى الله عليه و سلم ×[1].
ويؤيد هذا الذي ذكره رحمه الله أمران :
الأوّل : ورود الآية في سياق الامتنان فناسب أن يكون الإيمان بمعناه العام.
الثاني : جعل الإيمان بمقابل ثلاثة أمور هي الكفر والفسوق والعصيان.

قال الرازي : ÷ الكفر والفسوق والعصيان أمور ثلاثة في مقابلة الإيمان الكامل لأنّ الإيمان الكامل المزيّن هو أن يجمع التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان ×[2].
وقال محمد بن نصر المروزي :÷ لمّا كانت المعاصي بعضها كفر وبعضها ليس بكفر فرّق بينها فجعلها ثلاثة أنواع : نوع منها كفر، ونوع منها فسوق وليس بكفر، ونوع منها عصيان وليس بكفر ولا فسوق، وأخبر أنه كرهّها كلّها إلى المؤمنين.

ولمّا كانت الطاعات كلّها داخلة في الإيمان، وليس فيها شيء خارج عنه، لم يفرّق بينها بل أجمل ذلك فقال: (حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ) [الحجرات : 7].فدخل في ذلك جميع الطاعات ×[3].

وكما أنّ الإيمان في سياق المدح شامل لجميع ما أمر الله به من الاعتقادات والأقوال والأعمال، فإنّ أهله المتصفين به الذين ورد في القرآن مدحهم والثّناء عليهم هم القائمون بجميع ما أمرهم الله به ظاهرا وباطنا، المنتهون عمّا نهاهم عنه ظاهرا وباطنا، ويدلّ على ذلك نوعان من الآيات :

النوع الأوّل : الآيات الواردة في وعد المؤمنين بالجنّة.
النوع الثاني : الآيات الواردة في وصف المؤمنين.
فمن آيات الوعد:

1- قوله تعالى : (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾) [التوبة : 72].

2- المصدر السابق 26/.236
3- التفسير الكبير للرازي28/.113
4- تعظيم قدر الصلاة للمروزي ص .234

والله إنّما وعد بالجنّة من أطاعه فيما أمر به ونهى عنه، لا من ترك أوامره وارتكب نواهيه إذ مثل هذا يستحق الذمّ والعقاب ، لا المدح والثواب.
ولو استوى أهل طاعة الله وأهل معصيته في كونهم مشمولين بلفظ المؤمنين الموعودين بالجنّة بلا عذاب لكان هذا إبطالا للتكليف من أساسه[1] .

2- قال تعالى:(وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ)[يونس:2].

قال الرازي : ÷ البشارة هنا لأهل الطاعة ×[2].

ويؤيده ما ذكر في تفسير " قَدَمَ صِدۡقٍ " حيث قال ابن عباس : ÷ أجرا حسنا بما قدّموا من أعمالهم ×[3] .

وقال مجاهد : ÷ صلاتهم وصومهم وتسبيحهم وصدقتهم ×[4].

وإنّما كانت آيات الوعد بالجنّة خاصة بأهل الطاعة لأنّ المضيّعين لأوامر الله تعالى المتعدين لحدوده المتوعدين بمثل قوله سبحانه: (فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥) [الماعون:4-5]، وبمثل قوله سبحانه:(وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣٤) [التوبة : 34] وبمثل قوله سبحانه:(وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١) [القارعة:8-11]، لا يتصوّر دخولهم في فئة المؤمنين الذين قال الله فيهم:(وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ)[يونس: 2] وقال فيهم: (وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ۝٤٧)[الأحزاب :47]. وقال فيهم: (يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢) [الحديد:12].

1- ثبت بأدلة كثيرة أن أصحاب الذنوب يعذبون في النار بقدر ذنوبهم ثم يدخلون الجنة كما سيأتي في الفصل الثالث ، لكن ذلك مستفاد من أدلة أخرى و ليس من مثل هذه الأيات التي تتضمن الوعد المطلق بالجنة .

2- التفسير الكبير للرازي 7./17

3- ينظر تفسير الطبري 528./6

4- المصدر نفسه.

إذ في دخولهم في مثل هذا الخطاب تناقض ينزّه عنه كلام الله جلّ وعلا.

أمّا الآيات الواردة في وصف المؤمنين فهي تدلّ كلّها على أنّ المؤمنين المستحقين لوصف الإيمان هم القائمون بأوامر الله المنتهون عن نواهيه[1]:

3- قال تعالى:(وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾) [التوبة: 71].

قال الرازي :÷ ذكر الله تعالى في هذه الآية كون المؤمنين موصوفين بصفات الخير وأعمال البر على ضد صفات المنافقين، فذكر هذه الأمور الخمسة التي يتميّز بها المؤمن عن المنافق، فالمنافق على ما وصفه الله تعالى في الآية المتقدّمة [2] يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف والمؤمن بالضدّ منه، والمنافق لا يقوم إلى الصلاة إلاّ مع نوع من الكسل والمؤمن بالضدّ منه، والمنافق يبخل بالزكاة وسائر الواجبات كما قال تعالى:(وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ)[التوبة :61]

،والمؤمنون يؤتون الزكاة، والمنافق إذا أمره الله ورسوله صلى الله عليه و سلم بالمسارعة إلى الجهاد فإنّه يتخلّف بنفسه ويثبط غيره والمؤمن بالضدّ منه وهو المراد بقوله تعالى:(وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ) [التوبة :71] ×[3].

4- قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾

1- ليس معنى ذلك أنهم معصومون من الذنوب، لكن حالهم عند ارتكاب الذنب وبعده يختلف عن حال غيرهم وسيأتي مزيد بيان لهذا المعنى في المبحث الثاني بإذن الله.

1- يشير إلى قوله تعالى: (ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾)[التوبة :67].

2- التفسير الكبير للرازي 114./16

وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١) [المؤمنون:1-11].

قال الطبري : ÷يعني جلّ ثناؤه بقوله " قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ " قد أدرك الذين صدّقوا الله ورسوله ρ وأقروا بما جاءهم من عند الله وعملوا بما دعاهم إليه ممّا سمّى في هذه الآيات الخلود في جنّات ربهم وفازوا بطلبتهم لديه ×[1].

وأبلغ ممّا سبق ذكره في وصف المؤمنين ورود التصريح في بعض الآيات بحصر اسم الإيمان في المطيعين لأوامر ربهم ونواهيه دون غيرهم :

• قال تعالى: (إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤) [الأنفال : 2- 4].

فأفادت صيغة الحصر في الآية أنّ المستحقين لوصف الإيمان هم المستجمعون لهذه الصفات المذكورة دون غيرهم، وأوّل هذه الصفات وجل القلوب عند ذكر الله والذي يدلّ على فعل الواجبات واجتناب المحرّمات إذ الوجل هو الخوف[2] ومنه قوله تعالى:(وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠) [المؤمنون:60].

قالت عائشة رضي الله عنها : « يا رسول الله " يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ " هو الرجل يزني ويسرق ويخاف أن يعاقب ؟ قال لا يا بنت الصديق هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدّق ويخاف ألاّ يقبل منه »[3] .

قال السدّي في قوله تعالى (إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ)[الأنفال : 2] : ÷ هو الرجل يريد أن يظلم أو يهمّ بمعصية فينزع عنه ×[4].

3- تفسير الطبري 9/.196

1- ينظر التفسير الكبير للرازي 15/.97

2- سنن الترمذي **كتاب** تفسير القرآن **باب** ومن سورة المؤمنون 306/5 رقم 3175 وصححه الألباني كما في صحيح الترميذي 287/3 رقم .3175

3- ينظر تفسير الطبري 6/.178

وإذا كان وجل القلب من ذكر الله يتضمن خشيته سبحانه ومخافته كان ذلك داعيا صاحبه إلى فعل المأمور وترك المحظور.
ومثل آيات الأنفال قوله سبحانه في سورة الحجرات :(إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥) [الحجرات : 15].

قال الشوكاني في تفسيرها :÷ " إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ" يعني إيمانا صحيحا خالصا عن مواطأة القلب واللسان.
" ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ " أي لم يدخل قلوبهم شيء من الريب ولا خالطهم شك من الشكوك. "وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ " أي في طاعته وابتغاء مرضاته،ويدخل في الجهاد الأعمال الصالحة التي أمر الله بها، فإنّها من جملة ما يجاهد به المرء نفسه حتى يقوم به ويؤديه كما أمر الله سبحانه ×[1].
ولمّا كان الإجماع حاصلا على أنّ من لم يستجمع الصفات المذكورة في الآيتين لا يعدّ كافرا ؛ دلّ ذلك على أنّ الإيمان المقصود نفيه عن غير المتصفين بهذه الصفات المذكورة هو الإيمان الكامل[2] .
ونفي هذا الإيمان الكامل عن فئة من الداخلين في دين الإسلام مع عدم تكفيرهم يقتضي أنّ المتصفين بالإيمان الكامل هم فئة خاصة من المؤمنين لا كلّ المؤمنين، إذ ليس كل من دخل في دين الإسلام يفعل كلّ ما أمره الله به وينتهي عن كلّ ما نهاه عنه.
وإذا كان كذلك، فإنّ العموم في الإيمان بالمعنى العام إنّما هو في ذاته أمّا بالنظر إلى أصحابه المتصفين به فخاص.
أي أنّه عام بالنظر إلى شموله جميع ما شرعه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا، لكنّه خاص باعتبار المتصفين به فئة خاصة من الداخلين في دين الإسلام لا كلّهم.

2- ورود الإيمان بالمعنى الخاص : والإيمان بهذا المعنى يراد به أصل الدين، وهو القدر الذي يخلص صاحبه من الكفر، ويدخله في عداد المنتمين لدين الإسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه و سلم.

ويرد الإيمان بهذا المعنى في القرآن الكريم في أحد سياقات ثلاث:
السياق الأوّل : أن يأتي في مقابل الكفر.

1- فتح القدير الشوكاني 68/5 وينظر التفسير الكبير للرازي 130/28 وتفسير ابن كثير 391./6
2- ينظر تفسير النسفي 119/2و التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 255./9

• كما في قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾) [التوبة:23].

والمراد بالإيمان هنا التصديق والإقرار الذي هو في مقابل الكفر.

قال الطبري: ÷ معنى قوله تعالى " إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِ " أي إن اختاروا الكفر بالله على التصديق به والإقرار بتوحيده ×[1].

• وقال تعالى : (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ﴿١٠﴾) [غافر:10].

يقول تعالى مخبرا عن الكفار أنّهم إذا دخلوا النار يوم القيامة وعاينوا من عذاب الله ما لا قبل لأحد به ، مقتوا أنفسهم وأبغضوها غاية البغض بسبب ما أسلفوا من الأعمال التي كانت سبب دخولهم النار، فتناديهم الملائكة أنّ مقت الله لكم في الدنيا إذ كان الإيمان يعرض عليكم فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر ، أشد من مقتكم اليوم أنفسكم[2] .

فظاهر أنّ الآية في الكفّار، وعليه فإنّ الإيمان المقصود في الآية هو الإيمان بمعناه الخاص الذي هو الإقرار بواحدنية الله تعالى ونبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم لا الإيمان بالمعنى العام المتضمن جميع ما شرعه الله من الإعتقادات والأقوال والأعمال، لأنّ الكافر إنّما يدعى إلى أصل الإيمان الذي يتحوّل به عن الكفر، فإذا أقرّ به عرضت عليه بقيّة شرائع الإيمان، فعن ابن عباس :« أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم لمّا بعث معاذا إلى اليمن قال : إنّك تأتي قوما من أهل الكتاب، فليكن أوّل ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلاّ الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترّد على فقرائهم»[3] .

السياق الثاني : أن يذكر الإيمان كشرط لقبول الأعمال

كما في قوله تعالى: (وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾) [النساء:124].

1- تفسير الطبري 6/.338

2- ينظر تفسير الطبري 11/ 43 و المحرر الوجيز لإبن عطية 13/13.

3- البخاري **كتاب** الزكاة 427/2 رقم 1395 مسلم **كتاب** الإيمان **باب** الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام 55/1 رقم 19.

قال الطبري :÷ أي إنّما يدخل الجنّة وينعم فيها في الآخرة من يعمل من الصالحات من ذكور عبادي وإناثهم وهو مؤمن بي وبرسولي صلى الله عليه و سلم ، مصدّق بوحدانيتي وبنبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم وما جاء به من عندي ×. [1]

• ومن ذلك قوله تعالى:(مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾) [النحل:97].

• وقوله سبحانه : (وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾) [الإسراء:19].

فالمراد بلفظ المؤمن في مثل هذه الآيات من زال عنه اسم الكفر بدخوله في دين الإسلام، لأنّ الكفار هم الذين لا تقبل منهم أعمالهم ولا ينتفعون بثوابها كما قال تعالى: (مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾) [إبراهيم:18].

قال ابن الجوزي :÷ أي أنّ كلّ ما يتقرّب به المشركون يحبط ولا ينتفعون به كالرمّاد الذي سفّته الريح فلا يقدر على شيء منه، فهم لا يقدرون ممّا كسبوا في الدنيا على شيء في الآخرة، أي لا يجدون ثوابه×[2].

وقال سبحانه:(وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾) [النور:39].

قال القرطبي :÷ هذا مثل ضربه الله تعالى للكفار، يعوّلون على ثواب أعمالهم، فإذا قدموا على الله تعالى وجدوا ثواب أعمالهم محبطا بالكفر أي لم يجدوا شيئا كما لم يجد صاحب السراب إلاّ أرضا لا ماء فيها× [3].

وهذا الإيمان المشترط لقبول الأعمال هو ما يعبّر عنه الفقهاء " **بالإسلام** " عند ذكرهم شروط قبول وصحة العبادات من صلاة وصيام وحج ونحوها.

السياق الثالث : سياق تقرير الأحكام الظاهرة

• كقوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ) [النساء:92] .

1- تفسير الطبري 4/.295

2- زاد المسير لإبن الجوزي 206/4 وينظر معالم التنزيل البغوي 24/3.

3- تفسير القرطبي 186/12 وينظر تفسير ابن كثير 112/5.

فالمؤمن الذي يحرم قتله هو كلّ من أقر في الظاهر بوحدانية الله تعالى ونبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم وأعلن الدخول في دين الإسلام.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:**« أمرت أن أقاتل النّاس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله ».**[1]

وعن أسامة بن زيد قال : **« بعثنا رسول الله** صلى الله عليه و سلم **في سرية، فصبّحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلا فقال :لا إله إلاّ الله فطعنته. فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي** صلى الله عليه و سلم **فقال : أقال لا إله إلاّ الله وقتلته ؟ قال:قلت : يا رسول لله إنّما قالها خوفا من السلاح فقال** صلى الله عليه و سلم **: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا.فما زال يكرّرها علي حتى تمنيّت أنّي أسلمت يومئذ»** [2].

وكذلك وصف الإيمان في قوله تعالى " **فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ** " يراد به أصل الإيمان أي أنّه لو أعتق كافرا لم يجزئه، فعن معاوية بن الحكم السلمي قال : **« كانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد والجوّانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكنّي صككتها صكّة فأتيت رسول الله** صلى الله عليه و سلم **فعظّم ذلك عليّ : قلت : يارسول الله أفلا أعتقها ؟ قال** صلى الله عليه و سلم **: ائتني بها. فأتيته بها فقال لها : أين الله ؟ قالت : في السماء، قال من أنا؟ قالت أنت رسول الله. فقال** صلى الله عليه و سلم **أعتقها فإنّها مؤمنة »**[3] .

فلم يشترط صلى الله عليه و سلم في صحّة عتقها إلاّ هذا الإيمان الظاهر الذي يزول به عنها اسم الكفر.

- وقال الله تعالى :(**وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ**) [البقرة :221].

قال الطبري :÷ أي حتى يصدّقن بالله ورسوله وما أنزل عليه×.[4]

- وقال الله تعالى: (**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ**) [الممتنحة:10].

1- مسلم **كتاب** الإيمان **باب** الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله 57/1 رقم .21

2- مسلم **كتاب** الإيمان **باب** تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله 92/1رقم 96.

3- مسلم **كتاب** المساجد و مواضع الصلاة **باب** تحريم الكلام في الصلاة 318/1 رقم 537.

4- تفسير الطبري 2/.390

قال الرازي : ÷ إعلم أنّه تعالى سمّاهن مؤمنات لصدور ما يقتضي الإيمان وهو كلمة الشهادة منهن ولم يظهر منهنّ ما هو المنافي له، وقوله " فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ" يراد به العلم الذي هو عبارة عن الظنّ الغالب والله يتولّى السرائر×[1].

فالوصف بالإيمان في هذه الآيات وفي مثلها من آيات تقرير الأحكام الظاهرة:

- كقول الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى) [البقرة:178].
- وقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣) [البقرة:183].
- وقوله تعالى: (لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ) [آل عمران:28].
- وقوله سبحانه: (وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ) [المائدة:5].

أقول : الوصف بالإيمان هنا شامل لكل من أظهر الدخول في دين الإسلام ولو كان ممن يفرّط في الواجبات ويرتكب الكبائر من الذنوب، بل إنّ الخطاب في مثل هذه الآيات شامل من حيث جريان الأحكام في الدنيا حتى للمنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر مع أنّهم في الآخرة في الدرك الأسفل من النّار.

يقول ابن تيمية:÷ إنّ الله تعالى لمّا أمر في الكفّارة بعتق رقبة مؤمنة لم يكن على النّاس ألاّ يعتقوا إلاّ من يعلمون أنّ الإيمان في قلبه، فهم لم يؤمروا أن ينقّبوا عن قلوب النّاس ولا أن يشقوا بطونهم، فإذا رأوا رجلا يظهر الإيمان جاز لهم عتقه، وصاحب الجارية لمّا سأل النبيّ صلى الله عليه و سلم هل هي مؤمنة ؟ إنّما أراد الإيمان الظاهر الذي يفرّق به بين المؤمن والكافر، وكذلك من عليه نذر لم يلزمه أن يعتق إلاّ من علم أنّ الإيمان في قلبه ، فإنّه لا يعلم ذلك مطلقا ، بل ولا أحد من الخلق يعلم ذلك ، وهذا رسول الله صلى الله عليه و سلم أعلم الخلق والله يقول له : (وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ) [التوبة:101].

1- التفسير الكبير للرازي 289/29.

والمنافقون الذين قال الله فيهم: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَاهُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾) [البقرة:8] ،هم في الظاهر مؤمنون يصلون مع الناس ويحجون ويغزون، والمسلمون يناكحونهم و يوارثونهم، ولم يحكم النبي صلى الله عليه و سلم في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر لا في مناكحتهم ،ولا موراثتهم ، ولا نحو ذلك، وحكمه في دماء المنافقين وأموالهم كحكم غيرهم لا يستحل منها شيئا إلاّ بأمر ظاهر مع أنّه كان يعلم نفاق كثير منهم.

وكان المنافقون الذين لم يظهروا نفاقهم يصلى عليهم إذا ماتوا ويدفنون في مقابر المسلمين، ولم يكن للمنافقين مقبرة يتميّزون بها عن المسلمين كما تكون لليهود والنصارى مقبرة يتميّزون بها، ومن دفن في مقابر المسلمين صلّى عليه المسلمون، ولمّا كانت الصلاة لا تجوز على من علم نفاقه بنصّ القرآن[1] علم أنّ ذلك بحسب الظاهر والله يتولّى السرائر×[2].

وبهذا يظهر أنّه وبعكس الإيمان بالمعنى العام فإنّ الإيمان بالمعنى الخاص هو خاص في ذاته عام في أصحابه،خاص باعتباره يشكّل جزءا من الدين لا كلّ الدين، وعام باعتباره شاملا لكلّ من أظهر الدخول في دين الإسلام.

ب- ورود لفظ الإيمان مقترنا بغيره : إذا اقترن لفظ الإيمان بغيره كالإسلام و التقوى و العمل الصالح فإنّ المراد منه يكون محتملا للمعنيين: المعنى العام والمعنى الخاص.

و من ذلك:

- قوله تعالى:(إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ) [الأحزاب :35]. • وقوله سبحانه حكاية عن الحواريين :(ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾) [آل عمران :52].
- وقوله تعالى:(ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾) [الرعد:29].
- وقوله تعالى:(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ)[يونس: 9].

1- يشير إلى قوله تعالى: {وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ } [التوبة:84].

2- كتاب الإيمان لإبن تيمية ص166 ومابعدها.

• وقوله تعالى : (وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٣﴾)[البقرة:103].

• وقوله تعالى: (وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٧٩﴾) [آل عمران:179].

ففي مثل هذه الآيات :

- إمّا أن يكون المراد من الإيمان المعنى الخاص فيكون معنى قوله تعالى: (قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾) [البقرة:136].

أي صدّقنا بالله وما أنزل إلينا ونحن له مسلمون : أي خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية[1].

ومعنى قوله تعالى:(وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ) [البقرة : 25] .

أي وبشّر من صدّقك أنّك رسولي وأنّ ما جئت به من النور والهدى من عندي وحقق إيمانه بأداء الصالح من الأعمال التي افترضتها عليه أنّ له جنّات تجري من تحتها الأنهار[2] .

ومعنى قوله تعالى:(ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾) [يونس :63].

أي الذين صدّقوا بالله ورسوله صلى الله عليه و سلم وما جاء به من عند الله وكانوا يتقون الله بأداء فرائضه واجتناب نواهيه[3].

وفي هذه الحال يكون ما اقترن بالإيمان مغايرا له، مع أنّ كلا منهما يتناول الآخر عند التجرّد عن الاقتران، فالمؤمنون في مثل قوله تعالى:(وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا) [التوبة:72]، هم المسلمون ، وهم الذين يعملون الصالحات، وهم المتقون كما أنّ **المسلمين** في

1- ينظر تفسير الطبري 618/1 وسيأتي مزيد تفصيل لدلالة اقتران الإيمان بالإسلام ص 22 من هذا البحث .

2- ينظر المصدر السابق 204/1.

3- ينظر المصدر السابق 576/6.

مثل قوله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾) [النحل:89] مرادف للمؤمنين.

ومثل ذلك يقال في لفظ **الصالحين** في قوله تعالى:(وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾)[الأعراف:196].

ولفظ **المتقين** في مثل قوله تعالى: (وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾) [آل عمران:133].

لكن تختلف دلالة هذه الأسماء عند مجيئها مطلقة عن دلالتها عند اقترانها بغيرها[1] ومثل هذا في القرآن كثير:

فلفظ البرّ مثلا إذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به كما في قوله تعالى:(لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾) [البقرة :177].

وقوله تعالى: (وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ) [البقرة :189].

فالبرّ إذا أطلق كان مسّماه مسمّى التقوى ، والتقوى إذا أطلقت كان مسماها مسمّى البرّ، ثم قد يقرن بينهما كما في قوله تعالى: (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ) [المائدة:2].

وكذلك لفظ الذنوب إذا أطلق دخل فيه ترك كلّ واجب وفعل كلّ محرّم كما في قوله تعالى: (قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ

1- تنظر هذه المسألة في كتاب الإيمان لإبن تيمية ص131 ومابعدها، وجامع العلوم والحكم لإبن رجب ص37.

جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾) [الزمر :53] .

ثم قد يقرن بغيره كما في قوله:(رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا) [آل عمران: 147] .

وكذلك اسم الفقير إذا أطلق دخل فيه المسكين وإذا أطلق لفظ المسكين تناول الفقير:

كقوله تعالى (وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ) [البقرة: 271] .

وقوله تعالى: (فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ) [المائدة : 89] .

وإذا قرن بينهما فأحدهما غير الآخركما في قوله تعالى:(إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ) [التوبة:60].

- وإمّا أن يكون المراد من الإيمان المعنى العام، فيكون شاملا لما عطف عليه، ويكون المعطوف في هذه الحال جزءا من الإيمان خصّ بالذكر تفخيما لشأنه وتأكيدا عليه. ومثل هذا أيضا موجود في القرآن:

كقوله تعالى:(حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾)[البقرة: 238]

وقوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ) [الأحزاب:07].

وقوله تعالى: (مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾) [البقرة: 98].

وعليه ومن خلال ما سبق ذكره فإنّه يمكن القول أنّ الآيات التي ورد فيها ذكر الإيمان ثلاثة أقسام:

- قسم أريد بالإيمان فيه المعنى العام
- قسم أريد بالإيمان فيه المعنى الخاص
- قسم المراد بالإيمان فيه محتمل للمعنيين.

ولا سبيل إلى إدراك مدلول لفظ الإيمان في كل منها، إلاّ بالتفريق بين مقامات خطابها وسياقات ورودها التي سبق الإشارة إليها.

يقول الطاهر بن عاشور منبّها على أهمية الاعتناء بمقامات الخطاب – بعد أن ذكر أقوال مختلف الطوائف في مسألة الإيمان – يقول : ÷ على العالم المتشبّع

بالإطلاع على مقاصد الشريعة وتصاريفها أن يفرّق بين مقامات خطابها، فإنّ منها مقام موعظة وترغيب وترهيب وتبشير وتحذير، ومنها مقام تعليم وتحقيق، فيرّد كلّ وارد من نصوص الشريعة إلى مورده اللائق، ولا تتجاذبه المتعارضات مجاذبة المماذق»[1].

ونفس هذا التوجيه نجده عند ابن تيمية لكن بمزيد من التفصيل حيث يقول : « الاسم الواحد ينفى ويثبت بحسب الأحكام المتعلّقة به، فلا يجب إذا أثبت أو نفي في حكم أن يكون كذلك في سائر الأحكام، مثال ذلك لفظ النكاح فإنّه في الأمر يتناول الكامل وهو العقد والوطء كما في قوله تعالى: (فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ) [النساء:3]. وقوله تعالى:(فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ) [البقرة:230] .

و في النهي يعمّ الناقص والكامل، فينهى عن العقد مفردا ولو لم يكن وطء كقوله تعالى: (وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ) [النساء:22].

وهذا لأنّ الآمر قصده تحصيل المصلحة، وتحصيل المصلحة إنّما يكون بالدخول، والناهي مقصوده دفع المفسدة فيدخل كل جزء منه لأنّ وجوده مفسدة.

وكذلك الأنساب مثل كون الإنسان أبا لآخر أو أخاه يثبت في بعض الأحكام دون بعض ،فإنّه قد ثبت في الصحيحين « أنّ سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة اختصما إلى النبي صلى الله عليه و سلم في ابن وليدة زمعة، وكان عتبة بن أبي وقاص قد فجر بها في الجاهلية وولدت منه ولدا، فقال سعد : يارسول الله ابن أخي عتبة عهد إليّ فيه إذا قدمت مكّة انظر إلى ابن وليدة زمعة فإنّه ابني ألا ترى يا رسول الله شبهه بعتبة ؟ فقال عبد بن زمعة : يا رسول الله أخي وابن وليدة أبي ولد على فراشه، فرأى النبي صلى الله عليه و سلم شبها بيّنا بعتبة فقال هو لك يا عبد بن زمعة الولد للفراش وللعاهر الحجر،واحتجبي منه يا سودة بنت زمعة»[2].

فقد جعله النبي صلى الله عليه و سلم ابن زمعة لأنّه ولد على فراشه، وبذلك صارت سودة أخته يرثها وترثه، ومع هذا فقد أمرها النبي صلى الله عليه و سلم أن تحتجب منه لمّا رأى شبهه البيّن بعتبة، فهو إذا أخ في الميراث وليس أخا في المحرمية، وكذلك ولد الزنا عند بعض العلماء ، وابن الملاعنة عند الجميع إلاّ من شذّ ليس بولد في الميراث ونحوه، وهو ولد في تحريم النكاح والمحرمية.

1- التحرير والتنوير لطاهر بن عاشور 273./1

2- البخاري **كتاب** البيوع **باب** تفسير المشبهات 6/3رقم 2053 مسلم **كتاب** الرضاع **باب** الولد للفراش 875/2رقم .1457

وما كان له مبتدأ وكمال، قد ينفى تارة باعتبار انتفاء كماله، ويثبت تارة باعتبار ثبوت مبدئه، واسم الإيمان له مبدأ وكمال، وظاهر وباطن :
أمّا ظاهره فتتعلّق به **الأحكام الدنيوية** من الحقوق والحدود كحقن الدم و المال و المواريث
والعقوبات الدنيوية إذ تعليق ذلك بالباطن متعذّر[1].
وأمّا مبدؤه فيتعلق به خطاب الأمر والنهي .
وأمّا كماله فيتعلّق به خطاب الوعد بالجنّة والسلامة من النار، فإنّ هذا الوعد إنّما هو لمن فعل المأمور وترك المحظور، وأمّا من فعل بعضا وترك بعضا فيثاب على ما فعله ويعاقب على ما تركه، فلا يدخل في اسم المؤمن المستحق للحمد والثناء دون الذمّ والعقاب.
ولهذا فإنّ ما في الكتاب والسنّة من نفي الإيمان عن أصحاب الذنوب إنّما هو في خطاب **الوعيد والذمّ** لا في خطاب **الأمر والنهي** ولا في **أحكام الدنيا »**[2] .
ويجمع ما سبق ذكره من معنى الإيمان في القرآن الكريم ما ذكره الحسن البصري رحمه الله مجيبا من سأله أمؤمن أنت؟ فقال : الإيمان إيمانان، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فأنا مؤمن. وإن كنت تسألني عن قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال:2]. فوالله لا أدري أمنهم أنا أم لا ؟[3]
وقبل ختام هذا المبحث لابدّ من توضيح مسألة مهمة ودقيقة، هي مسألة علاقة الإيمان بالإسلام، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك بكلام مجمل هذا أوان تفصيله:
العلاقة بين الإيمان والإسلام:
لبيان العلاقة بين الإيمان والإسلام لابدّ من التفريق بين حالتي ورود الإسلام مطلقا ، وروده مقترنا بلفظ الإيمان :
الحالة الأولى : ورود الإسلام مطلقا :
إذا أطلق لفظ الإسلام أفاد أحد معنيين :
المعنى الأوّل : أن يكون مرادا به الدين الخاتم الذي بعث به محمّد صلى الله عليه و سلم والمتميّز بشرائعه وأحكامه عمّا بعث به من سبقه من الأنبياء .
فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإن اتفقوا في أصل الدين وهو توحيد الله جلّ وعلا، إلاّ أنّ شرائعهم مختلفة في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في

1- و يتعلق بالباطن الجزاء في الآخرة فيكون المنافقون في الدرك الأسفل من النار رغم أن لهم أحكام المسلمين في الدنيا.
2- كتاب الإيمان لإبن تيمية ص 327 وما بعدها.
3- ينظر تفسير القرطبي 7/.233

الشريعة حراما ثم يحلّ في الشريعة الأخرى وبالعكس، وقد يكون مخفّفا فيزاد في شدّته في هذه دون تلك بحسب ما تقتضيه مصالح العباد رحمة من الله وفضلا.
والإسلام علم بالغلبة على مجموع ما شرعه الله تعالى لنبيّه محمّد صلى الله عليه و سلم وأمته من الاعتقادات وأحكام العبادات والمعاملات.
وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾) [آل عمران:85] .
أي أنّ من انتحل بعد مبعثه صلى الله عليه و سلم غير شريعته فهو غير مقبول منه[1]، فقد جاءت شريعة الإسلام ناسخة لما قبلها ،فلا يحلّ لأحد أدركته دعوة الإسلام أن يدين الله بغيرها.وقد قال صلى الله عليه و سلم:**« و الذي نفسي بيده لو أنّ موسى υ كان حيّا ما وسعه إلاّ أن يتبعني »**[2].
المعنى الثاني : أن يكون مرادا بالإسلام الخضوع والانقياد لله تعالى وإخلاص العبادة له سبحانه.
• قال الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾) [آل عمران :102].
قال الطبري: ÷ مسلمون :أي مذعنون له بالطاعة مخلصون له بالألوهية والعبادة ×[3].
والإسلام بهذا المعنى دين الرسل جميعا، وهو القدر الذي تتفق فيه الرسالات وإن تنوّعت الشرائع: • ذكر الله تعالى عن نوح أنّه قال:(وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾)[يونس :72].
• وقال تعالى عن إبراهيم و اسماعيل عليهما والسلام: (رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ) [البقرة:128].
• وقال عن يعقوب موصيا أبناءه : (وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾) [البقرة:132] .

1- ينظر روح المعاني للألوسي 215/3 التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور302/3.
2- أحمد 85/12 رقم 15094 و الدارمي 403/1 رقم 449 و حسّنه الألباني في إرواء الغليل 34/6 رقم 1589 .
3- تفسير الطبري 3/.375

• وقال تعالى عن أنبياء بني إسرائيل:(إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ) [المائدة :44].

• وقال عن الحواريين (ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾)[آل عمران:52].

والإسلام بهذا المعنى لا فرق بينه وبين الإيمان :
فالإسلام الذي هو مجموع ما شرعه الله تعالى لمحمّد صلى الله عليه و سلم وأمته مرادف للإيمان بالمعنى العام، والمسلم الكامل الذي انقاد لله تعالى انقيادا تاما ظاهرا وباطنا هو المؤمن الكامل الموعود بالجنّة.
قال ابن تيمية : ÷ المسلم الممدوح هو المؤمن الممدوح، والمؤمن المستحق لوعد الله هو المسلم المستحق لوعد الله ،وكلّ من يدخل الجنّة بلا عذاب من الأوّلين والآخرين فهو مؤمن مسلم ×[1].
والإسلام الذي هو في مقابل الكفر والذي يكون بالإقرار بوحدانية الله تعالى ونبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم مرادف للإيمان بالمعنى الخاص.

• كما في قوله تعالى:(رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾) [الحجر:2].

أي يتمنون لوكان معهم أصل التوحيد الذي ينجون به من الخلود في النار فعن أبي موسى الأشعري : قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : **« إذا كان يوم القيامة، واجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة ألستم مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فسمع الله ما قالوا: فأمر بكلّ من كان أهل القبلة في النار فأخرجوا، فقال من في النار من الكفار: يا ليتنا كنّا مسلمين ثم قرأ رسول الله** صلى الله عليه و سلم : (الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾) [الحجر:1-2] **»**[2].

الحالة الثانية : ورود لفظ الإسلام مقترنا بلفظ الإيمان : وهو في القرآن على وجهين :
الأوّل : أن يراد بالإيمان ما في القلب من التصديق والتعظيم والخضوع ونحو ذلك ، ويراد بالإسلام ما يظهر على الجوارح من الأعمال:

1- كتاب الإيمان لإبن تيمية ص.287
2- أخرجه الطبري في تفسيره 489/7 وابن أبي عاصم في كتاب السنة ص 405 رقم 843 وقال الألباني في تخريجه لأحاديث كتاب السنة : حديث صحيح .

• قال تعالى: (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾) [الزخرف:69-70].

قال ابن كثير : ÷ أي من آمنت قلوبهم وبواطنهم ،وانقادت لشرع الله جوارحهم وظواهرهم ×[1].

• وقال تعالى:(إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ) [الأحزاب:35].

و المراد بالإسلام هنا الانقياد وبالإيمان التصديق[2].

• وقال تعالى في قصة لوط : (فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾) [الذاريات35-36].

وهذه الآية ذهب كثير من المفسرين إلى أنّ المؤمنين والمسلمين فيها بمعنى واحد ، وإنّما جنّس اللفظ لئلا يتكرر[3].

غير أنّ ابن تيمية والطاهر بن عاشور ذكرا توجيها آخر لعله أرجح لتضمّنه معنى زائدا على مجرّد عدم تكرير اللفظ، حيث جعلا وصف البيت بالإسلام **باعتبار الظاهر** ، ذلك أنّ البيت كان يضمّ امرأة لوط ، والتي كانت في الظاهر مع زوجها على دينه لكنّها في الباطن مع قومها على دينهم كما قال تعالى:(ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾) [التحريم :10].

ووصف المخرجين الناجين وهم لوط وبناته بالمؤمنين **باعتبار الباطن**، فهم كانوا في الباطن مصدّقين فنجوا، بخلاف امرأة لوط التي كانت من الهالكين.

فبيت لوط كان كله من المسلمين، ولم يكن كله من المؤمنين فلذلك لم ينج منهم إلاّ الذين اتصفوا بالإيمان والإسلام جميعا إذ لا نجاة إلاّ بمجموع الأمرين، فحصل في الكلام مع التفنن في الألفاظ الإشارة إلى التنويه بكليهما وإلى أنّ النّجاة باجتماعهما[4] .

1- تفسير ابن كثير 237/6 وينظر تفسير النسفي 150./4

2- ينظر التفسير الكبير للرازي 183/25 روح المعاني للألوسي 21/22.

3- ينظر تفسيير القرطبي 33/17 تفسير الطبري 467/11 معالم التنزيل للبغوي 211/4 تفسير النسفي 226./4

1- ينظر التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور 8/27 مجموع الفتاوى لإبن تيمية 291/7.

وما ذهب إليه ابن تيمية والطاهر بن عاشور رحمهما الله متوافق مع ما سبق ذكره من حمل الإيمان على الباطن والإسلام على الظاهر عند اجتماعهما.
وبذلك أيضا وردت أحاديث النبي صلى الله عليه و سلم التي اقترن فيها الإيمان والإسلام:
كحديث جبريل حيث قال صلى الله عليه و سلم لمّا سئل ما الإسلام ؟ **« الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. ولمّا سئل عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه »**[1].
فجعل الإيمان ما في القلب من التصديق والإسلام ما كان ظاهرا على الجوارح.
ويروى عنه صلى الله عليه و سلم أنّه قال : **« الإسلام علانية والإيمان في القلب»**[2].

الوجه الثاني : من اقتران لفظ الإسلام بالإيمان أن يراد بالإيمان المعنى العام وبالإسلام المعنى الخاص وذلك في قوله تعالى: (قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾) [الحجرات:14].

وقد اختلف في تفسير هذه الآية فذهب أغلب المفسرين كالزمخشري والقرطبي والرازي والبغوي والنسفي وابن الجوزي والألوسي[3] وغيرهم إلى أنّ الإسلام المثبت في الآية للأعراب هو الإسلام بمعناه اللغوي لا الشرعي، أي أنّ الله تعالى كذّب الأعراب في دعواهم الإيمان وأخبر أنّهم إنّما استسلموا خوف السبي والقتل مع كفرهم في الباطن.
واستدلوا على ذلك بقوله تعالى" قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ " وهذا يقتضي كفرهم، وبقوله تعالى : " وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ " ومن لم يدخل الإيمان قلبه فهو كافر.
وبقوله تعالى بعد هذه الآية: (إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾)[الحجرات :15]

2- البخاري **كتاب** الإيمان **باب** سؤال جبريل النبي ÕáÓ?ìáÕ عن الإيمان والإسلام و الإحسان 22/1 رقم 50 مسلم **كتاب** الإيمان **باب** بيان الإيمان والإسلام و الإحسان 46/1 رقم .8
3- أحمد 437/10 رقم 12322وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ص 336 رقم .2280
4- ينظر الكشاف للزمخشري 366/4 تفسير القرطبي 227/16 تفسير الكبير للرازي 128/28 معالم التنزيل للبغوي 196/4 تفسير النسفي 210/4 زاد المسير لابن الجوزي 187/7 روح المعاني للألوسي 167/26.

أي أنّ الأعراب كاذبون.
في حين ذهب الطبري وابن تيمية وابن كثير[1] وهو أيضا قول الحسن وابن سيرين وإبراهيم النخعي إلى أنّ الإسلام في الآية يراد به معناه الشرعي وأنّه ليس من جنس إسلام المنافقين واستدلوا على ذلك بما يلي :
أوّلاً : أنّ هؤلاء الأعراب لو كانوا من جنس المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر لكذّبهم الله تعالى كما كذّب غيرهم:

- قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ [البقرة:8-10] .
- وقال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون:1].

وهذا يختلف تماما عمّا خوطب به الأعراب في هذه الآية من قوله تعالى : ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات:14].

وقوله تعالى: ﴿ إِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ﴾[الحجرات:14].

ثانياً : إنّ نفي الإيمان عن هؤلاء الأعراب لا يقتضي كفرهم، فالإيمان المنفي هو الإيمان الكامل لا أصل الإيمان ، فهو من باب قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ [الأنفال:2].

ومن باب قوله صلى الله عليه و سلم :**« لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»** [2] وقوله ρ:**« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »** [3] وقوله ρ : **« لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه »**[4].

1- تفسير الطبري 401/11 الإيمان لابن تيمية ص191 تفسير ابن كثير 6/.390
1- مسلم **كتاب** الإيمان **باب** بيان نقصان الإيمان بالمعاصي 76/1 رقم .57
2- البخاري **كتاب** الإيمان **باب** من الإيمان أن يحب لإخيه ما يحب لنفسه 11/1 رقم 13 مسلم **كتاب** الإيمان **باب** الدليل. على أنّ من خصال الإيمان أن يحب لإخيه المسلم مايحب لنفسه من الخير 69/1 رقم .45
3- البخاري **كتاب** الأدب **باب** إثم من لا يأمن جاره بوائقه103/7رقم 6016 .

فليس كلّ من نفي عنه الإيمان في الكتاب والسنّة كان كافرا.
ومعنى قوله تعالى **"وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ "** أي ولمّا تدخل حقائق الإيمان والعلم بشرائعه في قلوبكم[1].
ثالثاً: أنّ الله تعالى قال في الآية التي بعدها رادّاً عليهم ما ادّعوه من الإيمان : (**إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥**) [الحجرات :15].
وهذا وصف للإيمان الكامل لا لأصل الإيمان.
رابعاً : هؤلاء الأعراب ادّعوا الإيمان في سياق المدح لأنفسهم والتزكية لها يريدون بذلك الصدقة، فنهوا عن ذلك كما قال تعالى:(**فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ**) [النجم:32].
إذ الشهادة لأنفسهم بالإيمان في مقام المدح كالشهادة لها بدخول الجنّة بلا عذاب، ولهذا لمّا قال رجل لابن مسعود : إنّي مؤمن، قال له :قل إنّي في الجنّة!! ولكنّا نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله [2].
ومثل ما ادعاه الأعراب في هذه الآية ما جاء في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص قال : « **أعطى النبي** صلى الله عليه و سلم **رهطا و ترك رجلا هو أعجبهم إليّ فقلت يا رسول الله ما لك عن فلان؟ فوالله إنّي لأراه مؤمنا فقال : أو مسلما. فسكت قليلا ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي فقلت : ما لك عن فلان ؟ فوا الله إنّي لأراه مؤمنا. فقال أو مسلما. ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي وعاد رسول الله** صلى الله عليه و سلم **ثم قال : يا سعد إنّي لأعطي الرجل وغيره أحبّ إليّ منه خشية أن يكبّه الله في النار**»[3] .
فنهى النبي صلى الله عليه و سلم سعدا عن القطع بحكم الإيمان وأرشده إلى الحكم بالإسلام لكونه معلوما بحكم الظاهر، هذا مع أنّ هذا الرجل الذي مدحه سعد لم يكن كافرا بدليل ما ورد في آخر الحديث من أنّ النبي صلى الله عليه و سلم يعطي رجالا خوفا عليهم من أن يعودوا إلى الكفر ويترك آخرين هم أحب إليه لما يعلمه من صلابة إيمانهم[4].
فهذا كلّه يظهر أنّ هؤلاء الأعراب لم يكونوا كفّارا في الباطن وإنّما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادّعوا مقاما أعلى ممّا وصلوا إليه فأدّبوا في ذلك.

4- تفسير الطبري 401/11.
5- كتاب الإيمان لإبن أبي شيبة ص21 رقم 22.
1- البخاري **كتاب** الإيمان **باب** إن لم يكن الإسلام على الحقيقة 15/1 رقم 27 مسلم **كتاب** الإيمان **باب** تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه 120/1 رقم 150 .
2- ينظر شرح النووي على مسلم 181./2

وإذا صحّ هذا الذي ذهب إليه الطبري وابن تيمية وابن كثير، تكون الآية قد أثبتت للأعراب الإسلام بالمعنى الخاص الذي هو مرادف لأصل الإيمان، ونفت عنهم الإيمان بالمعنى العام الذي هو الإيمان الكامل.

ويتلخص من هذا كلّه أنّ إدراك الدلالة اللفظية للإيمان في القرآن الكريم يتوقف على مراعاة مسألتين :
الأولى: سياق الآيات التي يرد فيها لفظ الإيمان ومقامات خطابها.
الثانية : ورود لفظ الإيمان مطلقا أو مقترنا بغيره كالإسلام و البر والعمل الصالح و نحو ذلك.

المبحث الثاني
أركان الإيمان
في
القرآن الكريم

جـاء الإسـلام وفـي العـالم ركـام هائـل مـن العقائـد والتصـورات، والفلسـفات والأساطير والأفكار والأوهام، يختلط فيها الحق بالباطل، والصحيح بالزائف، والدين بالخرافة.
ونتج عن هذا الضلال في الاعتقاد والتصوّرات انحراف وفساد في الأخلاق والسلوكيات فملئت حياة النّاس ظلمًا وجورًا، وفسادًا وانحلالاً، وشقاء وتعاسة ،استحقت بها مقت الله وغضبه[1].

ولم يكن ممكنًا إصلاح هذا الواقع وإخراج البشرية ممّا هي فيه إلاّ برسالة ربّانية شاملة تجمع بين إصلاح الاعتقادات وإصلاح السلوكيات ، نظرا للتلازم الوثيق بين التصور و الاعتقاد من جهة، والتصرّف والسلوك من جهة أخرى.
ومن هنا كانت آيات القرآن الكريم- الذي هو المصدر الأوّل في الشريعة الخاتمة التي بعث بها محمّد -صلى الله عليه و سلم جامعة بين الخبر والأمر.
فنصوص الخبر لتصحيح التصوّر والاعتقاد.
ونصوص الأمر لتقويم السلوك والتصرّفات.
فلا ريب إذن أن كان الإيمان بهذه الرسالة الخاتمة قائما على ركنيين اثنين:
الأول : التصديق بأخبارها
والثاني : الانقياد لأوامرها
ولا غنى بأحدهما عن الآخر أبدا، إذ لا وجود لانقياد إلاّ مسبوقا بتصديق، ولا فائدة من تصديق لا يتبعه انقياد.
وسأحاول في هذا المبحث بيان هذين الركنيين في ضوء ما جاء به القرآن الكريم مفردًا كلّ ركن بمطلب مستقل.

1- عن عياض بن حمار المجاشعي أنّ رسول الله ?ìáÕ ïðç قال: ÷ **إنّ الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلاّ بقايا من أهل الكتاب** × صحيح مسلم **كتاب** الجنّة وصفة نعيمها وأهلها **باب**: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنّة وأهل النار 1741/4 رقم 2865.
قال النووي : ÷ المراد بهذا المقت والنظر ما قبل بعثة رسول الله ?ìáÕ äáÓäáÚ× .شرح النووي على مسلم 193/17.
وصوّر جعفر بن أبي طالب هذا الواقع المزري أبلغ تصوير فقال مخاطبا النجاشي: ÷ أيّها الملك كنّا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منّا القوي الضعيف... × ينظر السيرة النبوية لابن هشام 336/1 .

المطلب الأوّل
التصـــــــــــديـــــــــق

و المراد به اعتقاد القلب اعتقادا جازما أنّ ما أخبر به الله تعالى في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم هو الحقّ الذي لا باطل فيه.
وهذا التصديق على قسمين: مجمل و مفصل

القسم الأول: التصديق المجمل

وهذا القدر من التصديق يتناول أصول الدّين الكبرى التي هي الحدّ الفاصل بين ملّة الإسلام وسائر ملل الكفر.
و هذه الأصول باستقراء القرآن الكريم هي:
أوّلاً: الإيمان بالله تعالى .
صلى الله عليه و سلم **ثانيًا: الإيمان بنبوّة محمّد .**
ثالثاً: الإيمان بالبعث والجزاء.
وسأحاول فيما يلي بيان كل واحد من هذه الأصول على التفصيل[1]:

الأصل الأوّل: الإيمان بالله تعالى

وهو أصل الأصول وقاعدة الدّين وعليه مدار آيات القرآن الكريم، وبقيّة الأصول متفرّعة عنه وتابعة إليه، ويتحقّق هذا الأصل باجتماع ثلاثة أركان:
الركن الأوّل : الإيمان بأنّ الله تعالى خالق هذا الكون ومبدعه، وأنّه سبحانه وحده المالك له، والمتصرّف فيه.

- قال تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ) [البقرة: 21].

أي: الذي خلقكم وخلق الذين من قبلكم،و الخلق : إيجاد الشيء بعد أن لم يكن موجودًا[2].

1- يقول الإمام الشوكاني : « أمّا مقاصد القرآن الكريم التي يكرّرها ، و يورد الأدلّة الحسية و العقلية عليها ، و يشير إليها في جميع سوره ، و في غالب قصصه و أمثاله ، فهي ثلاثة مقاصد ، يعرف ذلك من له كمال فهم و حسن تدبّر و جودة تصوّر و فضل تفكّر: المقصد الأوّل إثبات التوحيد.
المقصد الثاني إثبات المعاد.
المقصد الثالث إثبات النبوّات.
و من أخذ المصحف الكريم وقف على إثبات كلّ مقصد من هذه المقاصد في أيّ موضع شاء ، و من أيّ مكان أحبّ ، و في أيّ محلّ منه أراد ، و وجده مشحونا به من فاتحته إلى خاتمته». ينظر إرشاد الثقات إلى اتّفاق الشرائع على التوحيد و المعاد و النبوّات للشوكاني ص 3 بتصرف وينظر شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ص 223.

1- ينظر تفسير الطبري 1/.196

●وقال سبحانه واصفا نفسه : (بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ) [البقرة:117].

قال الطبري: « أي مبدعهما ، و**المبدع** : المنشئ والمحدث ما لم يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد »[1].

● وقال تعالى : (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)[فاطر:1].

والفطر : الابتداء والاختراع.
ذكر القرطبي أنّ ابن عباس قال: « كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها يقول : أنا ابتدأتها»[2].

● وقال تعالى: (قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾) [الرعد: 16].

أي كلّ شيء في هذا الوجود مخلوق والله سبحانه وحده الخالق.
- وكما أنّ الله تعالى هو وحده خالق هذا الكون فهو أيضا وحده المالك له:

● قال تعالى:(وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ) [الإسراء: 111].

وملكه سبحانه شامل لا يخرج عنه شيء من الأشياء:

● قال سبحانه منزّها نفسه : (فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾) [يس:83].

و**الملكوت**: مبالغة في الملك[3] .

● و قال تعالى: (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾) [فاطر: 13].

و القطمير : القشرة التي في شقّ النوّاة كالخيط الدقيق.
فنفى سبحانه أن يملك أحد سواه شيئاً ولو كان حقيرًا[4].

2- المصدر السابق 555/1 .
3- تفسير القرطبي 204/14 **1** و ينظر الدرّ المنثور للسيوطي 249/12 .
4- ينظر التفسير الكبير للرازي 105/26 التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 80/23 .
1- ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 282/22 .

• و قال في آية أخرى: (قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾) [سبأ:22].

قال الطبري: « أي أنّهم لا يملكون مثقال ذرّة لا استقلالاً من دون الله، ولا على وجه الشركة معه فيه »[1].

- ولمّا كان الله تعالى وحده خالق هذا الكون ومالكه فهو سبحانه وحده مدبّر شؤونه والمتصرّف فيه:

• قال تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ) [يونس:3].

أي أنّه سبحانه استوى على عرشه مدبّرًا للأمور فلا يخرج أمرٌ من الأمور عن قضائة وتقديره ، و يقضي في خلقه ما أراد، لا يضادّه في قضائه أحد ولا يتعقب تدبيره متعقّب.[2]

• وقال تعالى : (قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ) [الأنعام:164].

أي وهو سيّد كلّ شيء ومدبّره ومصلحه[3].

• وقال سبحانه عن نفسه:(مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾) [الكهف:26].

أي : لا يجعل الله في قضاءه وحكمه في خلقه أحدًا سواه شريكًا بل هو المنفرد بالحكم والقضاء.

• وقال سبحانه: (مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾) [فاطر:2].

أي أنّ مفاتح الخير ومغالقه كلّها بيده، فما يفتح الله للنّاس من خير فلا مغلق له لأنّ ذلك أمره، لا يستطيع أمره أحد، وكذلك ما يغلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم ولا يفتحه لهم أحد[4].

2- تفسير الطبري 371./10

3- ينطر تفسير الطبري 530/6 و تفسير الكشّاف للزمخشري 317/2 .

4- ينطر تفسير الطبري 421./5

1- ينظر تفسير الطبري 394./10

• ومثل ذلك قوله تعالى : (قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾) [آل عمران:26].

أي لك الملك كلّه أنت المعطي وأنت المانع ، بيدك الخير تتصرّف به حسب مشيئتك لا يتصرّف به أحد غيرك ولا يملكه أحد سواك[1].

والإقرار بأنّ الله تعالى خالق هذا الكون ومالكه ومدبّر شؤونه، مسألة فطر الله النّاس عليها، فهي عندهم من الضرورات التي لا يمكن جحدها، ولم يكد يوجد من ينكرها إلاّ أفراد قلائل كابروا العقل وصادموا الفطرة.

لهذا فإنّ تناول القرآن الكريم لهذه المسألة يكون غالبا في سياق الاستفهام التقريري الذي يراد به إفحام الخصم وإلجامه بما هو مقرّر عنده سلفًا.

كما في قوله تعالى : (أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾) [الرعد:16].

فالاستفهام هنا للتقرير وليس حقيقيًا، والمعنى أنّهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه فاشتبه الخلق عليهم حتى يسوغ لهم أن يقولوا: هؤلاء خلقوا كخلق الله تعالى فاستحقوا بذلك العبادة[2]. ومثل ذلك قوله تعالى: (أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾) [النمل:60].

فهذا أيضًا جيء بالاستفهام لتقرير أنّ الخالق والمنبت والرازق هو الله، وهو استفهام مشوب بالتوبيخ لهم والتسفيه لرأيهم في اتخاذ آلهة من دون الله[3].

ومثل ذلك أيضا قوله تعالى : (ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٠﴾)[الروم:40] . فذكر سبحانه في هذه الآية أفعاله التي لا يمكن أن يدّعى له فيها

2- ينظر تفسير ابن كثير 2/ 26 و روح المعاني للألوسي 3/.115

3- ينظر التفسير الكبير للرازي 27/19 و روح المعاني للألوسي 13/.128

1- ينظر المصدرين السابقين 187/24 و 5/.20

شريك، وهي الخلق والرزق والإماتة والإحياء، ثم استفهم على جهة التقرير لهم والتوبيخ : هل من شركاءكم من يفعل من ذلكم من شيء ؟ والجواب واضح : لا أحد يفعل هذه الأفعال إلاّ الله[1].

<u>الركن الثاني</u>: الإيمان بأنّ لله سبحانه وتعالى صفات الكمال المطلق وأنّه منزّه عن كل عيب ونقص :

وهذا الركن فرع عن الإقرار بالخالق سبحانه وتعالى، إذ لا يمكن لمن أجال نظره في هذا الكون الفسيح إلاّ أن يقرّ لموجده بكلّ كمال وينزّهه عن كل نقص، والفطر والعقول السليمة وإن كانت تقرّ بهذه الحقيقة في الجملة، إلاّ أنّها لا تهتدي لتفصيلها إلاّ بنور من الوحي، و ما بعد النّاس عن هذا الوحي أو حرّفوه إلاّ وفسدت فطرتهم وانتكست عقولهم ،فقالوا على الله بلا علم ونسبوا له ما لا يجوز.
وأصدق شاهد على هذا حال اليهود والنصارى الذين حكى القرآن الكريم من أقوالهم عن الله ما
تكاد تنفطر منه السماوات، وتنشق الأرض، وتخرّ الجبال هدًّا.
وإذا كان هذا حال اليهود والنصارى وهم أهل كتاب، فلن تكون أقوال غيرهم ممّن لا كتاب لهم إلاّ أعظم فرية وأضلّ سبيلاً.
لأجل هذا كانت قاعدة إثبات الكمال لله تعالى وتنزيهه عن النقص قاعدة أساسية في القرآن الكريم لا تكاد آية من آياته تخلو منها.
وقد جاء بيان هذه القاعدة في القرآن الكريم مجملاً ومفصّلاً:

- أمّا الإجمال ففي مثل قوله تعالى :﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ ﴾ [النحل:60].

قال ابن كثير: ÷أي الكمال المطلق من كلّ وجه×[2].
وقال الرازي :÷ "ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ": أي الصفة العالية المقدّسة×[3].

- وقال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾ [الإخلاص: 2].

قال ابن عباس :÷ **الصمد** هو السيّد الذي قد كمل في سؤدده، و**الشريف** الذي قد كمل في شرفه، و**العظيم** الذي قد كمل في عظمته، و**الحليم** الذي قد كمل في حلمه، و**الغنيّ** الذي قد كمل في غناه، و**الجبّار** الذي قد كمل في جبروته، و**العالم** الذي قد كمل في علمه، و**الحكيم** الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلاّ له× [4].

2- ينظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي 394/8 .
1- تفسير ابن كثير 201./4
2- التفسير الكبير للرازي 47./20
3- ينظر تفسير الطبري 744./12

وفي رواية أخرى عن ابن عبّاس قال: ÷ **الصمد** هو الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم×[1].
ولا تعارض بين الروايتين، فالقول الثاني يتنظم جميع الصفات المذكورة في القول الأوّل لأنّه لو انتفى أحد هذه الصفات لم يكن مصمودًا إليه[2].
وتفرّد سبحانه بالكمال المطلق فلم يشاركه فيه أحد :

• قال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص:4].

أي لم يكن له شبيه ولا عدل[3].

•وقال سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى:11].

قال ابن القيم :÷ أي لا يشبهه سبحانه شيء لكثرة نعوته وأوصافه وأسمائه وأفعاله، وثبوتها له على وجه الكمال الذي لا يماثله فيه شيء ×[4].

• وقال سبحانه :﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم:65].

قال ابن عبّاس : « أي هل تعلم للربّ مثلا أو شبيها»[5] .
والاستفهام هنا للإنكار[6].

• ومثله قوله تعالى:﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل:17].

أي هل يستوي خالق هذه المصنوعات العظيمة وموجدها من العدم بمن لا يخلق شيئًا، بل هو نفسه مخلوق مفتقر إلى من يوجده ؟[7].
- أمّا بيان هذه القاعدة على التفصيل فباب واسع يستغرق جميع ما ذكر في القرآن الكريم من صفات الله تعالى، ولن تسعه مجلّدات ولو أفردت له فضلا عن أن تسعه صفات هذا البحث، و حسبي هنا أن أشير إلى ما ظهر لي-من خلال القرآن الكريم- أنّه العمدة في هذا الباب والأساس فيه :
أولاً: كمال حياة الله تعالى

4- ينظر تفسير القرطبي 167/20 تفسير ابن كثير 412./7
5- ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور617./30
6- ينظر تفسير الطبري 744./12
1- الجامع لتفسير ابن القيم المسمّى بدائع التفسير 110/4.
2- ينظر تفسير الطبري 361./8
3- ينظر فتح القدير للشوكاني 343./3
4- المصدر السابق 154./3

الحياة التي هي صفة لله تعالى حياة ذاتية أزلية أبدّية : ذاتية لم تأت من مصدر آخر كما هو شأن الخلائق التي استمدّت الحياة من خالقها ،و أزلية أبدّية لا تبدأ من مبدأ ولا تنتهي إلى نهاية [1].

- قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة:255].

قال الطبري : ÷ معنى قوله سبحانه " **الحي** " أي الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أوّل له
يحدّ ولا آخر له يؤمّد ×[2].

- وقال سبحانه:﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾

[الحديد:3].
قال البغوي :÷ هو الأوّل قبل كلّ شيء بلا ابتداء، كان هو ولم يكن شيئًا موجودًا، والآخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء، تفنى الأشياء ويبقى هو ×[3].
وقال ابن القيم : ÷ أوليته سبقه لكل شيء، و آخريته بقاؤه بعد كل شيء×[4].
ومعنى وصفه سبحانه بالأوّل هو نفس معنى وصفه بأنّه لم يولد:

- قال تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣

﴾[الإخلاص:1-3].

قال الطبري: ÷ معنى" **لَمۡ يُولَدۡ** " أي ليس بمحدث لم يكن فكان،لأنّ كلّ مولود فإنّما وجد بعد أن لم يكن ، وحدث بعد أن كان غير موجود، ولكنّه تعالى قديم لم يزل ودائم لم يبد×[5].
ومعنى وصفه بالآخر هو معنى وصفه تعالى بأنه لا يموت:

- قال سبحانه :﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:58].

ولكمال حياته سبحانه فهو منزّه عن السنة والنوم:

5- ينظر في ظلال القرآن لسيد قطب 1/.287
6- تفسير الطبري 3/.7
1- مع الم التنزي ل للبغ وي4/267 وينظ ر تفس ير الطب ري 11/670 وروح المع اني للألوس ي 27/165 وفتح القدير للشوكاني 5/165 والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور27/.359
2- طريق الهجرتين لإبن القيم ص 39 .
3- تفسير الطبري 12/.744

● قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ [البقرة:255].

والسنة فعلة من الوسن وهو أوّل النوم[1].

والمعنى أنّه سبحانه لا يأخذه نعاس فينعس و لا نوم فيستثقل نومًا[2].

فجملة " لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ " مقرّرة لمضمون جملة :" ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ "[3].

ذلك أنّ النوم مناف لكمال الحياة فهو أخو الموت، لهذا كان أهل الجنّة لا ينامون ، فعن جابر τ قال: **« سئل النبي** صلى الله عليه و سلم**: أينام أهل الجنّة ؟ فقال ρ: النوم أخو الموت، وأهل الجنّة لا ينامون»**[4].

ثانياً: كمال علم الله تعالى

● قال سبحانه :﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ٩٨﴾ [طه :98].

أي أحاط بكل شيء علما فعلمه، فلا يخفى عليه منه شيء، ولا يضيق عليه.

يقال:فلان يسع لهذا الأمر، إذا أطاقه وقوي عليه،ولايسع له:إذا عجز عنه فلم يطقه ولم يقو عليه[5].

وعلم الله تعالى أزلي وليس حادثًا،فهو سبحانه يعلم بالأشياء قبل وجودها وبالأحداث قبل وقوعها:

● قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠ ﴾ [الحج :70].

أي أنّ علمه سبحانه أحاط بكلّ ما في السماء والأرض،وكل ذلك مكتوب عنده في كتاب، والكتاب هنا هو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه قبل أن يخلق الخلق ما هو كائن إلى يوم القيامة.

4- ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور19./3

5- ينظر تفسير الطبري 8./3

6- ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور19/3 .

1- رواه أبو نعيم في حلية الأولياء 90/7 وصحّحه الألباني كما في السلسلة الصحيحة 74/3 رقم 1087 .

2- ينظر تفسير الطبري 8/ 454 .

فعن ابن عبّاس قال : « خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام، وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى: اكتب ،فقال القلم وما أكتب ؟ قال : علمي في خلقي إلى قيام الساعة، فجرى القلم بما هو كائن في علم الله إلى يوم القيامة فذلك قوله للنبي صلى الله عليه و سلم " أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ " »[1].

• وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾ [سبأ:3].

ومعنى"لَا يَعْزُبُ عَنْهُ " أي لا يغيب عنه ولا يستتر عنه مثقال ذرّة في هذا الكون، ولا أصغر من ذلك المثقال ولا أكبر منه[2].

• وقال تعالى : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام:59].

فهذه الآية صورة لعلم الله الشامل المحيط الذي لا يندّ عليه شيء ولو كان حبّة صغيرة مخبوءة في الأرض، فمجاهل البّر وغيابات البحر مكشوفة كلّها لعلم الله تعالى، لا تسقط ورقة من شجرة إلاّ ويعلم بسقوطها، وما من حبّة صغيرة مخبوءة في جوف الأرض إلاّ ويعلم مكان وجودها. أمّا مفاتح الغيب التي أخبر الله أنّه لا يعلمها إلاّ هو، فهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان:34].

3- ينظر تفسير ابن كثير 664/4 . وأخرج أبو داود عن عبادة بن الصامت τ قال:**« سمعت رسول ρ يقول : إنّ أول ماخلق الله القلم فقال له أكتب، قال ربّ وماذا أكتب ؟ قال : أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة »** سنن أبي داود **كتاب** في السنّة **باب** القدر 225/4 رقم 4700 وصحّحه الألباني في صحيح الجامع ص 405 رقم 2018.

1- ينظر فتح القدير للشوكاني 312/4.

فعن عبد الله بن عمر قال : « قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: **مفاتح الغيب خمس ثم قرأ** : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ ﴾ الآية »[1].

وقوله تعالى : " إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ " يفيد اختصاص الله تعالى بعلم الساعة فلا يعلمها غيره،كما قال تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾[الأحزاب: 63].

وقوله تعالى:" وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ " المقصود منه أنّ الله عنده علم وقت نزول الغيث وليس المقصود مجرّد الإخبار بأنّه ينزّل الغيث، لأنّ ذلك ليس ممّا ينكرونه[2] .
وقوله " وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ " أي ينفرد بعلم جميع أطواره من نطفة وعلقة ومضغة ثم من كونه ذكرًا أم أنثى، وإبّان وضعه بالتدقيق[3].
وقوله "و مَا تَدۡرِى نَفۡسٌ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدًا " أخير أم شر[4].

وقوله " و مَا تَدۡرِى نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٍ تَمُوتُ " أي ليس أحدٌ من الناس يدري أين مضجعه من الأرض، أفي برّ أم بحر، أو سهل أو جبل[5].
ونفي الدراية بهذين الأمرين الأخيرين عن كلّ نفس يتضمّن إثبات العلم بهما لله تعالى واختصاصه بذلك ، بقرينة مقابلتهما بقوله "وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ "[6].

- وعلم الله تعالى المحيط بكل شيء، شامل لأعمال العباد:

- قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأنعام:3].

والسرّ : ما يخفيه الإنسان في ضميره فهو من أعمال القلوب.

2- البخاري **كتاب** التفسير **باب :** ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ 233/5 رقم 4627.

1- ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 197/21 .
2- المصدر نفسه.
3- تفسير ابن كثير 402/5 .
4- المصدر نفسه.
5- ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 198/21.

والجهر : ما يظهره الإنسان فهو من أعمال الجوارح.
ويعلم ما تكسبون : يعني من خير أو شر.

• وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [المجادلة:7]. أي ألم تعلم أنّه سبحانه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماوات " مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ" أي ما من ثلاثة يسارر بعضهم بعضًا " إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ " أي بالعلم، يعني: يعلم نجواهم كأنّه حاضر معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذي يكون معهم.
ومثله في قوله " وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ".

ثم قال تعالى " وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ " يعني ولا أقلّ من ثلاثة وخمسة ولا أكثر من ذلك العدد " إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ " من الأماكن ولو كانوا تحت الأرض، فإنّ علمه تعالى بالأشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت بتفاوت الأمكنة قربًا وبعدًا[1].

• وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق:16].

أي نعلم ما يحدّث به قلبه، فلا تخفى علينا سرائره وضمائره.

" وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ": أي أعلم بحاله ممّن كان أقرب إليه من حبل الوريد[2].

- ولكمال علمه عزّ وجلّ فهو منزّه عن الخطأ والنسيان.

• قال سبحانه حاكيا قول موسى υ: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [طه:52].

1- ينظر تفسير أبي السعود 291/5 .
2- المصدر السابق 187/5.
و الوريد: العرق الذي يجري فيه الدم ويصل إلى كلّ جزء من أجزاء البدن.

والضلال : الخطأ في العلم، والنسيان : عدم تذكرّ الأمر[1].

ولأنّ علم المخلوق يعتريه النقص من وجهين :
- أحدهما عدم الإحاطة بالشيء، والآخر نسيانه بعد علمه، نزّه الله تعالى نفسه عن ذلك، وأثبت أنّه لا يفوته صغير ولا كبير، ولا ينسى شيئًا [2].

• وقال تعالى:(وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم:64].

عن أبي الدرداء أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال : **« ما أحلّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرّمه فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا من الله عافيته فإنّ الله لم يكن لينسى شيئًا ،ثم تلا هذه الآية: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ »**[3].

ثالثاً: كمال غنى تعالى

• قال تعالى: (وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الأنعام: 133].

• وقال سبحانه: (إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان:26].

قال القرطبي : « الغني هو الذي لا يحتاج إلى أحد في شيء،وهو وصف ذاتي فيه معنى السلب، أي أنّه منزّه عن الاحتياج إلى غيره لا في ذاته ولا في أفعاله ولا في صفاته، فلا صاحبة له ولا ولد، ولا معين له ولا سند، ولا شريك له في ملكه، ولا نصير له في تنفيذ مشيئته وأمره »[4].
وهذا هو الغنى المطلق الذي لا يشارك الله فيه أحد.

• قال تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: 15].

• وقال سبحانه : (وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ [محمّد : 38].

فالله تعالى غنيّ عن هذا العالم من كلّ وجه،والعالم بكلّ ما يحويه فقير إلى الله من كلّ وجه، فهو سبحانه موجده وحافظه، ومدبّر أموره ومصلح شؤونه.

3- ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 235/16 .
4- ينظر تفسير ابن كثير 520/4.
1- أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير 406/2 رقم 3419 وصححّه و وافقه الذهبي،و ينظر الدرّ المنتور للسيوطي 107/10 وتفسير ابن كثير 474/4.
2- الأسنى في شرح الأسماء الله الحسنى للقرطبي ص 205 بتصرف.

• و قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات : 56-58].

أي لا أريد ممّن خلقت من الجنّ والإنس أن يرزقوا خلقي ولا أن يقوتوهم[1].
قال الطاهر بن عاشور : « هذا دليل على عدم الاحتياج إليهم لأنّ أشدّ الحاجات في العرف حاجة الناس إلى الطعام واللباس والسكن ،وإنّما تحصل بالرزق وهو المال فلذلك ابتدئ به ،ثم عطف عليه الإطعام لأنّه أشدّ ما يحتاج إليه البشر، وقد لا يجده صاحب المال إذا قحط النّاس فيحتاج إلى من يسلّفه إيّاه»[2].

• وقال سبحانه:(قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام: 14].

ومعنى "وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ" أنّ المنافع كلّها من عنده ولا يجوز عليه الإنتفاع[3].
قرأ الجمهور " لا يُطعَم " بضمّ الياء وفتح العين، وقرأ سعيد بن جبير ومجاهد والأعمش بفتح الياء والعين " لا يَطعَم" : أي لا يأكل[4] ،وهذه القراءة وإن كانت شاذة إلاّ أنّها صحيحة المعنى فالله منزّه عن الأكل والشرب لكمال غناه سبحانه.

والله تعالى خلق الخلق وأمرهم بعبادته تفضّلاً منه عليهم، لا لحاجة منه إليهم، بل هو سبحانه غني عن خلقه أجمعين سواءًا من آمن به أو من كفر، فلا يزيد في ملكه عبادة من عبده، ولا ينقص شيئًا من ملكه كفر من كفر .

• قال تعالى: (وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران: 97].

• وقال تعالى: (إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ ﴾ [الزمر:7]. • وقال سبحانه: (وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ [إبراهيم: 8].

1- ينظر تفسير الطبري 476/11.
2- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 28/27 وينظر التفسير الكبير للرازي 215/28.
3- ينظر نظم الدرر للبقاعي 596/2 والتفسير الكبير للرازي 145/12.
4- ينظر تفسير ابن كثير 10/3 وتفسير القرطبي 6/ 256 وفتح القدير للشوكاني 104/2.

وقال حكـاية عن قول سليمان: (وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل : 40].

ويقول سبحانه في حديث قدسي : **" يا عبادي إنّكم لن تبلغوا ضرّي فتضرّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئًا "** [1].

وإثبات الغنى المطلق لله تعالى يستلزم قطعًا نفي ما ادعاه اليهود والنصارى[2]،وبعض مشركي العرب،[3] من نسبة الولد إليه سبحانه :

- قال تعالى: (قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [يونس:68].

فقوله تعالى **" هُوَ ٱلْغَنِىُّ"** علّة لنفي الولد، لأنّ الولد إنّما يطلب للحاجة والغنيّ غنيً مطلقا لا حاجة له، وإذا انتفت الحاجة انتفى الولد[4].

قال الطاهر بن عاشور :÷ الإلهية تقتضي الغنى المطلق عن احتياج إلى مكمّل نقص في الذات والأفعال، واتخاذ الولد إمّا أن ينشأ عن اندفاع طبيعي لقضاء الشهوة من غير قصد التوليد ،وكونها
نقصًا غير خفي.
وإمّا أن ينشأ عن القصد والتفكير في إيجاد الولد، وذلك لا يكون إلاّ لسدّ ثلمة نقص من حاجة إلى معين في الحياة أو خلف بعد الممات ، وكلّ ذلك منافٍ للإلهية التي تقتضي الاتّصاف بغاية
الكمال في الذات والصفات والأفعال×[5].

1- مسلم **كتاب** البرّ والصلة والآداب **باب** تحريم الظلم 1583/4 رقم 2577.

2- قال تعالى: (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة:30].

3- قال تعالى عن المشركين: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ سُبْحَـٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾[النحل:57-58] ذلك أنّهم قالوا الملائكة بنات الله- تعالى الله عمّا يقولون علوًا كبيرًا - ينظر تفسير القرطبي 1/ 77.

4- ينظر الكشاف للزمخشري 345/2تفسير الطبري 584/6التفسير الكبير للرازي 112/17فتح القدير للشوكاني460/2.

5- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 230/11.

رابعاً: كمال قدرة الله تعالى

• قال الله تعالى : (إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البقرة:20]

• وقال تعالى: (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [فاطر : 44].

ومعنى " وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ ": أي أنّ الله ما كان ليسبقه ويفوته ويجعله عاجزًا عن تحقيق مراده فيه شيء من الأشياء كائنًا ما كان[1].
"إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا" أي كثير العلم وكثير القدرة لا يخفى عليه شيء ولا يصعب عليه أمر[2].

• وقال تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود: 107]

• وقال سبحانه : (ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ [البروج : 15-16].

أي لا يمنعه مانع من فعل أراد أن يفعله ، ولا يحول بينه وبين ذلك حائل، بل إذا تعلّقت إرادته
بفعل فعله على أكمل ما تعلّقت به إرادته، لا ينقصه شيء، ولا يبطئ به ما أراد تعجيله[3].

• قال تعالى: (بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة: 117].

أي أنّه سبحانه إذا قدّر أمرًا وأراد كونه، فإنّما يقول له كن مرّة واحدة فيكون: أي فيوجد على وفق ما أراد[4].

• وقال تعالى: (وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر: 50].

أي إنّما نأمر بالشيء مرّة واحدة لا نحتاج إلى تأكيد بثانية، فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلاً موجودًا كلمح البصر لا يتأخرّ طرفة عين[5].

1- ينظر فتح القدير للشوكاني 365/4 و التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور339/22.
2- ينظر فتح القدير للشوكاني 365/4.
3- ينظر تفسير الطبري 530/12 و التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور250/30.
4- ينظر تفسير ابن كثير 282/1.
1- المصدر السابق482./6

• وقال تعالى:(وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام:18].

أي هو الغالب لعباده الذي يدبّر خلقه بما يريد فيقع ما يشقُّ عليهم ويثقل ويغمّ ويحزن، ويفقر ويميت، فلا يستطيع أحدٌ من خلقه ردّ تدبيره والخروج من تحت قهره وتقديره [1].

• وقال تعالى: (وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾ [يوسف: 21].

أي أنّه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا دافع لأمره ولا رادّ لقضائه ولا يغلبه شيء[2].

• وقال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ ﴾ [الطلاق: 3].

أي أنّ الله تعالى بالغ ما يريده من الأمر، لا يفوته شيء ولا يعجزه مطلوب[3].

خامساً: كمال عدل الله تعالى

• قال سبحانه: (شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾ [آل عمران:18].

أي قائمًا بالعدل في جميع أموره[4].

• وقال سبحانه: (وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ ﴾ [الأنعام: 115].

قال قتادة : « أي صدقًا فيما قال وعدلاً فيما حكم،فكلّ ما أخبر به فحق لا مرية فيه ولا شك، وكلّ ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه »[5].

• وقال سبحانه: (وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [آل عمران:108].

أي أنّه سبحانه ليس بظالم لعباده بل هو الحاكم العدل الذي لا يجور[6].

وتنكير " ظُلۡمٗا " في سياق النفي يدلّ على انتفاء جنس الظلم عن أن تتعلّق به إرادة الله، فكلّ ما يعدُّ ظلمًا في مجال العقول السليمة منتف أن يكون مراد الله تعالى[1].

2- ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 164/7.
3- ينظر روح المعاني للألوسي 208/12.
4- ينظر فتح القدير للشوكاني 242/5.
5- ينظر المصدر السابق 325/1 و التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 187./3
6- ينظر تفسير ابن كثير 84/3.
1- المصدر السابق 88/2.

• وقال سبحانه: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ﴾ [النساء: 40].

قال الشوكاني :÷ الذرّة هي النمل الصغار وقيل : الخردلة ، وقيل : هي كلّ جزء من أجزاء الهباء الذي يظهر فيما يدخل من الشمس من كوّة أو غيرها.
والمراد أنّ الله لا يظلم كثرًا ولا قليلاً، ولا يبخس الناس ثواب أعمالهم ولا يزيد في عقاب ذنوبهم وزن ذرّة فضلاً عمّا فوقها×[2].

سادساً: كمال رحمة الله تعالى

• قال سبحانه إخبارًا عن قول الملائكة: (رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا ﴾ [غافر:7].

• و قال سبحانه: (وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ [الأعراف:156].

أي أنّه لا نهاية لها وكلّ من دخل فيها لم تعجز عنه[3].
وما من موجود في الدنيا إلاّ وقد نالته قسمة من رحمة الله سواءًا في ذلك المؤمن والكافر والإنسان والحيوان[4].

• وقال سبحانه:(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [الفاتحة:2-3]. قال القرطبي : ÷ الرحمن مشتق من الرحمة مبني على المبالغة ، ومعناه ذو الرحمة الذي لا نظير له
فيها ويستحيل أن توجد لغيره،إذ لا يوجد مخلوق تعمّ رحمته جميع المخلوقات من أوليائه وأعدائه.
والرحيم وصف يدلّ على الفعل الذي تقع المشاركة فيه لذلك وصف الله نفسه بأنّه خير الراحمين وأرحم الراحمين ×[5].
وقال ابن القيّم : ÷ الرحمن الذي الرحمة وصفه، والرّحيم الراحم لعباده فالأوّل للوصف والثاني للفعل.
واسم ÷**الرحمن** × الذي هو على وزن ÷ فعلان × دالٌّ على سعة هذا الوصف وثبوت جميع معناه الموصوف به، ألا ترى أنّهم يقولون غضبان للممتلئ غضبًا، وندمان وحيران وسكران ولهفان لمن ملئ بذلك، فبناء ÷فعلان × للسعة والشمول ، ولهذا يقرن استواؤه على العرش بهذا الإسم كثيرًا كقوله تعالى :(

2- ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور47/4.
3- فتح القدير للشوكاني 467/1.
4- ينظر تفسير القرطبي 188./7
5- ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 91/24.
1- تفسير القرطبي 73/1 والأسنى في شرح الأسماء الله الحسنى له أيضًا ص 400 – 402 .

ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ [طه: 5]، وقوله تعالى : (ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ۝ ﴾ [الفرقان:59].

فاستوى على عرشه باسم ٱلرَّحۡمَٰنُ لأنّ العرش محيط بالمخلوقات وقد وسعها[1]، والرّحمة محيطة بالخلق واسعة لهم، فاستوى سبحانه على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات ×[2].

• وقال سبحانه:(قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ ﴾ [الأنعام : 12].

ومعنى " كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ " ما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة τ قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ÷ **لمّا خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش : إنّ رحمتي سبقت غضبي** ×[3].

يقول سيّد قطب:÷ إنّ الله سبحانه هو المالك لا ينازعه منازع ولكنّه فضلاً منه ومنّة كتب على نفسه الرحمة، كتبها بإرادته ومشيئته، لا يقترحها عليه مقترح ولا يقتضيها منه مقتض إلاّ إرادته الطليقة وإلاّ ربوبيته الكريمة ، وهي - أي الرحمة - قاعدة قضائه في خلقه وقاعدة معاملته لهم في الدنيا والآخرة، فرحمة الله تفيض على عباده جميعًا وتسعهم جميعًا، وبها يقوم وجودهم وتقوم حياتهم، وهي تتجلّى في كلّ لحظة من لحظات الوجود×[4].

وتلمس مواضع رحمة الله ومظاهرها يستغرق الأعمار والأجيال:
يقول ابن القيّم : ÷ كما أنّ الموجودات كلّها شاهدة لله تعالى بالربوبية التامّة الكاملة، وما في العالم من آثار التدبير والتصريف الإلـٰهي شاهد بملكه سبحانه، فإنّ ما لله على خلقه من الإحسان والإنعام شاهد برحمة تامّة وسعت كل شيء.
فظهور صفة الرحمة في الوجود كظهور صفة الربوبية والملك والقدرة.

2- أخرج الطبري عن أبي ذرّ أنّه سأل النبي عن الكرسي فقال : ÷ **يا أبا ذرّ ما السماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلاّ كحلقة ملقاة بأرض فلاة وأن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة**× ينظر تفسير الطبري 12/3.

3- مدارج السالكين لإبن القيّم 57/1 .

4- البخاري **كتاب** التوحيد: **باب** وكان عرشه على الماء 534/7 رقم 7422 مسلم **كتاب** التوبة : **باب** في سعة رحمة الله تعالى 1674/4 رقم 2751، وينظر تفسير الطبري 155/5 وتفسير ابن كثير 10/3 .

1- في ظلال القرآن لسيد قطب 2 /1048 .

فبرحمته أرسل إلينا رسوله صلى الله عليه و سلم ،وأنزل علينا كتابه، وعلّمنا من الجهالة ،و هدانا من الضلالة، وبصّرنا من العمى، وأرشدنا من الغي.
وبرحمته عرّفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنّه ربّنا ومولانا، وأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا.
وبرحمته أطلع الشمس والقمر وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض وجعلها مهادًا وفراشًا وقرارًا.
وبرحمته أنشأ السحاب وأنزل المطر وأطلع الأقوات والفواكه والمرعى.
وبرحمته خلق للذكر أنثى من جنسه ،وألقى بينهما المحبّة والرحمة ليقع بينهما التواصل الذي به التناسل وانتفاع الزوجين، واستمتاع كلّ واحد منهما بصاحبه.
ومن رحمته أحوج الخلق بعضهم إلى بعض لتتمّ بينهم مصالحهم فجعل فيهم الغنيّ والفقير، والعزيز والذليل، والعاجز والقادر، والراعي والمرعي، ولو أغنى بعضهم عن بعض لتعطّلت مصالحهم وفسد نظامهم ×[1].

وعن عمر بن الخطّاب أنّ النبي صلى الله عليه و سلم مرّ بامرأة أصيبت في السبي، وكانت كلّما مرّت بطفل أرضعته، فقال صلى الله عليه و سلم:**« أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قالوا : لا يا رسول الله وهي قادرة على أن لا تطرحه، فقال** صلى الله عليه و سلم **: الله أرحم بعباده من هذه بولدها »**[2].

<u>الركن الثالث</u>: الإيمان بأنّ الله تعالى هو وحده المستحقّ للعبادة وكلّ معبود سواه باطل:

وهذا الركن مرتبط بالركنيين السابقين ونتيجة حتمية لهما، إذ من لوازم كون الله تعالى خالق هذا الكون ومالكه ومدّبر أموره، مع اتصافه بصفات الكمال ونعوت الجلال، أن يكون سبحانه وحده المستحقّ للعبادة والتأليه.
لكن مع هذا فقد وقع انحراف كبير في هذا الركن العظيم، وضلّ أكثر الخلق في هذه المسألة، فعبدوا الأنبياء والصالحين، والكواكب والنجوم، والأحجار، بل وحتى الدوّاب، وتصحيحًا لهذا الانحراف بعث الله تعالى الرسل وأنزل الكتب:

- قال تعالى : (**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ**) [النحل: 36].

2- مختصر الصواعق المرسلة لإبن القيّم 3 / 879 وما بعدها بتصرّف.
3- صحيح البخاري **كتاب** الأدب **باب** رحمة الولد وتقبيله 99/7 رقم 5999 ، صحيح مسلم **كتاب** التوبة **باب** رحمة الله تعالى 1676/4 رقم 2754 .

أي ما من رسول إلاّ وبعث بالدعوة إلى عبادة الله وحده، واجتناب عبادة ما سواه[1]، فالطاغوت اسم لكلّ ما يعبد من دون الله من آدمي راضٍ بذلك أو حجر أو شجر أو نحو ذلك[2].

• وقال تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾) [الأنبياء:25].

والإله هو المستحق للعبادة [3].

فمعنى الآية : ما أرسلنا من رسول إلى أمّة من الأمم إلاّ نوحي إليه أنّه لا معبود في السماوات والأرض تصلح له العبادة سواي.

" **فَٱعۡبُدُونِ**" أي فأخلصوا لي العبادة وأفردوا لي الألوهة[4].

• وقال تعالى مخاطبًا رسوله محمّدًا صلى الله عليه و سلم : (وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾) [الزخرف: 45].

قال ابن عبّاس وابن زيد والزهري وسعيد بن جبير: « لمّا أسري برسول الله صلى الله عليه و سلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بعث الله له آدم ومن ولد من المرسلين، فصلّى بهم إمامًا ركعتين، فلمّا فرغ قال له جبريل : سل يا محمّد من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟ فقال صلى الله عليه و سلم: لا أسأل فقد اكتفيت»[5].

وذهب مجاهد وقتادة وعطاء والحسن إلى أنّ المعنى : واسأل أمم من قد أرسلنا من قبلك[6].

وفي قراءة ابن مسعود : ÷ **واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا×**[7].

1- ينظر تفسير الطبري 582/7 وتفسير القرطبي 69/10 والتفسير الكبير للرازي 23/20و معالم التنزيل للبغوي 56/3 والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 149/14.

2- ينظر تفسير القرطبي 183/3 وفتح القدير للشوكاني3161 والمحرر الوجيز لإبن عطية 413/8 وتفسير البيضاوي571/1.

3- ينظر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى. للقرطبي ص 293 ،و ينظر تفسير قوله تعالى: (وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾)[البقرة: 163] في تفسير البيضاوي472/1 وروح المعاني للألوسي2 /29 والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 74/2.

4- ينظر تفسير الطبري 16/9.

1- ينظر تفسير الطبري 192/11 و تفسير القرطبي 64/16 .

2- ينظر فتح القدير للشوكاني 557/4.

3- ينظر تفسير الطبري11 / 192.

وعلى كلا التقديرين فالمقصود تقريع مشركي قريش بأنّ ما هم عليه لم يأت في شريعة من الشرائع، وما أمر الله أبدًا بعبادة آلهة من دونه على لسان أحد من رسله[1].

ولو استُعرضت دعوة الأنبياء عليهم السلام كما وردت في القرآن الكريم – على التفصيل- لوُجد أنّ مسألة افراد الله تعالى بالعبادة كانت لبّ دعوة كلّ نبيّ من الأنبياء وروحها :

فهذا نوح وهو أوّل رسول إلى أهل الأرض، يخبرنا الله تعالى عن دعوته لقومه فيقول سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ۝٢٦﴾ [هود : 25-26].

• ويقول سبحانه عن هود : ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٦٥﴾ [الأعراف : 65].

وأجاب قومه معبّرين عن حقيقة دعوته لهم بقولهم كما حكى الله عنهم : ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ﴾ [الأعراف: 70].

• ويقول سبحانه عن صالح : ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ [هود:61].

• ويقول سبحانه عن إبراهيم : ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ۝٢٧﴾ [الزخرف:26-27].

• ويخبر تعالى عن إنكار إبراهيم عبادة قومه لما سوى الله فيقول: ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ۝٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٦٧﴾ [الأنبياء:66-67].

4- ينظر فتح القدير للشوكاني4/557.

• ويوصي يعقوب أبناءه بعبادة الله وحده كما قال تعالى: (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾) [البقرة: 133].

• ويخبر الله سبحانه عن قول يوسف لصاحبيه في السجن : (يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ

أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾) [يوسف: 39-40].

• ويقول سبحانه عن موسى: (وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾) [الأعراف: 138-140].

• ويقول سبحانه عن عيسىυ : (وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ

إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾) [المائدة: 72].

ولم تكن بعثة محمّد صلى الله عليه و سلم إلاّ امتدادًا لدعوة من سبقه من الأنبياء، فكان أوّل ما يتحقق به الدخول في الإسلام : شهادة أن لا إله إلاّ الله التي تعني أنّه لا يستحق أن يُعبد أحدٌ إلاّ الله.

ولأجل هذه الدعوة وفي حقوقها وواجباتها أنزل عليه القرآن:

• قال تعالى: (الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ) [هود : 1-2].

أي أنزل هذا القرآن المحكم المفصّل لعبادة الله وحده لا شريك له[1].

• وقال تعالى:(قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٠٤) [يونس: 104].

وهذا أمر من الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه و سلم بأنّ يخاطب المشركين بقوله : إن كنتم في شك من ديني الذي أنا عليه وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فاعلموا أنّي بريء من أديانكم التي أنتم عليها.

" فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡ" أي أخصّه بالعبادة لا أعبد غيره من معبوداتكم[2].

• و قال تعالى: (قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ) [آل عمران:64].

أي قل يا أيّها الرسول لليهود والنصارى ومن جرى مجراهم : **" تعالوا إلى كلمة سواء"** : أي إلى كلمة عدل ونصف بيننا وبينكم وهي أن نوّحد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه فلا

نشرك به شيئًا : لا وثنا ولا صليبًا ولا صنمًا ولا طاغوتًا ولا نارًا[3].

1- ينظر تفسير ابن كثير 535/3 و تفسير الطبري 622/6 والتفسير الكبير للرازي 150/17وتفسير الكشاف للزمخشري 364/2 وتفسير القرطبي 9 / 4 وروح المعاني للألوسي206/11 وفتح القدير للشوكاني480/2.

2- ينظر فتح القدير للشوكاني477/2 وتفسير أبي السعود 711/2 والتفسير الكبير للرازي 144/17 وتفسير ابن كثير 532/3.

1- ينظر تفسير ابن كثير 53/2 و تفسير الطبري 299/3 والتفسير الكبير للرازي 80/8 وروح المعاني للألوسي 193/3 وفتح القدير للشوكاني348/1 .

• وقال تعالى: (قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦) [سورة الكافرون].

ورد في سبب نزول هذه السورة أنّ كفّار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه و سلم: يا محمّد هلمّ فلتعبد ما نعبد، و نعبد ما تعبد، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كلّه، فإن كان الذي نحن عليه أصحّ من الذي أنت عليه كنت قد أخذت منه حظّا، وإن كان الذي أنت عليه أصحّ من الذي نحن عليه كنّا قد أخذنا منه حظّا. فأنزلت هذه السورة[1].
و باستعراض هذا كلّه يظهر جلّيا أنّ اعتقاد استحقاق الله تعالى للعبادة دون سواه، ركن أساس لا يتم الإيمان بالله ولا يصحّ إلاّ به.
وقد كان مشركو قريش الذين وقفوا بوجه النبي صلى الله عليه و سلم وحاربوا دعوته يقرّون بوجود الله تعالى، وأنّه خالق هذا الكون ومدبّر أموره:

• قال تعالى: (وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ) [لقمان : 25].

• وقال تعالى: (قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ۝٨٩) [المؤمنون : 84-89].

• وقال تعالى: (قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ

أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١) [يونس : 31].

2- ينظر الدرّ المنثور للسيوطي 712/15 و تفسير الطبري 728/12 لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص 343.

لكنّ إقرارهم هذا لم يكن كافيًا، فلم يخرجوا به من الكفر، ولا استحقوا بموجبه وصف الإيمان، ذلك أنّهم أنكروا استحقاق الله تعالى وحده العبادة والتأليه، كما قال تعالى عنهم: (وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾) [يوسف : 106].

أي أنّهم إذا سئلوا من خالقكم ورازقكم؟ قالوا : الله. لكنّهم يجعلون له شركاء يعبدونهم معه [1].

• وقال سبحانه عنهم : (وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾)[ص: 4-5]

أي أجعل محمّد المعبودات كلّها واحدًا يسمع دعاءنا جميعنا ويعلم عبادة كلّ عابد عبده منّا ،إن هذا لشيء عجيب[2].

• وقال تعالى:(أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿١٩﴾) [الأنعام : 19].

أي لا أشهد بما تشهدون به من وجود آلهة أخرى تستحق أن تعبد مع الله، بل أبعد ذلك وأنكره، إنّما هو معبود واحد لا شريك له فيما يستوجب على خلقه من العبادة[3].

إذا تقرّر هذا، فإن بيان هذا الأصل العظيم بيانًا تامًا يستدعي بيان معنى العبادة وإيضاح مفهومها:

مسمى العبادة في اللغة وفي القرآن الكريم:

أمّا في اللّغة فمعاني مادة ÷ **عبد** × ترجع إلى الخضوع والتذلل[4]، أي استسلام المرء وانقياده لأحد غيره انقيادًا تامًا، لا مقاومة معه ولا عدول عنه ولا عصيان له، حتى يستخدمه هو حسب ما يرضى وكيفما يشاء.

تقول العرب: بعير معبّد: للبعير السلس المنقاد.

وطريق معبّد : إذا كان مذلّلاً بكثرة الوطء.

والعبد : المملوك ، وهو خلاف الحرّ، وسمي عبدًا لأنّه خاضع لأمر سيّده طائع له لا يملك من أمره شيئًا.

1- ينظر تفسير الطبري 312/7 وتفسير الكشاف للزمخشري 488/2 والتفسير الكبير للرازي 184/18 وروح المعاني للألوسي67/13.

2- ينظر تفسير الطبري 550/10 .

3- المصدر السابق 163/5.

4- ينظر مادة عبد في لسان العرب لإبن منظور 239/4 وأساس البلاغة للزمخشري ص431ومختار الصحاح للرازي ص 377.

وهذا المعنى اللغوي الذي هو الخضوع والتذلّل هو نفسه المعنى الذي قصد بالعبادة في القرآن الكريم[1] غير أنّه على ضربين : عام وخاص، ذلك أنّ لله تعالى أوامر كونية وأوامر شرعية. أمّا أوامر الله تعالى الكونية من خلق ورزق، وإحياء وإماتة ،وإذلال وإعزاز ،وإفقار وإغناءٍ، فيخضع لها جميع الخلق ؛ الحي والجماد، والإنس والجنّ، والمؤمن والكافر ،والبرّ والفاجر، فما شاء الله كان وإن لم يشاؤوا ،وما شاؤوه إذا لم يشأه لم يكن .

فالجميع معبّدون لله تعالى باعتبار جريان مشيئته الكونية فيهم سواءًا اعترفوا بذلك أو أنكروه، وسواءًا علموا ذلك أو جهلوه.

• قال تعالى :(وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ فِي مَن ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾) [ال عمران:83].

فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله ، والكافر مستسلم لله كرها؛ فإنّه تحت التسخير والقهر

والسلطان العظيم الذي لا يمانع ولا يخالف[2].

والعبودية بهذا الاعتبار هي العبودية بالمعنى العام الواردة في مثل:

• قوله تعالى:(إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾)[مريم: 93]

• و قوله سبحانه:(وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾)[الأنعام: 18].

• و قوله سبحانه:(وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾) [غافر:31].

فالمقصود بوصف "العباد" في هذه الآيات ؛ ما يشترك فيه عامة الخلق من كونهم معبّدين خاضعين لقهر الله ومشيئته، لا يملك أي واحد منهم شيئًا من خصائص الربوبية.

وأمّا أوامر الله الشرعية فهي التي أرسل بها رسله، وأنزل بها كتبه، وامتحن بها عباده لتبيّن المؤمن من الكافر، والمطيع من العاصي.

والخضوع والتذلّل بامتثال هذه الأوامر الشرعية هو العبودية بالمعنى الخاص الواجب على المكلّفين من الخلق تحقيقها، وهي التي ورد في القرآن الكريم مدح المتصفين بها الذين هم الصفوة من الخلق. • قال الله تعالى: (وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ

1- ينظر تفسير الطبري 98/1 وتفسير الكشاف للزمخشري 23/1 والتفسير الكبير للرازي 240/1 وتفسير ابن كثير 46/1 و روح المعاني للألوسي 86/1 و التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور 180/1 .

2- ينظر تفسير ابن كثير 66/2.

ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾) [الفرقان: 63].

• وقال سبحانه: (يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾)[الزخرف: 68].

• وقال سبحانه : (إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٦﴾) [الإنسان: 5-6].

وهذا التذلل والخضوع بالمعنى الخاص هو المقصود بالبيان هنا فأقول:
إنّ تتبع آي القرآن الكريم يرشد إلى أنّ العبادة بالمعنى الخاص تتجسد في صورتين اثنتين:

- **التألّه والتنّسك**
- **والطاعة والانقياد**

أوّلاً: التألّه والتنّسك :والمراد به التقرّب إلى الله بشعائر العبادات من صلاة وصيام وصدقة وحج ودعاء وذبح ونذر ونحوها.

• قال تعالى: (قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾) [الأنعام: 162].

والمراد **بصلاتي** هنا جنس الصلاة فيدخل فيه جميع أنواعها[1].
ونسكي : قال سعيد بن جبير والسدّي والضحّاك : نسكي أي ذبحي، وعن مجاهد : النّسك الذبح في الحج والعمرة[2].
وقال الزجاج : **÷ نسكي** : أي عبادتي من قولهم نسك فلان هو ناسك إذا تعبّد **×**[3].
فيدخل فيه كلّ ما يتقرّب به إلى الله تعالى من صلاة وحج وذبح وصدقة، فيكون من عطف العام على الخاص[4].
ومحياي ومماتي: أي ما أعمله في حياتي وعند مماتي من أعمال الخير[5].
لله ربّ العالمين لا شريك له : أي أفرده بالتقرّب بها إليه دون سواه[6].
وبذلك أمرت : أي بالإخلاص في الطاعة وجعلها لله وحده أمرت وأنا أوّل المسلمين[7].

1- ينظر روح المعاني للألوسي 70/8 وفتح القدير للشوكاني 185/2.
2- ينظر تفسير الطبري 420/5 وتفسير ابن كثير 3/ 139 وتفسير القرطبي 99/7.
3- ينظر تفسير القرطبي 99/7 وروح المعاني للألوسي 70/8 .
4- ينظر روح المعاني للألوسي 70/8.
1- ومن أعمال الخير عند الوفاة الوصية بالصدقات وأنواع القربات ينظر تفسير القرطبي 99/7 وروح المعاني للألوسي70/8 والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور201/8.
2- ينظر تفسير القرطبي 99/7 .
3- ينظر فتح القدير للشوكاني185/2.

• وقال تعالى: (إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢) [الكوثر :1-2].

أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، فأخلص لربّك صلاتك ونحرك، فاعبده وحده لا شريك له، وانحر لوجهه وباسمه إذا نحرت[1].

قال محمّد بن كعب القرظي : ÷ إنّ ناسًا كانوا يصلّون لغير الله وينحرون لغير الله فأمر الله نبيّه صلى الله عليه و سلم أن تكون صلاته ونحره له×[2].

قال الطاهر بن عاشور : ÷ أفادت اللام من قوله " **لِرَبِّك** " أنّه يخصّ الله بصلاته فلا يصلّي لغيره، وفيه تعريض بالمشركين بأنّهم يصلّون للأصنام بالسجود لها والطواف حولها.

وعطف **"وانحر"** على " **فَصَلِّ لِرَبِّك** " يقتضي تقدير متعلّقه مماثلا لمتعلّق " **فصلّ لربّك"** لدلالة ما قبله عليه، كما في قوله تعالى: (أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ)[مريم: 38] .

أي أسمع بهم وأبصر بهم.

فالتقدير: فصلّ لربّك وانحر له،وهو إيماء إلى إبطال نحر المشركين قربانًا للأصنام×[3].

• وقال تعالى: (وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ۝٣٧) [فصّلت: 37].

لمّا كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي، و وجد من النّاس من يعبدهما من دون الله كالصائبة وسبأ وبعض العرب؛ نبّه الله تعالى على أنّهما مخلوقان عبدان من عبيده ،تحت قهره وتسخيره، فقال: لا تسجدوا أيّها النّاس للشمس ولا للقمر فإنّهما وإن جريا في الفلك بمنافعكم، فإنّهما يجريان بها لكم بإجراء الله إيّاهما، فله فاسجدوا وإيّاه فاعبدوا[4].

والسجود عبارة عن نهاية التعظيم،وهو أقصى مراتب العبادة فلا ينبغي أن يكون إلاّ لله[5].

قال الطاهر بن عاشور : ÷ وقوع قوله" **وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ** " بعد النهي عن السجود للشمس والقمر ؛ يفيد مفاد الحصر لأنّ النهي بمنزلة النفي، ووقوع

4- ينظر تفسير الطبري 724/12 وتفسير الكشاف للزمخشري 802/4 وتفسير ابن كثير 388/7.
5- ينظر تفسير القرطبي 149/20 و الفتح القدير للشوكاني 502/5 .
6- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 574/30.
1- ينظر تفسير الطبري 112/11 وتفسير ابن كثير 179/6.
2- ينظر التفسير الكبير للرازي 144/27 وروح المعاني للألوسي125/24.

الإثبات بعده بمنزلة مقابلة النفي بالإيجاب، فيكون بمنزلة النفي والاستثناء في إفادة الحصر؛ فكأنّه قيل"لا تسجدوا إلاّ لله" ×[1].

• وقال تعالى:(ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾) [الأعراف: 55].

أي اسألوا ربّكم وتوّجهوا إليه بطلب حوائجكم تذللاً له واستكانة بين يديه[2] .

والدعاء من أجلّ العبادات لما فيه من الخضوع والتذلّل لله، وإظهار الإفتقار بين يديه وتعليق الرجاء به، لهذا فإنّه يطلق في القرآن على العبادة بمفهومها العام كما يطلق على السؤال والطلب:

• قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾) [غافر: 60].

فقد فُسِّر الدعاء هنا بمعنى العبادة: أي اعبدوني مخلصين لي العبادة أثبكم وأغفر لكم ،وهو قول ابن عبّاس ومجاهد[3].

كما فسِّر بمعنى السؤال بجلب النفع ودفع الضر: أي اسألوني أعطكم، وهو المروي عن السدّي[4].

وكلا قولين صحيح[5]، فسؤال الله تعالى والطلب منه أجلّ العبادات قال ابن عبّاس: ÷ أفضل العبادة الدعاء ×[6].

كما أنّ العبادة دعاء من حيث المعنى حيث إنّ المتقرّب إلى الله بالذكر والتلاوة والصلاة ونحوها طالب لثواب الله وراغب في جزائه.

و عن النعمان بن بشير قال: قال الرسول صلى الله عليه و سلم **:÷ الدعاء هو العبادة** ثم قرأ : **(وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين) ×**[7].

3- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور300/24.

4- ينظر تفسير الطبري 514/5 وتفسير الكشاف للزمخشري 106/2 وتفسير ابن كثير 179/3 وفتح القدير للشوكاني213/2.

5- ينظر تفسير الطبري 72/11 وروح المعاني للألوسي81/24.

6- ينظر المصدرين السابقين 73/11 و81/24 و ينظر في توجيه تفسير الدعاء هنا بالسؤال تفسير الكشاف للزمخشري 170/4 والتفسير الكبير للرازي73/27 وفتح القدير للشوكاني498/4.

7- ينظر مجموع الفتاوى لإبن تيمية 141/10.

8- رواه الحاكم في المستدرك كتاب الدعاء و التكبير والتهليل 1/ 667 رقم 1805 وصحّحه و وافقه الذهبي .

1- أبو داود **كتاب** الصلاة **باب** الدعاء 76/2 رقم 1479 و الترمذي **كتاب** تفسير القرآن **باب** ومن سورة البقرة 194/5 رقم 2969 وقال حسن صحيح وابن ماجه **كتاب** الدعاء **باب** فضل الدعاء 1258/2 رقم 3828.

قال الطاهر بن عاشور عند تفسير هذه الآية : ÷ الدعاء يطلق على سؤال العبد من الله حاجته وهو ظاهر معناه في اللغة.
ويطلق على عبادة الله على طريق الكناية لأنّ العبادة لا تخلو من دعاء المعبود بنداء تعظيمه والتضرّع إليه، وهذا إطلاق أقلّ شيوعًا من الأوّل.
والاستجابة تطلق على إعطاء المسؤول لمن سأله وهو أشهر إطلاقها، وتطلق على أثر قبول العبادة بحصول الثواب على أعمال الإيمان.
فلمّا جمعت الآية بين الفعلين على تفاوت بين شيوع الإطلاق في كليهما ؛علمنا بأنّ في المعنى المراد ما يشبه الإحتباك بأنّ صرّح بالمعنى المشهور في كلا الفعلين، ثمّ أعقب بقوله : " إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي" فعلمنا أنّ المراد الدعاء والعبادة، وأنّ الاستجابة أريد بها قبول الدعاء وحصول أثر العبادة، وذلك من الإيجاز والكلام الجامع×[1].

• و قال تعالى : (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾) [العنكبوت: 17].

أي أنّ من تعبدونهم من دون الله لا يقدرون على أن يرزقوكم شيئًا، فاصرفوا رغبتكم في أرزاقكم إلى الله فاسألوه وحده دون غيره[2].
وتقديم الظرف في قوله " فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ " يفيد الاختصاص وهو أبلغ في الحصر[3] .

و لام التعريف في " **الرزق**" لام الجنس المفيدة للاستغراق، أي فاطلبوا كلّ رزق قلّ أو كثر من الله تعالى دون غيره[4].
ويستفاد من هذه الآيات أنّ ما شرعه الله لعباده وأمرهم بالتقرّب به إليه لا يجوز أن يصرف لغيره سبحانه، وإلاّ كان ذلك عبادة لآلهة من دون الله.

ثانياً :الطاعة والإنقياد : جاء لفظ العبادة في القرآن الكريم مرادًا به الطاعة والانقياد في آيات كثيرة منها :

• قوله تعالى : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾) [يس:60-61].

2- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور182/24.
3- ينظر زاد المسير لإبن الجوزي 264/6 وفتح القدير للشوكاني197/4.
4- ينظر تفسير ابن كثير 314/5.
1- ينظر التحرير والتنتوير للطاهر بن عاشور226/20.

فليس المراد بالعبادة هنا التأليه إذ لا يؤلّه الشيطان ويتنسّك له أحد من البشر ، بل جميعهم مطبقون على ذمّه ولعنه، وإنّما المراد الطاعة والانقياد فيكون معنى الآية : ألم أوصكم وأبلّغكم على ألسنة
الرسل أن لا تعبدوا الشيطان فتطيعوه في معصيتي وأن إياي فأطيعوا؟ [1].

• وقال تعالى حاكياً قول إبراهيم لأبيه: (يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ

لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾) [مريم: 44].

أي لا تطعه فيما يأمرك به من الكفر [2].
وجعل الله تعالى من أطاع هواه في كلّ ما يأتي ويذر، دون تبصّر دليل ولا إصغاء إلى برهان بمثابة العابد له المتخذ له إلهاً:

• قال سبحانه: (أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾)
[الفرقان : 43].

قال ابن عباس في معنى " ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ " : ÷ كلما هوى شيئًا ركبه، وكلما اشتهى شيئًا أتاه × [3] ، وروي مثل ذلك عن الحسن [4].
قال الرازي : ÷كلّ ما دعى إليه الهوى انقاد له سواءًا منع الدليل منه أولم يمنع× [5].
وقال الشوكاني : ÷ أطاع هواه كطاعة الإله× [6].
وقال الألوسي :÷ أطاع هواه وبنى عليه أمر دينه معرضًا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النيّر× [7].
ومن هنا فإنّ الاعتراف بكون الله تعالى مستحقًا التأليه والعبادة يقتضي حتمًا الاعتراف له باستحقاق الطاعة؛ فلا يطاع لذاته أحد سواه.

2- ينظر تفسير الطبري 457/10 وتفسير الكشاف للزمخشري 22/4 وتفسير القرطبي 32/15 والتفسير الكبير للرازي 26 /90.
3- ينظر تفسير القرطبي 75/11 و التفسير الكبير للرازي 205/21 وتفسير ابن كثير 460/4 وفتح القدير للشوكاني337/3.
1- ينظر روح المعاني للألوسي24/19.
2- ينظر تفسير القرطبي 26/13 .
3- التفسير الكبير للرازي 80/24.
4- فتح القدير للشوكاني77/4.
5- روح المعاني للألوسي 23/19.

• قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾) [الذاريات: 56].

قال مجاهد: ÷أي ما خلقت الجنّ والإنس إلاّ لآمرهم وأنهاهم ×[1].

• وقال تعالى عن نفسه : (أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ) [الأعراف: 54].

أي أنّه سبحانه وحده الخالق، وهو سبحانه وحده الآمر[2].

• وقال تعالى : (قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾)[الكهف: 26].

أي أنّ الحكم له وحده جلّ وعلا لا حكم لغيره البتّة[3].

وفي قراءة ابن عامر : " **ولا تشرك** " بضمّ التاء المثنّاة الفوقية وسكون الكاف[4]، بصيغة النهي أي أخلص الحكم لله من شوائب شرك غيره فيه[5].

وقال تعالى: (وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ) [الشورى: 10].

قال ابن كثير : ÷ أي مهما اختلفتم فيه من الأمور " **فحكمه إلى الله** " أي هو الحاكم فيه بكتابه وسنّة نبيّه " **ذلكم الله ربّي**" أي الحاكم في كلّ شيء " **عليه توكّلت وإليه أنيب**" أي إليه أرجع في جميع الأمور×[6].

• وقال تعالى: (إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ) [يوسف:40].

• وقال تعالى:(أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ) [الأنعام :114]

وقال تعالى: (إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾) [الأنعام:57].

فهذه الآيات صريحة في أنّ الحكم على الأفعال والأشياء بالتحليل والتحريم، والهدى والضلال، والحسن والقبح، والخطأ والصواب ، هو لله وحده، وما على العباد سوى القبول بحكمه والانقياد لأمره.

6- ينظر تفسير القرطبي 38/17.

7- والأمر هنا شامل للأمر الكوني والأمر الشرعي، ينظر شفاء العليل لابن القيم ص 110، وينظر في التفريق بين الأمر الكوني والشرعي ما سبق ذكره في ص 58 من هذا البحث.

8- ينظر أضواء البيان للشنقيطي 90/4.

1- ينظر التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص 110 وغيث النفع في القراءات السبع للنوري ص .370

2- ينظر أضواء البيان للشنقيطي 90/4.

3- تفسير ابن كثير 191/6.

كما قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾) [الأحزاب:36].

أي لا يحلّ لمن يؤمن بالله إذا قضى الله أمرًا أن يختار من أمر نفسه ما شاء، بل يجب عليه أن يذعن
للقضاء، ويوقف نفسه تحت ما قضاه الله عليه واختار له[1].

• ومثل ذلك قوله تعالى: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾) [النور:51].

وكلّ من جعل حقّ الأمر والنهي والتحليل والتحريم لأحد غير الله تعالى فقد عبده من دون الله:

• قال تعالى عن اليهود والنصارى : (ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾) [التوبة: 31].

ومعنى اتّخاذ الأحبار والرهبان[2] أربابًا من دون الله طاعتهم في تحريم ما أحلّ الله، وتحليل ما حرّم الله[3].

فعن عدّي بن حاتم τ قال : « أتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدّي : اطرح هذا الوثن من عنقك قال : فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة فقرأ هذه الآية ÷ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ × قال : قلت يا رسول الله إنّا لسنا نعبدهم. قال أليس يحرّمون ما أحلّ الله فتحرّمونه ويحلّون ما حرّم الله فتحلّونه؟ قال : قلت : بلى. قال : فتلك عبادتهم »[4].

4- ينظر فتح القدير للشوكاني283/4 و التفسير الكبير للرازي 184/25.

1- الأحبار : هم علماء اليهود والرهبان علماء النصارى .ينظر الدر المنثور للسيوطي 10/ 324 و فتح القدير للشوكاني353/2.

2- ينظ ر تفس ير الطب ري 354/6 تفس ير الكش اف للزمخش ري 256/2 التفس ير الكبي ر لل رازي 32/16تفسير أبو السعود 543/2 و روح المعاني للألوسي 84/10 فتح القدير للشوكاني 353/2.

3- الترمذي **كتاب** تفسير القرآن **باب** ومن سورة التوبة 259/5 رقم 3095 وقال حديث غريب، وحسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة 861/7 رقم 3293.

وعن حذيفة τ قال : « أما إنّهم لم يكونوا يصومون لهم، ولا يصلّون لهم ولكن كانوا إذا أحلّوا لهم شيئًا استحلّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئًا حرّموه فتلك كانت ربوبيتهم »[1].

وقوله تعالى "وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ " عطف على "أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ " أي أنّهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابًا من دون الله[2].

واتخاذ المسيح ربًّا إنّما كان بعبادته عبادة تألّه وتنسك بزعم أنّه ابن الله[3]-تعالى الله عمّا يقولون علوًا كبيرًا-

وعليه فالآية جمعت بين اتخاذهم المسيح ربًّا ربوبية عبادة وشعائر، واتخاذهم الأحبار والرهبان أربابًا ربوبية شرائع وأوامر، وقرّرت أنّ ذلك كلّه مخالف لما أمروا به من عبادة إله واحد ،وأنّه شرك ينزّه الله تعالى عنه[4] فقال سبحانه: (وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾) [التوبة: 31].

أي سبحانه أن يكون له شريك في الأمر والتكليف، وأن يكون له شريك في كونه مسجودًا ومعبودًا، وأن يكون له شريك في وجوب التعظيم والإجلال[5].

• وقال تعالى: (وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾) [الأنعام : 121].

جاء في سبب نزول هذه الآية أنّ المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه و سلم: يا محمّد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ قال: الله قتلها. قالوا : فتزعم أنّ ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتل الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام. فأنزل الله هذه الآية[6].

4- ينظر تفسير الطبري 354/6 و 355.

5- ينظر تفسير الطبري 355/6 وروح المعاني للألوسي84/10.

6- ينظر تفسير الكشاف للزمخشري 256./2

1- ينظر في ظلال القرآن لسيّد قطب 1642/3 وخصائص التصورّ الإسلامي ومقوماته له أيضًا ص 197.

2- ينظر التفسير الكبير للرازي 33/16 و تفسير الطبري 355/6 وتفسير أبو السعود 545/2 وفتح القدير للشوكاني354/2

3- وعلى هذا يكون المراد بالشياطين في الآية إبليس وجنوده. وفي رواية عن عكرمة قال : المراد بالشياطين هنا المجوس من أهل فارس فإنّهم لمّا أنزل الله تحريم الميتة كتبوا إلى مشركي قريش - وكانوا أولياءهم في الجاهلية وكان بينهم مكاتبة- إنّ محمّدًا وأصحابه يزعمون أنّهم يتّبعون أمر الله ثم يزعمون أنّ ما ذبحوا فهو حلال وما ذبح الله فهو حرام. فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك فأنزل الله هذه الآية. ينظر تفسير الطبري 325/5 و 326 والتفسير الكبير للرازي140/13 .

فمعنى قوله تعالى" وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ " أي إن أطعتموهم في أكل ما نهيتكم عنه واستحللتموه فإنّكم مشركون حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره فقدمتموه عليه،
فهذا هو الشرك[1].

قال الزجاج: ÷ فيه دليل على أنّ كلّ من أحلّ شيئًا ممّا حرّم الله تعالى أو حرّم شيئًا ممّا أحلّ الله تعالى فهو مشرك، وإنّما سُمي مشركًا لأنّه أثبت حاكمًا سوى الله تعالى وهذا هو الشرك ×[2].

الأصل الثاني: الإيمان بنبوّة محمّد صلى صلى الله عليه و سلم

وهذا الأصل هو الشطر الثاني من الشهادة التي لا يتحقق إسلام أحد من الناس إلاّ بها، وهي شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّدًا رسول الله.
واستقراء آي القرآن الكريم المبيّنة لهذا الأصل يدلّ على أنّه يتضمن التصديق بأربعة أمور:

الأوّل: أنّ النبي صلى الله عليه و سلم **مبلّغ عن الله تعالى** : ومعنى ذلك أنّه صلى الله عليه و سلم لا يأتي بشيء من عنده، ولا ينقص شيئًا ممّا أُمر بتبليغه.

- قال الله تعالى:(وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤)[النجم:1-4].

أي ما يقول محمّد صلى الله عليه و سلم شيئًا عن هوى وغرض ،بل هو وحي يوحيه الله إليه، فيبلّغه إلى الناس كاملاً موفورًا من غير زيادة ولا نقصان[3].

قال الشنقيطي : ÷معنى قوله تعالى " إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ " أنّ النبي صلى الله عليه و سلم لا يبلّغ عن الله إلاّ شيئًا أوحى الله إليه أن يبلّغه×[4].

والآية وإن كان المقصود بها الردّ على زعم مشركي قريش أنّ القرآن أساطير الأوّلين ، و أنّه إفكٌ مفترى، إلاّ أنّها شاملة أيضًا لما يصدر عن النبي صلى الله عليه و سلم من غير القرآن[5].

قال الطاهر بن عاشور :÷ نفي النطق عن هوى يقتضي نفي جنس ما ينطق به عن الاتصاف بالصدور عن هوى، سواءًا كان القرآن أو غيره من الإرشاد النبوي، ولكنّ القرآن هو المقصود×[1].

4- ينظر تفسير الطبري 330/5 وتفسير الكشاف للزمخشري 59/2 وتفسير ابن كثير 93/3 .
5- معاني القرآن وإعرابه للزجاج232/2 وذكر مثله النحّاس في كتابه معاني القرآن352/1.
1- ينظر تفسير ابن كثير 442/6 وينظر تفسير الطبري504/11 وتفسير الكشاف للزمخشري408/4 .
2- أضواء البيان للشنقيطي 702/7.
3- ينظر فتح القدير للشوكاني105/5 وروح المعاني للألوسي46/27.

وعن عبد الله بن عمرو قال : **«كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله** صلى الله عليه و سلم **أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا أتكتب كلّ شيء تسمعه ورسول الله** صلى الله عليه و سلم **بشر يتكلّم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله** صلى الله عليه و سلم **فأومأ بأصبعه إلى فيه فقال : اكتب ؛ فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلاّ حق»**[2].

• وقال الله تعالى:(وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾) [يونس : 15].

أي إذا قرئت على المشركين آيات كتاب الله بيّنات واضحات قالوا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله، واختُلف في التبديل الذي طلبوه[3]:

فقيل إنّهم طلبوا أن يبدّل الوعد وعيدًا والوعيد وعدًا.

وقيل طلبوا إسقاط ما في القرآن من عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم.

وقيل طلبوا إسقاط ما فيه ذكر البعث والنشور.

وأيًّا من ذلك كان ، فقد أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه و سلم أن يجيبهم بقوله :

" ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي": أي ما ينبغي وما يحلّ لي أن أبدّله من قبل نفسي من غير أن يأمرني بذلك ربّي[4].

"إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ " : أي لا آتي ولا أذر شيئًا من نحو ذلك إلاّ متّبعًا لوحي الله وأوامره، من غير تبديل ولا تحويل، ولا تحريف ولا تصحيف[5].

"إنّي أخاف إن عصيت ربّي "بالتبديل من عند نفسي **"عذاب يوم عظيم"**[6].

• وقال الله تعالى: (وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ) [الأعراف : 104-105].

قال الطبري: « قرأ جمهور القراء " حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ " بإرسال الياء من على وترك تشديدها، بمعنى أنا حقيق بأن لا أقول إلاّ الحق،

4- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 93/27.

5- أبو داود **كتاب** العلم **باب** في كتابة العلم 318/3 رقم 3646 وصححه الألباني كما في صحيح أبي داود 408/2 رقم 3646.

1- ينظر تفسير القرطبي 203/8.

2- ينظر تفسير الكشاف للزمخشري323/2.

3- ينظر المصدر السابق 323/2 و فتح القدير للشوكاني430/2.

4- ينظر تفسير البيضاوي7/3 والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور119/11.

فوّجهوا معنى على إلى معنى الباء، كما يقال : رميت بالقوس وعلى القوس، وجئت على حال حسنة وبحال حسنة، وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : إذا قرئ ذلك كذلك فمعناه حريص على أن لا أقول إلاّ الحق.
وقرأ نافع **" حقيق عليّ أن لا أقول على الله إلاّ الحق"** مشدّد الياء بمعنى واجب عليّ أو حق عليّ أن لا أقول على الله إلاّ الحق»[1].
وعلى كلا القراءتين فالمعنى أنّي رسول، والرسول لا يقول على الله إلاّ الحق.
قال الرازي : « بنى موسى كلامه على مقدّمتين :
الأولى : أنّه رسول من الله.
و**الثانية** : أنّ الرسول لا يقول على الله إلاّ الحق.
واكتفى بذكر ما يدلّ على صحة المقدمة الأولى بقوله **" قد جئتكم بآية من ربّكم"** دون ما يدّل على صحّة الثانية لكونها جليّة ظاهرة »[2].

• وقال الله تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ) [المائدة : 67].

أي بلّغ أيّها الرسول جميع ما أنزل إليك وأي شيء أنزل إليك؛ غير مراقب في تبليغه أحدًا ولا خائفًا أن ينالك مكروه[3].

" وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُ ": قال ابن عباس: أي إن كتمت آية ممّا أنزل عليك من ربّك لم تبلّغ رسالتي[4].

قال الزمخشري:÷ في قوله تعالى: **"وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُ"** وجهان :

أحدهما: أن يراد إن لم تبلغ منها أدنى شيء ولو كلمة واحدة فأنت كمن ركب الأمر الشنيع الذي هو كتمان كلّها، كنحو قوله تعالى: (مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا) [المائدة : 32].

والثاني : أن يراد : فإن لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كلّه من العقاب×[5].
قال الطاهر بن عاشور : ÷ يفهم من قوله **" وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته"** أن تلك المنزلة لا تليق بالرسل وأنّ الرسول لا يكتم شيئًا ممّا أرسل به×[6].

1- تفسير الطبري 15/6.
2- التفسير الكبير للرازي 166/14.
3- ينظر تفسير الكشاف للزمخشري645/1 وتفسير النسفي 342/1 .
4- ينظر تفسير الطبري647/4 وتفسير القرطبي 157/6 وتفسير ابن كثير609/2.
5- تفسير الكشاف للزمخشري 646./1
1- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور262/6.

وعن مسروق أن عائشة رضي الله عنها قالت : ÷ من حدّثك أنّ محمّدًا صلى الله عليه و سلم كتم شيئًا من الوحي فقد كذب، والله يقول: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ) ×[1].

وإضافة إلى هذه الآيات الدالّة على أنّ بلاغ النبيّ صلى الله عليه و سلم للرسالة كامل غير ناقص وردت آيات أخرى دالّة على أنّ هذا البلاغ بيّن واضح غير ملتبس:

- قال الله تعالى:(وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ) [إبراهيم: 4]،

أي ليفهمهم ما أرسله الله به إليهم؛فلا يكون لهم حجّة على الله في أنّهم لم يفهموا ما خوطبوا به.[2]

- قال الله تعالى:(فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٩٢) [المائدة : 92].

قال الطبري :÷ أي ليس على من أرسلناه إليكم بالنذارة غير إبلاغكم الرسالة التي أرسل بها إليكم مبيّنة لكم بيانًا يوّضح لكم سبيل الحق والطريق الذي أمرتم أن تسلكوه×[3].

قال البقاعي: ÷ " **البلاغ المبين**" أي البيّن في نفسه الموّضح لكلّ من سمعه ما يراد منه ×[4].

<u>الثاني</u>: أنّ طاعة النبيّ صلى الله عليه و سلم **واجبة**: وهذا من لوازم الأمر الأوّل الذي هو كون النبيّ صلى الله عليه و سلم مبلّغ عن الله:

- قال الله تعالى: (مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠) [النساء:80].

أي أنّ من أطاع الرسول صلى الله عليه و سلم فهو في الحقيقة ما أطاع إلاّ الله تعالى؛ إذ هو سبحانه الآمر الناهي في الحقيقة، وما النبيّ صلى الله عليه و سلم إلاّ مبلّغ لأمره ونهيه[5].

2- البخاري **كتاب** تفسير القرآن **باب** (يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ) /227 رقم 4612ومسلم **كتاب** الإيمان **باب** قول الله Y (وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ) 139/1 رقم 287 .

3- ينظر تفسير الطبري 415/7 وتفسير الكشاف للزمخشري517/2 وفتح القدير للشوكاني94/3.

4- تفسير الطبري37/5.

5- نظم الدرر للبقاعي537/2.

1- ينظر التفسير الكبير للرازي 169/10 وتفسير الكشاف للزمخشري528/1 والبحر المحيط لأبي حيان724/3 وتفسير أبو السعود 742/1.

• وقال الله تعالى:(وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ)[النساء : 64].

أي ما من رسول أرسل ،إلاّ وفرضت طاعته على من أرسل إليهم[1].

• وقال الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩) [النساء : 59].

يقول ابن القيّم : « افتتح الله تعالى هذه الآية بالنداء باسم الإيمان المشعر بأنّ المطلوب من المخاطبين بها من موجبات هذا الإسم ،كما يقال : يا من أنعم الله عليه وأغناه أحسن كما أحسن الله إليك، ويا أيّها العالم علّم الناس ما ينفعهم، ويا أيّها الحاكم أحكم بالحق ونحو ذلك.

والمعنى أنّكم إن كنتم مؤمنين فالإيمان يقتضي منكم طاعة الله وطاعة رسوله وأولي الأمر منكم.

وأعاد سبحانه الأمر بالطاعة عند قوله " وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ " ليدلّ على أنّ طاعة الرسول صلى الله عليه و سلم واجبة استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب، فلا يتوّهم متوّهمٌ أنّ ما يأمر به الرسول إن لم يكن في القرآن وإلاّ فلا تجب طاعته فيه.

بخلاف أولي الأمر حيث لم يعد الأمر بالطاعة عند ذكرهم إيذانًا بأنّهم إنّما يطاعون تبعًا وضمنًا لطاعة الرسول، إذا أمروا بما أمر به ونهوا عمّا نهى عنه، ولا تجب طاعتهم في كلّ ما يأمرون به وينهون عنه»[2].

وقوله سبحانه "فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ " إرشاد للمؤمنين في حال تنازعهم إلى الردّ إلى الله ورسوله صلى الله عليه و سلم ، ومعنى الردّ إلى الله هو
الردّ إلى كتابه، ومعنى الردّ إلى الرسول صلى الله عليه و سلم إنهاء الأمور إليه في حياته والرجوع إلى أقواله وأفعاله
والاحتذاء بسنّته بعد وفاته[3].

2- ينظر تفسير الطبري159/4 و تفسير ابن كثير 328/2 .

3- الجامع لتفسير ابن القيّم المسمّى بدائع التفسير 27/2 بتصرّف، وذكر نحوًا من هذا المعنى الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير 97/5.

1- ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 98/5 و تفسير الطبري 153/4 وفتح القدير للشوكاني 481./1

الثالث : **أنّ النبيّ** صلى الله عليه و سلم **بشر من البشر** : وقد ورد التأكيد على هذا في آيات كثيرة دفعًا لما قد يؤدي إليه تعظيم منزلة الرسالة والنبوة من اعتقاد أنّ فيها شيئًا من خصائص الربوبية أو الألوهية:

• قال الله تعالى:(وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾) [الإسراء:90-93].

أي قل يا أيّها الرسول مجيبًا المشركين القائلين لك هذه الأقوال:هل كنت إلاّ بشرًا رسولاً ؟ والاستفهام هنا للإنكار: أي ما أنا إلاّ بشر من البشر مأمور بإبلاغكم ما أرسلت به إليكم ولست ربًّا متصرّفًا أخلق ما يطلب منّي[1].

• وقال تعالى: (قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ)[فصلت: 6].

أي ما أنا إلاّ بشر مثلكم لا امتياز لي عنكم إلاّ أنّه أوحي إليّ، فعليّ البلاغ وحده وعلى الله حسابكم[2].

• وقال الله تعالى:(قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ) [الأحقاف:9].

أي لا أعلم ما يصير إليه أمري وأمركم في هذه الدنيا ، أأقتل أو أخرج ، أو تؤمنوا بي فتتّبعون ؟ وأمركم إلى الهلاك كما أهلكت الأمم المكذّبة رسلها من قبلكم، أو إلى التصديق لما جئتكم به من عند الله[3] ؟

2- ينظر تفسير الطبري 149/8 والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور211/15 وفتح القدير للشوكاني258/3 وروح المعاني للألوسي 169/15.

3- ينظر فتح القدير للشوكاني506/4 والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 236/24.

1- وهذا قول الحسن البصري والسدّي ، و روي عن ابن عبّاس وقتادة أنّ المراد : لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وأنّها منسوخة بقوله تعالى: (لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) [الفتح : 2].

ورجحّ جلّ المفسرين قول الحسن والسدّي مستبعدين ما روى عن ابن عبّاس وقتادة؛ إذ محال أن يقال للنبي ÕìáÕ?¦ìáÕ : قل للمشركين لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة، وآيات كتاب الله Y في تنزيله ووحيه إليه متتابعة بأنّ المشركين في النّار مخلدون ،والمؤمنون به في الجنّان منعّمون ، ولو قال لهم ذلك لقالوا له : فعلام نتّبعك إذن وأنت لا تدري إلى أي حال تصير غدًا في القيامة إلى راحة ودعة أم إلى شدّة وعذاب ؟

• ومثل ذلك قوله تعالى:(قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾) [الأعراف:188].

أي ما أنا إلاّ عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر، إلاّ ما شاء ربّي ومالكي من النفع لي والدفع عنّي، ولو كنت أعلم الغيب لتعرّضت لما فيه الخير فجلبته إلى نفسي، وتوقّيت ما فيه السوء حتى لا يمسّني، ولكنّي عبد لا أدري ما عند ربّي ولا ما قضاه فيّ وقدّره لي[1].

قال الطاهر بن عاشور: ÷ الاستدلال على انتفاء علمه صلى الله عليه و سلم بالغيب بانتفاء الاستكثار من الخير وتجنّب السوء، استدلال بأخصّ ما لو علم المرء الغيب لعلمه أوّل ما يعلم، وهو الغيب الذي يهمّ نفسه، فإذا انتفى ذلك كان انتفاء غيره أولى.

وجملة ÷ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ إيضاح لحقيقة الرسالة وبيان لانحصارها في النذارة على المفاسد وعواقبها، والبشارة بعواقب الانتهاء عنها واكتساب الخيرات، دون ما هو من خصائص الربوبية ×[2].

والمقصود بنفي علم الغيب عن النبيّ صلى الله عليه و سلم نفي استقلاله بعلم ذلك، وإلاّ فالله تعالى يطلع رسله على ما يشاء من الغيب كما قال سبحانه : (عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ) [الجنّ : 26-27]، فنفى سبحانه أن يطّلع على الغيب إلاّ من يختارهم من
رسله فيطلعهم على ما يشاء من المغيّبات التي قد تكون :
إمّا من أمور الدنيا كالحوادث المستقبلة، تأييدًا من الله لرسله وإظهارا لنبوّتهم.
وإمّا من أمور الآخرة كالوعد والوعيد ممّا هو من مقتضيات رسالتهم.

ولا بدّ من التنبيه هنا إلى أنّ ما ورد من التأكيد على بشرية النبي صلى الله عليه و سلم في هذه الآيات ونحوها، القصد منه نفي أن يكون له شيء من خصائص الربوبية أو الألوهية[1].

ينظر تفسير الطبري277/11 وتفسير القرطبي124/16 والتفسير الكبير للرازي 7/28 وتفسير ابن كثير277/6 .

2- ينظر تفسير الكشاف للزمخشري 179/2 وفتح القدير للشوكاني 274/2.

3- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 208/9 بتصرّف.

وليس القصد أبداً مساواة النبي صلى الله عليه و سلم ببقية البشر من كل وجه ، بل قد قال الله تعالى:(وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ)[الأنعام:124] .

أي أنّه سبحانه أعلم بمن يستحق الرسالة فيشرّفه بها، ويعلم من لا يستحقها وليس بأهل لها[2].

• وقال سبحانه: (ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ) [الحج: 75].

والاصطفاء: تناول صفو الشيء كما أنّ الاختيار تناول خيره[3]، أي أنّه سبحانه يختار للرسالة أفضل الخلق والصفوة من النّاس.

• وذكر سبحانه قول الرسل لأقوامهم: (إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ) [إبراهيم : 11].

أي أنّنا وإن كنّا مثلكم في الصورة والهيئة، فذلك غير مانع من أن يختصّنا الله تعالى ويفضّلنا عليكم بالنبوّة والرسالة[4].

• وقال سبحانه: (قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى) [الأعراف144].

قال ابن عبّاس ψ: «أي فضّلتك على النّاس برسالتي وبكلامي»[5].

قال الزمخشري : « اخترتك على أهل زمانك وآثرتك عليهم»[6].

• وقال سبحانه: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن

1- دفعًا لمثل ما وقع فيه النصارى من تأليه المسيح ابن مريم υ، وقد قال ÕìáÕ?¦åæåâ **÷ لا تطروني كما اطرت النصارى المسيح ابن مريم، إنّما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله×** البخاري **كتاب** أحاديث الأنبياء **باب** قول الله : (وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) 496/4 رقم 3445.

والإطراء: المدح بالباطل ، تقول أطريت فلانًا : مدحته فأفرطت في مدحه .ينظر فتح الباري لإبن حجر 598/6.

2- ينظر البحر المحيط لأبي حيان 637/4وفتح القدير للشوكاني159/2.

3- ينظر المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص 286 .

4- وعدل الأنبياء عليهم السلام عن التصريح بتفضيل الله لهم على قومهم إلى قولهم **÷ ولكنّ الله يمنّ على من يشاء من عباده×** تواضعًا منهم عليهم السلام واعترافا بالعبودية. ينظر نظم الدرر للبقاعي 176/4 وتفسير الكشاف للزمخشري523/2 وتفسير أبي السعود 248/3.

1- ينظر التفسير الكبير للرازي202/14 .

2- تفسير الكشاف للزمخشري2 /151.

قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾) [الأنعام: 83-86].

أي فضّلنا كلّ واحد من هؤلاء بالنبوّة على أهل زمانه[1].

الرابع : **عموم رسالته** صلى الله عليه و سلم **:** وهذا العموم على وجهين **:**

الأوّل : شمولها للنّاس كافّة؛ إنسهم وجنّهم ، وعربهم وعجمهم.
والثاني: صلاحيتها لكلّ زمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
أمّا الأوّل فيدلّ عليه قوله تعالى : (**قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا**) [الأعراف:158].
أي لم أرسل إلى بعضكم دون بعض وإنّما بعثني ربّي إلى الناس كافة[2].
ومثله قوله تعالى: (**وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا**) [سبأ : 28].

وقال تعالى:(**وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا**)[الشورى: 7].
والمراد بـ "**أُمَّ ٱلۡقُرَى**" : مكة، و" **وَمَنۡ حَوۡلَهَا** " أي ومن حولها من سائر الخلق[3].

• وقال تعالى:(**تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا** ﴿١﴾)
[الفرقان : 1].
والمقصود بالعالمين: الجنّ والإنس[4].
وفي الصحيح أنّ النبيّ صلى الله عليه و سلم قال: **÷ كان النبي يبعث إلى قومه خاصّة وبعثت إلى النّاس عامة ×**[5].
أمّا **الثاني** : وهو صلاحية رسالته صلى الله عليه و سلم لكلّ زمان فيدلّ عليه قوله تعالى:
(**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ**)[الأحزاب: 40].

3- ينظر فتح القدير للشوكاني137/2.
4- ينظر تفسير الطبري87/6 وتفسير ابن كثير 234/3.
1- ينظر تفسير القرطبي6/16.
2- ينظر التفسير الكبير للرازي 42/24وتفسير الكشاف للزمخشري 256/3 وتفسير البيضاوي 442/3 وفتح القدير للشوكاني60/4.
3- البخاري **كتاب** التيمم 109/1 رقم 335 مسلم **كتاب** المساجد ومواضع الصلاة 311/1 رقم 523.

قرأ الجمهور " خاتِم " بكسر التاء بمعنى آخر النبيئين[1].
وقرأ عاصم "خاتَم " بفتح التاء ، قال الطبري : « أي الذي ختم النبوّة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة»[2].
فهذه الآية نص في أنّه لا نبيّ بعد محمّد صلى الله عليه وسلم ، وإذا كان كذلك فإن شريعته باقية إلى قيام الساعة لعدم ورود ما ينسخها.

الأصل الثالث: الإيمان باليوم الأخر

لا يتصوّر وجود إيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم دون أن يكون هناك إيمان بوجود حياة أخرى بعد هذه الدنيا ،يحاسب فيها العباد على أعمالهم، ويثابون أو يعاقبون بحسبها، إذ لو لم يكن بعد هذه الدنيا إلاّ الفناء المحض، لاستوى عند الإنسان الإيمان والكفر، والهدى والضلال، طالما أنّه لا ثواب على هذا ولا عقاب على ذاك.
يقول سيّد قطب: ÷ الاعتقاد بيوم الدين يعدّ مفرق الطريق بين العبودية للنزوات والرغائب، والطلاقة الإنسانية اللائقة ببني الإنسان، بين الخضوع لتصوّرات الأرض وقيمها وموازينها، والتعلّق بالقيم الرّبانية والاسـتعلاء على منطق الجاهلية.
مفرق الطريق بين الإنسانية في حقيقتها العليا التي أرادها الله لعباده، والصور المشوّهة المنحرفة التي لم يقدّر لها الكمال.
وما تستقيم الحياة البشرية على منهج الله الرّفيع ما لم يتحقق الإيمان باليوم الآخر في تصوّر البشر، وما لم تطمئنّ قلوبهم إلى أنّ جزاءهم على الأرض ليس هو نصيبهم الأخير،وما لم يثق الفرد المحدود العمر بأنّ له حياة أخرى تستحق أن يجاهد لها، وأن يضحي لنصرة الحق والخير معتمدًا على العوض الذي يلقاه فيها.
وما يستوي المؤمنون بالآخرة والمنكرون لها في شعور ولا خلق ، ولا سلوك ولا عمل، فهما صنفان مختلفان من الخلق، وطبيعتان متميّزتان ، لا تلتقيان في الأرض في عمل ولا تلتقيان في الآخرة في جزاء ×[3].
وقد بلغ من اهتمام القرآن الكريم ببيان هذا الأصل وتقريره وتأكيده أن جعله أحد ثلاثة محاور تدور عليها آيات القرآن الكريم.
يقول الإمام الشاطبي :÷ القرآن محتوٍ من العلوم على ثلاثة أجناس هي المقصود
الأوّل : الأوّل :معرفة المتوّجه إليه وهو الله المعبود سبحانه، ويدخل تحته علم الذات والصفات والأفعال.
الثاني : معرفة كيفية التوّجه إليه ويشتمل على التعريف بأنواع التعبدّات.

4- ينظر المحرز الوجيز لإبن عطيّة 76/12.
5- تفسير الطبري305/10.
1- في ظلال القرآن لسيّد قطب 1 / 24 – بتصرّف يسير - .

الثالث: معرفة مآل العبد ليخاف الله ويرجوه،لأنّ من شأن النفوس طلب النتائج والمآلات، ويدخل فيه الموت وما يليه، ويوم القيامة وما يحويه، والمنزل الذي يستقر فيه×[1].

وذكر الإيمان باليوم الآخر مقترنا بالإيمان بالله تعالى في آيات كثيرة :

- قال تعالى : (لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ) [البقرة : 177].

- وقال سبحانه: (وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ) [النساء: 39].

- وقال سبحانه: (فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ﴿٥٩﴾) [النساء: 59]

- وقال سبحانه:(وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾) [النساء: 162].

بل جعل الله الكفر باليوم الآخر كفرًا به سبحانه فقال : (وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ) [الرعد: 5].

وسمّى الله تعالى اليوم الآخر في القرآن الكريم بأسماء متعدّدة تعظيمًا لشأنه وإظهارًا لخطره[2]، ووصف أدق تفاصيل مجرياته وأحداثه ووقائعه.

وإن كان لا مجال هنا لبسط جميع ما ورد من ذلك في القرآن الكريم على التفصيل، فلا بدّ من بيان القواعد العامة التي ينبني عليها الإيمان بهذا الأصل العظيم، وهي في الجملة ثلاثة قواعد :

القواعد الأساسية للإيمان باليوم الأخر :

القاعدة الأولى : أنّ هذا العالم الذي نعيش فيه لن يبقى إلى الأبد، بل سيأتي عليه يوم يفنيه فيه ربّه وخالقه.

- قال تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾) [الرحمن: 26-27].

أي جميع من على الأرض سيذهبون ويموتون، ولن يبقى إلاّ الله Y الحي الذي لا يموت[1].

2- الموافقات للشاطبي 3 / 225 – بتصرّف يسير -.

1- من هذه الأسماء : القيامة، الساعة، الحاقة، الواقعة، والقارعة وغيرها. ينظر التذكرة للقرطبي ص 228 وما بعدها. والقيامة الكبرى لعمر سليمان الأشقر ص 20 .

• و قال الله تعالى: (كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ) [القصص: 88].

أي كل شيء من الأشياء كائنًا ما كان سيفنى ويبيد إلاّ الله سبحانه وتعالى[2].

• وقال الله تعالى:(إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٤٠﴾)[مريم: 40].

أي يُميت الله جميع سكانها فلا يبقى أحد منهم يرث الأموات ، فيكون سبحانه كأنّه الوارث لهم لتفرّده بالبقاء بعدهم[3].

• ومثل ذلك قوله تعالى:(وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴿١٨٠﴾) [آل عمران:180].

• ومثله أيضا: (وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾) [الحجر: 23].

• وقال الله تعالى: (وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ﴿٦٨﴾) [الزمر: 68].

قال السدي : أي نفخ في الصور فمات من في السماوات ومن في الأرض إلاّ من شاء الله[4].

أخرج الطبري عند تفسير هذه الآية من حديث أنس بن مالك قال : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم :" وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ " فقيل من هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله؟ قال جبريل وميكائيل وملك الموت، فإذا قبض أرواح الخلائق قال: يا ملك الموت من بقي ؟ وهو أعلم. قال : يقول : سبحانك تباركت ربّي ذا الجلال والإكرام، بقي جبريل وميكائيل وملك الموت، قال : يقول : يا ملك الموت خذ نفس ميكائيل ،قال فيقع كالطود العظيم. قال : ثمّ يقول : يا ملك الموت من بقي ؟ يقول : سبحانك ربّي ذا

2- ينظر تفسير ابن كثير490/6 .
3- ينظر فتح القدير للشوكاني 189/4.
4- المصدر السابق 334/3.
1- ينظر تفسير الطبري27/11 . والصور : قرن ينفخ فيه فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: ÷ **جاء أعرابي إلى النبي** ÃÕ?ìáÕæåÃÑ?ìáÕæåÃÑ **فقال ما الصور؟ فقال** ÃÕ?ìáÕæåÃÑ?ìáÕæåÃÑ **: الصور قرن ينفخ فيه×** سنن الترمذي كتلب صفة القيامة و الرقائق و الورع باب ماجاء في شأن الصور 536/4 رقم 2430 وقال حديث حسن. وصحّحه الألباني كما في السلسلة الصحيحة 3 / 68 رقم 1080 و ينظر النهاية لإبن الأثير 3 / 55 .
ودلّت الآيات والأحاديث أنّ الملك الموّكل بالصور ينفخ فيه النفخة الأولى بأمر الله فيموت جميع الخلائق إلاّ من شاء الله، ثم إذا شاء الله بعثهم للحساب أمره أن ينفخ فيه أخرى فإذا الخلائق أحياء ينظرون. ينظر التذكرة للقرطبي ص 186 والنهاية في الفتن والملاحم لإبن كثير ص 150 والقيامة الكبرى لعمر سليمان الأشقر ص 39 .

الجلال والإكرام، بقي جبريل وملك الموت، قال : يقول : يا ملك الموت : مت قال : فيموت، قال : ثم يقول : يا جبريل من بقي ؟ قال : فيقول جبريل : سبحانك ربّي ذا الجلال والإكرام بقي جبريل، وهو من الله بالمكان الذي هو به، قال : فيقول يا جبريل لابدّ من موتة، قال فيقع ساجدًا يخفق بجناحيه يقول : سبحانك ربّي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام أنت الباقي وجبريل الميتُ الفاني. قال : فيأخذ روحه في الحلقة التي خلق منها»[1].

وذكر مثله ابن مردويه والبيهقي في البعث وزادا في آخره : أنّه إذا مات جميع الخلائق نادى الله سبحانه وتعالى : أنا بدأت الخلق وأنا أعيده، فأين الجبّارون المتكبّرون ؟ فلا يجيبه أحد ثم ينادي : لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، فيقول هو سبحانه : لله الواحد القهّار[2].

القاعدة الثانية: أنّ الله بعد إفناء الخلق يعيد إحياءهم جميعًا مرّة أخرى ليحاسبهم على أعمالهم :

• قال الله تعالى: (وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾) [الزمر . 68].

قال الطبري :÷ معنى قوله " ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ " ، أنّ من صعق عند النفخة الأولى وغيرهم من جميع خلق الله الذين كانوا أمواتًا قبل ذلك قيام من قبورهم وأماكنهم من الأرض، أحياء كهيئتهم قبل مماتهم ينظرون أمر الله فيهم×[3].

• وقال الله تعالى: (وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾) [الحج: 7].

أي أنّ الساعة آتية لا شكّ فيها ولا مرية، وأنّ الله يعيد الخلق مرّة أخرى بعدما صاروا في قبورهم رمما ، ويوجدهم بعد العدم[4].

• وقال الله تعالى: (وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾) [النحل: 38] .

2- تفسير الطبري28/11.
1- ينظر الدرّ المنثور للسيوطي701/12.
2- تفسير الطبري 30/11 وينظر تفسير ابن كثير109/6.
3- ينظر تفسير ابن كثير4/.617

أي أقسم المشركون بالله جاهدين في القسم ، مبالغين فيه ، أنّ الله لا يحيي أحدًا بعد موته، فأجابهم الله بقوله :" بَلَى " أي بلى ليبعثنّهم.

"وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا" أي أنّ بعث الموتى من قبورهم أحياء وعدٌ وعد الله به عباده لا يتخلّف ولا يتأخرّ[1].
ولن يتخلّف عن البعث للحساب أحدٌ من الخلق مهما كانت طريقة موته، وأيّا كان موضع دفنه، ومهما بلغت درجة تحلّله واضمحلاله :

• قال الله تعالى: (أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾) [البقرة: 148].

أي في أي مكان وبقعة تهلكون؛ يأت بكم الله جميعًا يوم القيامة، وهو قادر على جمعكم من الأرض وإن تفرّقت أجسادكم[2].

• وقال الله تعالى: (بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾) [ق: 2-4].

ومعنى قوله تعالى " قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ " أي علمنا ما تأكل الأرض من لحومهم و أبشارهم وعظامهم، ولا يخفى علينا أين تفرّقت الأبدان ، وإلى أين ذهبت وأين صارت[3].

وفي الصحيح أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: **« كان رجل ممّن كان قبلكم يسرف على نفسه فلمّا حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا متُّ فأحرقوني ثمّ اطحنوني ثمّ ذرّوني في الريح فو الله لئن قدر عليّ ربّي ليعذبّني عذابًا ما عذبه أحدًا. فلمّا مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال : اجمعي ما فيك منه ففعلت [وفي رواية قال الله كن] فإذا هو رجل قائم، فقال الله ما حملك على ما صنعت ؟ قال : يا رب خشيتك. فغفر له»**[4].

4- ينظر التفسير الكبير للرازي 26/20 ونظم الدرر للبقاعي269/4.
1- ينظر تفسير الطبري 33/2 وتفسير ابن كثير 342/1 وتفسير أبي السعود 283./1
2- ينظر تفسير ابن كثير396/6 و التفسير الكبير للرازي 139/28.
3- البخاري **كتاب** أحاديث الأنبياء **باب** حديث الغار 507/4 رقم 3478 ومسلم **كتاب** التوبة **باب** سعة رحمة الله تعالى وأنّها سبقت غضبه 1676/4 رقم 2756.

• وقال الله تعالى: (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾) [الكهف: 47].

ومعنى "فَلَمْ نُغَادِرْ": أي لم نترك، يقال غادره وأغدره، إذا تركه ومنه الغدر لأنّه ترك الوفاء، ومنه الغدير لأنّه ما تركته السيول[1].
فمعنى الآية : جمعنا الخلائق للحساب فلم نترك منهم أحدًا صغيرًا أو كبيرًا، برًا أوفاجرًا،إلاّ أحضرناه[2] .

• وقال الله تعالى: (إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾) [مريم: 93-94].

أي أحاط بهم وحصرهم بالعدد، فلا مجال لهرب أحد ولا لنسيان أحد[3].

وسيأتي الخلائق للحساب كما خلقوا أوّل مرّة مجرّدين من كلّ متاع، فلا مال ولا لباس ،ولا منصب ولا جاه، ولا أنساب ولا شفعاء :

• قال الله تعالى:ّ (وَلَقَد جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ) [الأنعام: 94].

" فُرَٰدَى" أي منفردين عن كل ما كنتم تعتزّون به في الحياة الدنيا من مال وولد وأنصار[4].

" كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ " : أي كما جئتم إلى الدنيا أوّل مرّة لا تملكون شيئًا وليس عليكم شيء[5].

"وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ": أي تركتم كلّ شيء من مال وزينة وأولاد ومتاع وجاه وسلطان،كلّه متروك وراءكم، ليس معكم شيء منه ،ولا تقدرون منه على قليل ولا كثير[6].

1- ينظر تفسير الكشاف للزمخشري 698/2وتفسير البيضاوي263/3وفتح القدير للشوكاني292/3 .
2- ينظر التفسير الكبير للرازي 122/21 وتفسير القرطبي271/10 وتفسير ابن كثير394/4.
3- ينظر زاد المسير لإبن الجوزي 265/5 والبحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي 303/7 وفي ظلال القرآن لسيّد قطب 2321/4.
4- ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور382/7 .
5- ينظر تفسير الكشاف للزمخشري44/2 وفتح القدير للشوكاني140/2.
6- ينظر في ظلال القرآن لسيّد قطب 2 / 1149.

وفي الصحيح أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال : ÷**إنّكم محشورون حفاة عراة غرلاً** ×[1].

• وقال الله تعالى: (وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾) [مريم: 95].

أي لا يأنس بأحد ولا ينتصر بأحد ولا يعتزّ بأحد، بل يأتي وحيدًا فريدًا أمام الديّان سبحانه وتعالى [2].

• و قال الله تعالى: (وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾) [البقرة: 48].

أي احذروا يومًا لا يغني فيه أحد عن أحد، فلا أحدٌ يتحمّل عن أحد شيئًا ممّا أصابه، ولا تقضي طاعة المطيع عن العاصي ما كان واجبًا عليه، بل التبعة فردية، والحساب شخصي، وكلّ نفس مسؤولة عن نفسها.

ولو استشفع العصاة بشفعاء لما قُبل منهم، ولو استطاعوا تقديم فدية يخلّصون بها أنفسهم من العذاب لما أخذت منهم، ولا ناصر يعصم من الله ،ولا مغيث ينجي من عذابه[3] .

قال الرازي :÷ العرب إذا دفع أحدهم إلى كريهة وحاولت أعوانه دفاع ذلك عنه، بذلت ما في نفوسها الأبيّة من مقتضى الحمّية، فذبّت عنه كما يذّب الوالد عن ولده بغاية قوّته، فإن رأى ما لا طاقة له بممانعته ؛عاد بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة، فإن لم تغن عنه الحالتان من الخشونة والليان، لم يبق بعده إلاّ فداء الشيء بمثله، وإن لم تغن عنه هذه الثلاثة تعلّل بما يرجوه من نصر الأخلاء والإخوان،فأخبر الله سبحانه في هذه الآية أنّه لا يغني شيء من هذه الأمور عن المجرمين في الآخرة ×[4].

• وقال الله تعالى:(فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾) [المؤمنون: 101].

1- البخاري **كتاب** أحاديث الأنبياء **باب** قول الله تعالى : (وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا) 456/4 رقم 3349 مسلم **كتاب** الجنّة وصفة نعيمها وأهلها **باب** فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة 1739/4 رقم 2859 . ومعنى غرلاً : أي غير مختونين. ينظر فتح الباري لإبن حجر 11/ 467. والنهاية لإبن الأثير 325/3.

2 - ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 174/16 وفي ظلال القرآن لسيّد قطب 4 / 2321.

3- ينظر التفسير الكبير للرازي 54/3 وفتح القدير للشوكاني82/1 والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 485/1 وفي ظلال القرآن لسيّد قطب 1 / 70.

4- التفسير الكبير للرازي 53/3.

أي إذا نفخ في الصور النفخة الثانية للبعث والنشور، فلا أنساب بينهم يومئذ تنفعهم ولا يسأل بعضهم بعضًا بها كما كانوا في الدنيا[1] .

قال ابن مسعود:÷ يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة على رؤوس الأوّلين والآخرين ثمّ ينادي منادٍ : ألا إنّ هذا فلان بن فلان فمن كان له مظلمة فليجيء فليأخذ حقّه فيفرح والله المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيرًا[2]ومصداق ذلك في كتاب الله: (فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾)×[3].

وعن قتادة قال :÷ لا شيء أبغض إلى الإنسان يوم القيامة من أن يرى من يعرفه مخافة أن يثبت له عليه شيء ثمّ تلا قوله تعالى: (يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾) [عبس: 34-36] ×[4].

والله تعالى وحده الذي يتوّلى حساب العباد ومجازاتهم على أعمالهم، لا يشركه في ذلك أحد، ولا يكون لغيره معه قضاء:

• قال الله تعالى: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾) [الفاتحة: 2-4].

أي المتصرّف في شؤون يوم الدين والمتفرّد بالحكم فيه[5].

قال ابن عباس : ÷" مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ " لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكمًا×[6].

• وقال الله تعالى:(يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾) [الإنفطار: 19].

قال قتادة :÷ أي لا أحد في ذلك اليوم يقضي شيئًا ولا يصنع شيئًا غير ربّ العالمين، وكذلك هو الأمر اليوم، ولكن هنالك لا ينازعه أحد ،ولا يمكّن هو أحدًا في شيء منه كما يمكّنه في الدنيا×[7].

1- ينظر تفسير الطبري 244/9 والتفسير الكبير للرازي 112/23 .
2- أي الحق.
3- ينظر الدرّ المنثور للسيوطي 10 / 620 و تفسير الطبري 244./9
4- المصدرين السابقين15 / 256 و 245./9
5- ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور175/1.
6- ينظر تفسير الطبري 95/1.
7- ينظر تفسير الطبري481/12 والمحرر الوجيز لإبن عطية350/15.

• وقال الله تعالى:(إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾) [الغاشية:25-26].

أي علينا لا على غيرنا محاسبتهم على أعمالهم ومجازاتهم عليها [1].

وما دام أنّ الله تعالى الذي له العدل المطلق هو المحاسب لعباده والمجازي لهم فلن يُظلم أحدٌ من الخلق شيئًا:

• قال الله تعالى: (إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُون َ ﴿٥٤﴾)

[يس: 53-54].

أي لا تظلم نفس من النفوس برّة كانت أو فاجرة شيئًا من الظلم، ولا تجزون إلاّ على وفق ما كنتم تعملون وعلى مقداره، فلا يزاد في سيئات العاصي، ولا ينقص من حسنات المطيع[2].

• وقال الله تعالى: (وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾) [الأنبياء: 47].

أي أن الموازين التي توزن بها الأعمال يوم القيامة تجري على حدّ العدل والقسط[3].

" فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ": بل يجازي المحسن بإحسانه، ولا يعاقب المسيء إلاّ بإساءته[4].

" وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ": أي إن كان الذي عمل العبد من الحسنات أو الذي عليه من السيّئات وزن حبّة من خردل، فإنّه يؤتى به ليوزن، وهذا تفسير لقوله: " فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا "، وتفسير أيضًا لما سبق من وصف الموازين بالقسط حيث يوُثر في رجحان إحدى كفتي هذه الموازين مثقال الحبة من الخردل لو وضع فيه ،وهذا غاية الدّقة والعدل.

1- قال الألوسي : « وفي هذه الآية ردٌ على كثير من الشيعة حيث زعموا أنّ حساب الخلائق على علي τ مستدلّين على ذلك بما افتروه عليه وعلى آل بيته من الأخبار». ينظر روح المعاني للألوسي 118/3.

2- ينظر روح المعاني للألوسي33/23 والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 40/23.

3- ينظر التفسير الكبير للرازي 169/22.

4- ينظر تفسير الطبري 33/9 وفتح القدير للشوكاني 411/3.

ثمّ قال سبحانه " وَكَفَىٰ بِنَا حَسِبِينَ " : أي لا يتطلّع أحدٌ من الخلق في ذلك اليوم إلى حاسب آخر يجد عنده من العدل ما يجد عندنا[1] .

القاعدة الثالثة: أنّ الله يثيب من أطاعه فآمن فيدخله الجنّة، ويعاقب من عصاه فكفر فيعذّبه في النّار.

• قال الله تعالى: (وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾) [النساء: 13-14].

• وقال الله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾) [الأعراف: 40-42].

• وقال الله تعالى: (قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾) [الكهف:103-108].

• وقال الله تعالى: (ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾) [الحج: 56-57].

1- ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 87/17.

• وقال الله تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾) [الروم: 14-16].

• وقال الله تعالى: (أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾) [السجدة: 19-20].

ولمّا كان المقصود هنا بيان التصديق المجمل الذي يحصل به أصل الإيمان ،فإنّي لن أتعرّض لما ذُكر في القرآن الكريم من ثواب المؤمنين وعقاب الكافرين على التفصيل ؛مرجئًا ذلك إلى حين الكلام عن آثار الإيمان في الفصل الثالث من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

لكن ينبغي هنا التأكيد على حقيقتين هامتين لا يستقيم الإيمان بإثابة المطيعين وعقاب العصاة إلاّ بهما ،وجاءت آيات القرآن الكريم بتقريرهما :

الحقيقة الأولى: أنّ الثواب مرتّب على الإيمان والطاعة، والعقاب مرَتّب على الكفر والعصيان: أي لا عبرة بمنصب ولا مال ،ولا نسب ولا جنس، ولا لون ولا لغة.

• قال الله تعالى عن المؤمنين: (وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾) [الأعراف: 43] .

أي لم تَحوزوها بمال ولا بجاه ولا بنسب، وإنّما دخلتموها وتبوّأتم منازلها بسبب ما أسلفتم من الإيمان والعمل الصالح[1].

• وفي المقابل، قال الله تعالى عن الكافرين:(ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾) [يونس: 52].

1- أمّا ما أخرجه البخاري في **كتاب** المرضى من صحيحه **باب** تمنّي المريض الموت 13/7 رقم 5673 ومسلم في **كتاب** صفة القيامة والجنّة والنار من صحيحه **باب** لن يدخل أحد الجنّة بعمله 1720/4 رقم 2816 كلاهما عن أبي هريرة τ قال: ÷ **سمعت رسول الله ρ يقول : لن يدخل أحدًا عمله الجنّة، قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا إلاّ أن يتغمّدني الله بفضل ورحمة×.**

فليس المقصود به إبطال اعتبار الأعمال بحيث يجوز أن يدخل الله تعالى المسيء الجنّة ويدخل المحسن النار – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا – وإنّما المقصود بيان أنّه لولا فضل الله ورحمته لما استحق أحد دخول الجنّة وذلك لكونها غالية جدًا لا يصلح أيّ عمل – ولو كان عمل ρ –لأنّ يكون ثمنًا لها.

والاستفهام هنا لتقريرهم، أي ما قادكم إلى الخلود في العذاب إلاّ ما اكتسبتموه في الدنيا من الكفر والمعاصي[1].

• وقال الله تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾) [سبأ: 34-35].

فهؤلاء الكفار قاسوا حالهم في الآخرة على حالهم في الدنيا فقالوا للرّسل : على تقدير صحّة ما تقولون فلن نكون في الآخرة من المعذّبين لكثرة ما لنا من الأموال والأولاد، وكما أكرمنا الله وفضّلنا بذلك في الدنيا فسيكرمنا به أيضًا في الآخرة[2] .

فأبطل الله تعالى زعمهم فقال:(وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾)

[سبأ : 37].

أي أنّ أموالكم لا تزيدكم عندنا درجة ولا تقرّبكم تقريبًا، وإنّما الجنّة والنعيم لمن آمن وعمل صالحًا سواءًا كان له مال وولد أم لم يكن له[3].

• وقال الله تعالى: (إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾)

[الواقعة: 1-3].

ومعنى " خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ " : أي تخفض أناسا بسبب كفرهم وذنوبهم إلى أسفل سافلين في الجحيم

وإن كانوا في الدنيا أعزاء، وترفع آخرين بسبب إيمانهم وعملهم الصالح إلى أعلى عليين في النعيم وإن كانوا في الدنيا وضعاء[4].

وفي الصحيح أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال :÷ **إنّ الله لا ينظر إلى صوّركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ×.**[5]

وقال صلى الله عليه وسلم : ÷ **إنّ الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة أكركم عند الله أتقاكم ×**[6].

1- ينظر فتح القدير للشوكاني 452/2 والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور195/11.

2- ينظر تفسير الكشاف للزمخشري 568/3 وتفسير ابن كثير557/5 وفتح القدير للشوكاني330/4 والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 212/22.

3- ينظر الجامع لتفسير ابن القيم المسمى بدائع التفسير 3 / 438 وفتح القدير للشوكاني330/4.

4- ينظر تفسير الطبري 622/11 وتفسير ابن كثير 507/6 والدرّ المنثور للسيوطي 175/14 والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 283/27.

1- مسلم **كتاب** البرّ والصلة والآداب **باب** تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره 1577/4 .

2- تفسير الطبري 399/11 وصحّحه الألباني كما في غاية المرام ص 189 رقم 311.

الحقيقة الثانية: خلود المؤمنين في نعيم الجنّة، وخلود الكافرين في عذاب النّار، فلا يزول نعيم أهل الجنّة ولا يفنى، ولا ينقطع عذاب الكافرين ولا يبيد[1].

• قال الله تعالى: (وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾) [البقرة: 80-82].

• وقال الله تعالى: (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾)[النساء: 122].

• وقال الله تعالى: (إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا

هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾) [الحجر: 45-48].

وقال الله تعالى: (إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾) [الدخان: 51-56].

3- لابدّ من التنبيه هنا إلى أنّ المؤمنين قسمان : قسم يدخلون الجنّة ابتداءًا، وقسم يعذّبون في النار على قدر ذنوبهم ثمّ يدخلون الجنّة. وسيأتي بيان ذلك مفصّلاً في الفصل الثالث من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

• وقال الله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾) [البقرة: 161-162].

• وقال الله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾) [البقرة: 167].

• وقال الله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن

يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾) [المائدة: 36-37].

• وقال الله تعالى:(وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٣٥﴾) [الجاثية: 34-35].

وفي الصحيح أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال : **« يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي منادٍ : يا أهل الجنّة فيشرئبون وينظرون، فيقول هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلّهم قد رآه، ثم ينادي يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلّهم قد رآه، فيذبح ثم يقول:يا أهل الجنّة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت»[1].**

القسم الثاني
التـــــصديـــــق المفـــــــصّل

1- البخاري **كتاب** تفسير القرآن **باب** قوله :(وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ) 286/5 رقم 4730 و مسلم **كتاب** الجنّة وصفة نعيمها وأهلها **باب** النار يدخلها الجبّارون والجنّة يدخلها الضعفاء 2735/4 رقم 2849.

ويشمل التصديق بكل خبر أو أمر جاء عن الله تعالى أو عن رسوله صلى الله عليه و سلم .

فمن هذا الباب التصديق بالملائكة، والرسل الذين بعثوا قبل محمّد صلى الله عليه و سلم والكتب المنزّلة إليهم، وتفاصيل ما جاء عن اليوم الآخر من صفة البعث والحساب والجنّة والنار.

والتصديق بكل ما شُرع من أحكام في مجالي العبادات والمعاملات.

ومن كذّب الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه و سلم في شيء ممّا أخبرا أو أمرا به بعد ثبوته لديه[1]؛كان كافرًا ولو صدّقهما في غيره.

• قال الله تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾) [يونس: 17].

• وقال سبحانه : (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾) [الأعراف : 40].

• وقال سبحانه: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾) [البقرة : 85].

• وقال سبحانه: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾) [النساء: 150-151].

• وقال سبحانه: (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾) [المؤمنون : 44].

1- والثبوت هنا قيد مهم. إذ ليس الكلام عمّن كذّب بنسبة شيء إلى الله تعالى أو رسوله ÕìÏ?ßÜåÓæâ وهي المسألة التي يفرق العلماء فيها بين منكر المعلوم من الدين بالضرورة وغيره. وإنّما المقصود من كذّب بشيء يقرّ بأنّه من كلام الله تعالى أو كلام رسوله ÕìÏ?ßÜåÓæâ .

• وقال سبحانه: (ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴿٧٢﴾) [غافر : 70-72].

بل إنّ مجرّد الشك[1] في شيء ممّا قاله الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه و سلم يعدّ كفرًا.

• قال الله تعالى:(لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾) [التوبة:44-45].

1- الشك اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما لوجود أمارتين متساويتين أو لعدم وجود الإمارة فيهما. ينظر المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص 269.

والمقصود بالشك هنا : التوقف في شيء من كلام الله تعالى أو كلام رسوله ρ فلا يجزم فيه بصدق ولا كذب مع إقراره بأنّه من كلامهما.

قال القاضي عياض : « من كذّب بالقرآن أو بشيء منه أو كذّب بشيء ممّا حرّم به من حكم أو خبر، أو أثبت ما نفاه أو نفي ما أثبته على علم بذلك أو شك في شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع». ينظر الشفا 2 /304.

وقال أيضًا : « وكذلك من أضاف إلى نبيّنا الكذب فيما بلّغه وأخبر به أو شك في صدقه فهو كافر بإجماع». ينظر الشفا 2 /284.

وقال ابن القيّم : « كفر الجحود نوعان : كفر مطلق عام، وكفر مقيد خاص. فالمطلق أن يجحد جملة ما أنزل الله وإرساله الرسل. والخاص المقيّد : أن يجحد فرضًا من فروض الإسلام، أو تحريم من محرّماته، أو صفة وصف الله بها نفسه أو خبرًا أخبر الله به». ينظر مدارج السالكين 1 / 379.

و ينظر مزيد من هذه الأقوال في **كتاب** نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز بن محمّد العبد اللطيف ص 250 وما بعدها.

فإن قيل : ما الفرق بين الأمور المذكورة هنا في التصديق المفصل والأصول الثلاثة التي ذكرت في التصديق المجمل ما دام أن التكذيب بشيء من ذلك في الحالتين يعدّ كفرًا ؟

فالجواب : هو أنّ الأصول الثلاثة لا يتصور أن يوجد الإيمان مع الجهل بأحدها، أمّا هذه فقد يكون الرجل مؤمنًا دون أن يعلم كثيرًا منها، فمن لم يعلم مثلاً بوجود الملائكة، أو أنّ الله تعالى بعث رسلاً قبل محمّد ρ وأنزل عليهم كتبًا، أو لم يعلم كثيرًا من تفاصيل الجنّة و والنار أو تفاصيل كثير من أحكام العبادات والمعاملات، لم يكن بجهله شيئًا من ذلك كافرًا. نعم منها ما يكون آثمًا بجهله إن كان هذا الجهل بتقصير منه، لكن كثير منها هو غير مكلّف أصلاً بعلمه، فمن ليس له أموال تبلغ النصاب لم يكن واجبًا عليه معرفة تفاصيل ما أمر الله به من مقادير الزكاة الواجبة في الأموال، ومن لم يستطع الحج لم تجب عيه معرفة أركان الحج وواجباته وشروطه. لكن متى ما بلغه شيء من ذلك وجب عليه التصديق به فإن كذّب به كفر ، وهذا بخلاف الأصول الثلاثة التي هي الإيمان بالله والرسول والجزاء التي يؤدي الجهل بأحدها – فضلاً عن التكذيب- إلى انتفاء الإيمان رأسًا. والله تعالى أعلم.

قال الطبري :÷ " وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ " أي شكّت قلوبهم في حقيقة وحدانية الله، وفي ثواب أهل طاعته وعقابه أهل معاصيه فهم في شكّهم متحيرون، وفي ظلمة الحيرة متردّدون×[1].

وقال الرازي : ÷ لمّا كان عدم الإيمان قد يكون بسبب الشك فيه، وقد يكون بسبب الجزم والقطع بعدمه، بيّن الله تعالى أن عدم إيمان هؤلاء إنّما كان بسبب الشك والريب وهذا يدلّ على أنّ الشاك المرتاب غير مؤمن بالله×[2].

• و قال الله تعالى: (أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٩)

[إبراهيم : 9].

أي أنّ شكّنا في صدق ما جئتم به يوجب لنا الريبة والتهمة فيه[3].

• وقال الله تعالى: (وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٢١) [سبأ:20-21].

قال الألوسي: ÷ الظاهر القول : إلاّ لنعلم من يؤمن بالآخرة ممّن لا يؤمن بها، وعدل عنه إلى مقابلة الإيمان بالشك ليؤذن بأنّه أدنى مراتب الكفر مهلكة×[4].

• وقال الله تعالى: (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ٣٠ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٣١ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ٣٢) [الجاثية:30-32].

فقولهم : "إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا ": أي ما نعلم ذلك إلاّ حدسًا وتوّهمًا وما نحن بمستيقنين من أنّها كائنة[1].

1- تفسير الطبري382/6 وينظر تفسير ابن كثير406/3.
2- التفسير الكبير للرازي 67/16.
3- ينظر تفسير الطبري424/7.
4- روح المعاني للألوسي165/22.

فإن قيل: يعترض على هذا الذي ذكر من كون الشك كفرًا مخاطبة الله تعالى نبيّه ρ بقوله: (فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾) [يونس:94].

فالجواب هو ما ذكره الرازي في توجيه هذه الآية حيث قال : « ما ذكر في الآية قضية شرطية، والقضية الشرطية لا إشعار فيها البتة بأنّ الشرط وقع أو لم يقع، ولا بأنّ الجزاء وقع أو لم يقع ،بل ليس فيها إلاّ بيان أنّ ماهية ذلك الشرط مستلزمه لماهية ذلك الجزاء فقط، والدليل عليه أنّك إذا قلت :إن كانت الخمسة زوجًا كانت منقسمة بمتساويين، فهو كلام حق لأنّ معناه أنّ كون الخمسة زوجًا يستلزم كونها منقسمة بمتساويين ،ثمّ لا يدلّ هذا الكلام على أنّ الخمسة زوج ولا على أنّها منقسمة بمتساويين، فكذا هاهنا هذه الآية تدل على أنّه لو حصل هذا الشك لكان الواجب فيه هو فعل كذا وكذا، فأمّا أنّ هذا الشك وقع أو لم يقع فليس في الآية دلالة عليه.
والله تعالى علم أنّ الرسول صلى الله عليه و سلم لم يشك، إلاّ أنّ المقصود أنّه متى سمع هذا الكلام فإنّه يصرّح ويقول : "يا ربّ لا أشك ولا أطلب الحجّة من قول أهل الكتاب بل يكفيني ما أنزلته عليّ من الدلائل الظاهرة" ونظيره قوله تعالى للملائكة:(أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾) [سبأ:40].

والمقصود أن يصرّحوا بالجواب الحق ويقولوا: (سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾) [سبأ: 41].

وكما قال لعيسى :(ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ ﴿١١٦﴾) [المائدة : 116]، والمقصود أن يصرّح عيسى بالبراءة من ذلك فكذا هاهنا»[2].
وقد أخرج الطبري عند تفسيره هذه الآية عن قتادة أنّه قال : « ذكر لنا أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال لا أشك ولا أسأل»[3].

1- ينظر معالم التنزيل للبغوي 145/4 وفتح القدير للشوكاني 11/5 .

1- التفسير الكبير للرازي 134/17 بتصرّف، وقد ذكر رحمه الله توجيهات أخرى للآية، و اقتصرت في الأعلى على ما ظهر لي أنّه أحسن الوجوه الذكورة والله تعالى أعلم.
2- ونقل أيضًا عن الحسن وسعيد بن جبير أنّهما قالا : ما شك النبي ÕìáÕ?Ù¼åÓåÓ وما سأل .
ينظر تفسير الطبري 610/6 وذكر السيوطي عن ابن عباس مثل قول الحسن وسعيد بن جبير. ينظر الدرّ المنثور للسيوطي705/7.

فإن قيل : فما توجيه وصف الله تعالى عباده الخاشعين بأنّهم يظنّون أنّهم ملاقوه في قوله تعالى: (وَٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾) [البقرة: 45-46].

فالجواب هو أنّ: الظنّ في هذه الآية يراد به اليقين.

قال الطبري: « العرب قد تسمي اليقين ظنّا، والشك ظنًّا، نظير تسميتهم الظلمة سدفة والضياء سدفة، والمغيث صارخًا والمستغيث صارخًا، وما أشبه ذلك من الأسماء التي يسمى بها الشيء وضدّه.

وممّا يدلّ على أنّه يسمى به اليقين قول دريد بن الصّمّة :

فقلت لهم ظنّوا بألفي مدجّج سراتهم في الفارسي المسرّد

يعني بذلك : تيقنوا ألفي مدجج تأتيكم.

وقول عميرة بن طارق :

بأن تغتزوا قومي وأقعد فيكم وأجعل منّي الظنّ غيبًا مرجّمًا

يعني : وأجعل منّي اليقين غيبًا مرجمًا، والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أنّ الظنّ في معنى اليقين أكثر من أن تحصى.

ومنه قوله تعالى:(وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾)

[الكهف:53] »[1].

قلت: واستشهاد الطبري بالآية الأخيرة في غاية الظهور ، ذلك أنّها تصوّر حال الكفار في الآخرة عند معاينتهم النار، وهم حينها لا يشكون أبدًا أنّهم داخلوها، فيكون معنى" **فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا** " أي أيقنوا أنّهم مواقعوها.

1- ثمّ نقل الطبري بعد ذلك عن أبي العالية و السدّي وابن جريح أنّ الظنّ في هذه الآية بمعنى اليقين. تفسير الطبري300/1 وينظر تفسير الكبير للرازي 50/3 وتفسير القرطبي 255/1.

وذكر الدامغاني أنّ الظنّ يأتي في القرآن على أربعة معان:

- فيأتي بمعنى اليقين كقوله تعالى: [**إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ**] [البقرة: 230] أي إن أيقنا.
- ويأتي بمعنى الشك: كقوله في سورة الجاثية حكاية لحال الكفار:(إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا)[الجاثية: 32] ، أي إن نشك إلاّ شكًا.
- ويأتي بمعنى حسب:ومنه قوله تعالى: (إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾) [الإنشقاق: 14-15]. يعني حسب أن لن يرجع.
- ويأتي بمعنى التهمة : كقوله تعالى: (وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾) [الأحزاب: 10].

ينظر كتاب الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للحسين بن محمّد الدامغاني ص332.

فإن قيل : لئن استقام توجيه هذه الآية بالقول إنّ الظنّ قد أتى فيها بمعنى اليقين، فإنّه لا يستقيم في قوله تعالى:(حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ ﴿١١٠﴾) [يوسف: 110].

ذلك أنّ الظنّ لو حُمِل هنا على مجرّد الشك لأفاد أنّ الرسل شكّوا في تحقق ما وعدهم الله به من النصر ، فكيف لو حمل على اليقين؟

قلت : الجواب هنا يحتاج إلى تفصيل[1] ذلك أنّ في الآية قراءتين :

فقد قرأ عاصم وحمزة والكسائي : كُذبوا بالتخفيف.

وقرأ الباقون : كُذّبوا بالتشديد.

- أمّا على قراءة التخفيف فللآية توجيهان:

الأوّل : أن يحمل معنى " وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ " على أنّ الرسل ظنّوا أنّ أنفسهم قد كذبتهم حين حدثتهم بأنّ الله سينصرهم في الدنيا.

أو أنّ رجاءهم النصر كذبهم من قولهم رجاء صادق ورجاء كاذب.

فيكون المقصود بالآية القول: إنّ مدّة التكذيب والعداوة من الكفار قد تطاولت وتمادت حتى استشعر الرسل القنوط وتوّهموا أن لا نصر لهم في الدنيا.

ومن المعلوم أنّ الله لم يعد كلّ رسول أرسله بأنّه سينصره على المكذّبين له في الدنيا وكثير من المرسلين قتلهم أقوامهم، وإذا كان كذلك فلا ضير أن يتوّقع الرسل النصر في الدنيا، ثمّ يحدث خلاف ما توّقعوا إذ الأمر لله تعالى يقضي ما يشاء وهو الحكيم الخبير[2].

2- ينظر هذا التفصيل في تفسير الطبري316/7 وتفسير الكشاف للزمخشري490/2 والتفسير الكبير للرازي186/18 وتفسير القرطبي180/9 وتفسير ابن كثير 60/4وفتح القدير للشوكاني61/3 وروح المعاني للألوسي69/13.

1- قال ابن تيمية عند تفسير هذه الآية : « فمن المعلوم أنّ الله إذا وعد الرسل والمؤمنين بنصر مطلق – كما هو غالب إخباراته - لم يقيّد زمانه ولا مكانه ولا صفته، فكثيرًا ما يعتقد الناس في الموعود به صفات أخرى، لم ينزل عليها خطاب الحق، بل اعتقدوها بأسباب أخرى، كما اعتقد طائفة من الصحابة إخبار النبي ﷺ لهم أنّهم يدخلون المسجد الحرام ويطوفون به أنّ ذلك يكون عام الحديبية ،لأنّ النبي ﷺ خرج معتمرًا ورجا أن يدخل مكّة ذلك العام ويطوف ويسعى.

فلمّا استيأسوا من دخوله مكّة ذلك العام – لمّا صدّهم المشركون- بقي في قلب بعضهم شيء، حتى قال عمر للنبي ﷺ : ألم تخبرنا أنّا ندخل البيت ونطوف؟ قال : بلى، فأخبرتك أنّك تدخله هذا العام؟ قال :لا، قال فإنّك داخله ومطوف.

وكذلك قال له أبو بكر مبيّنًا له أنّ وعد النبي ﷺ غير مقيّد بوقت.

وكون النبي ﷺ سعى في ذلك العام وقصده لا يوجب أن يعني ما أخبر به، فإنّه قد يقصد الشيء ولا يكون بل يكون غيره، بل من تمام نعمة ربّه عليه أن يقيده عمّا يقصده إلى أمرآخر هو أنفع ممّا قصده، كما كان صلح الحديبية أنفع للمؤمنين من دخولهم مكّة ذلك العام.

الثاني : أن يكون فاعل " **ظنّ** "هم القوم المرسل إليهم، فيكون المعنى : استيأس الرسل من أن يؤمن قومهم، وظنّ قومهم أنّ الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من أنّ الله ناصر المرسلين وأتباعهم ومعذبّ الكافرين المكذّبين لهم.
وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير[1].
• أمّا على قراءة التشديد فالمعنى أنّ مدّة البلاء قد طالت وتأخرّ النصر عن الرسل حتى ظنّوا أنّ معهم من المؤمنين قد كذّبوهم،وهذا قول عائشة رضي الله عنها.
أخرج البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير أنّه سأل عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى :"حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ " فقال:

÷ أهي كذبوا [بالتخفيف] أم كذّبوا [بالتشديد] فقالت: بلّ كذّبوا. قال: قلت: والله لقد استيقنوا أنّ قومهم كذّبوهم فما هو بالظنّ. قالت: أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك. قال: فقلت: لعلّها وظنّوا أنّهم قد كذبوا [مخفّفة] فقالت: معاذ الله، لم تكن الرسل لتظنّ ذلك بربّها[2]. قال: قلت فما هذه الآية ؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بهم وصدّقوهم وطال عليهم البلاء واستأخر عليهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممّن كذّبهم من قومهم وظنّت الرسل أن أتباعهم قد كذّبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك×[3].

قال الرازي بعد أن ذكر قول عائشة رضي الله عنها: ÷ وهذا التأويل أحسن الوجوه المذكورة في الآية وهو عن عائشة رضي الله عنها في غاية الحسن×[4].
ومن المهمّ هنا الإشارة إلى أنّه قد ورد في صحيح البخاري عن ابن أبي مليكة قال : ÷ قال ابن عبّاس **" حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ "** خفيفة،

ومثل هذا لا يمتنع على الأنبياء أن يظنّوا شيئًا فيكون الأمر بخلاف ما ظنّوه، فقد يظنّون فيما وعدوه تعيينًا وصفات ولا يكون كما ظنّوه، فييأسون ممّا ظنّوه في الوعد لا من تعيين الوعد». التفسير الكبير لإبن تيمية 5 / 124 ومجموع الفتاوى له أيضًا 15 / 106 بتصرّف يسير.

2- ينظر تفسير الطبري317/7 ومابعدها. وأخرج الطبري عن إبراهيم بن أبي الحرّة الجزري قال : سأل فتى من قريش سعيد بن جبير فقال له : يا أبا عبد الله: كيف تقرأ هذا الحرف فإنّي إذا أتيت عليه تمنيت أن لا أقرأ هذه السورة ÷ حتى إذا استيأس الرسل وظنّوا أنّهم قد كذبوا× فقال سعيد بن جبير : نعم حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدّقوهم وظنّ المرسل إليهم أنّ الرسل كذبوا. فلمّا سمعها الضحاك بن مزاحم قال : لو رحلت في هذه الكلمة إلى اليمن كان قليلاً.

1- قراءة : " **قَدْ كُذِبُوا** " بالتخفيف قراءة صحيحة و متواترة ، ويحمل إنكار عائشة لها بكونها لم تبلغها أو أنها لم تنكر القراءة وإنما أنكرت أن تحمل" **كُذِبُوا** " مخففة على الرسل و الله تعالى أعلم .

2- البخاري **كتاب** تفسير القرآن **باب** قوله: (**حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ**) 264/5 رقم 4695.

3- التفسير الكبير للرازي 187/18.

ذهب بها هناك، وتلا:(حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾) [البقرة:214] ×[1].

قال ابن حجر في الفتح : ÷وقد أخرجه النسائي والإسماعيلي من هذا الوجه بلفظ : ذهب ها هنا "وأشار إلى السماء" وتلا : (حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ).

وزاد الإسماعيلي في روايته: ثمّ قال ابن عباس،كانوا بشرًا ضعفوا وأيسوا وظنّوا أنّهم قد كذبوا×[2].

ثم قال ابن حجر موّجهًا كلام ابن عبّاس : ÷ الذي يُظَنُّ بابن عباس أنّه أراد بقوله " كانوا بشرًا ضعفوا وأيسوا "من آمن من أتباع الرسل لا نفس الرسل .

وقول الراوي : ذهب بها هناك أي إلى السماء : معناه أنّ أتباع الرسل ظنّوا أنّ ما وعدهم به الرسل على لسان الملك تخلّف، ولا مانع أن يقع ذلك في خواطر بعض الأتباع.

وليس في كلام ابن عبّاس التصريح بأنّ الرسل هم الذين ظنّوا ذلك، ولا يلزم ذلك من قراءة التخفيف.

بل قد أخرج النسائي من طريق أخرى عن ابن عبّاس في قوله " قَدۡ كُذِبُواْ"

قال: استيأس الرسل من إيمان قومهم وظنّ قومهم أنّ الرسل قد كذبوهم، وإسناده حسن. فليكن هو المعتمد في تأويل ما جاء عن ابن عبّاس وهو أعلم بمراد نفسه من غيره، خاصة وأنّه مروي أيضًا عن سعيد بن جبير الذي هو من أكبر أصحاب ابن عبّاس العارفين بكلامه×[3].

وذهب الزمخشري إلى تأويل آخر لهذا المروي عن ابن عبّاس فقال : « أراد بنسبة الظنّ إلى الرسل ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية ،وأمّا الظنّ الذي هو ترجح أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين، فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس برّبهم»[4].

4- البخاري **كتاب** تفسير القرآن **باب** (أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ) الآية190/5 رقم 524/4 .

1- فتح الباري 8 / 467.

2- المصدر السابق 8 / 468 بتصرّف يسير.

3- تفسير الكشاف للزمخشري490/2 .وهذا ظاهر ما ذهب إليه ابن تيمية أيضًا حيث قال : « قوله: (وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ) قد يكون مثل قوله: (إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ) [الحج: 52]، والظنّ لا يراد به في الكتاب والسنّة الإعتقاد الراجح كما هو في اصطلاح طائفة من أهل

وبمثل هذا الكلام من الزمخشري يوّجه ما ذهب إليه الطبري في تفسير قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾) [البقرة: 260].

حيث أورد ترجمة قال فيها[1]:« وقال آخرون، إنّ إبراهيم سأل ربّه ذلك لأنّه شكّ في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى.

وأورد تحت هذه الترجمة:

• قول سعيد بن المسيّب : اتّعد عبد الله بن عبّاس وعبد الله بن عمرو أن يجتمعا – قال:ونحن يومئذ شبيبة – فقال أحدهما لصاحبه : أي آية في كتاب الله أرجى لهذه الأمّة ؟ فقال عبد الله بن عمرو :(قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾) [الزمر: 53].

فقال ابن عبّاس : أمّا إن كنت تقول إنّها، وإنّ أرجى منها لهذه الأمّة قول إبراهيم : (رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ) .

• و قول ابن جريج : سألت عطاء بن أبي رباح عن قوله: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ) فقال : دخل

الكلام في العلم، بل قد قال النبي ﷺ **« إيّاكم والظنّ فإنّ الظنّ أكذب الحديث»** وقال الله تعالى:(وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾) [النجم: 28] ، فالاعتقاد المرجوح هو ظن وهو وهم، وهذا الباب قد يكون من حديث النفس المعفوّ عنه كما قال ﷺ: **« إنّ الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تكلّم أو تعمل »** وقد يكون من باب الوسوسة التي هي صريح الإيمان كما ثبت في الصحيح أنّ الصحابة قالوا : يا رسول الله إنّ أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يحرق حتى يصير حممة أو يخرّ من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به، فقال ﷺ: **أو قد وجدتموه ؟ قالوا : نعم. قال : ذلك صريح الإيمان »**. ينظر التفسير الكبير لابن تيمية 5 / 118 ومجموع الفتاوى له أيضًا 15 / 102 .

1- ينظر تفسير الطبري 51/3

قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب النّاس فقال : " رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ " .

قال: " قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ " ليريه.

● و حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : **« نحن أحقّ بالشك من إبراهيم قال: (قَالَ**

إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَال بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى) »[1].

ثمّ رجحّ الطبري ما أورده في الترجمة بقوله : « وهذا أولى الأقوال بتأويل الآية لصحّة الخبر به عن رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو قوله نحن أحقّ بالشك من إبراهيم ..." الحديث.

وأن تكون مسألة إبراهيم ربّه أن يريه إحياء الموتى لعارض من الشيطان عرض في قلبه، فقد قال ابن زيد : مرّ إبراهيم بحوت نصفه في البرّ ونصفه في البحر، فما كان منه في البحر فدوّاب البحر تأكله، وما كان منه في البر فالسباع ودوّاب البرّ تأكله، فألقى الشيطان في نفسه فقال : متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء ؟ فسأل إبراهيم حينئذ ربّه أن يريه كيف يحيي الموتى ليعاين ذلك عيانًا، فلا يقدر بعد ذلك الشيطان أن يلقي في قلبه مثل الذي ألقى فيه عند رؤيته ما رأى من ذلك»[2].

قلت : فواضح من كلام الطبري في الترجيح أنّه يقصد بالشكّ الذي أورده في الترجمة ما هو من قبيل وسوسة الشيطان التي تُلقى في قلب الإنسان بغير اختيار منه، ولا حيلة له في منع الشيطان من إلقائها، وهذا ما كرهه إبراهيم فسأل ربّه أن يريه إحياء الموتى – لا ليصدّق بما كان فيه شاكًّا- بل ليُيئِس الشيطان من أن يلقي إليه ذلك مرّة أخرى.

ومع هذا فقد ردّ بعض المفسّرين[3] ما ذهب إليه الطبري وأجابوا عمّا استدلّ به لترجمته بقولهم: « أمّا قول ابن عبّاس : " **هي أرجى آية** "فمن حيث الإدلال على الله تعالى وسؤال الإحياء في الدنيا وليست مظنّة ذلك.

1- البخاري **كتاب** تفسير القرآن **باب** (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ) 195/5 رقم 4537.

2- تفسير الطبري 3 / 51 بتصرّف يسير.

3- كابن عطية في المحرّر الوجيز 417/2 وأبو حيان الأندلسي في البحر المحيط 642/2 والقرطبي في التفسير 194/3 .

وأمّا قول عطاء بن أبي رباح فمعناه: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب النّاس من حبّ المعاينة، ذلك أنّ النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أُخبرت به.

وأمّا قول النبي صلى الله عليه و سلم **"نحن أحقّ بالشك من إبراهيم "** فمعناه : أنّه لو كان شك لكنّا نحن أحقّ به، ونحن لا نشك فإبراهيم أحرى أن لا يشك ، فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم ».

والذي يظهر لي أنّه لا يوجد فرق جوهري بين قول الطبري وغيره إذ لم يقصد الطبري بالشك ما اصطلح عليه من أنّه التوقف بين أمرين دون الجزم بأحدهما، ذلك أنّ ألفاظ الآية صريحة في انتفاءه عن إبراهيم حيث جاءت صيغة السؤال بـ " كيف" وهي إنّما تستعمل في السؤال عن حالة شيء موجود متقرّر الوجود عند السائل والمسؤول نحو قول القائل : كيف يحكم زيد في الناس؟ فهو لا يشك في أنّه يحكم فيهم ولكنّه سأل عن كيفية حكمه المعلوم ثبوته، ولو كان سائلاً عن ثبوت ذلك لقال : أيحكم زيد في النّاس؟ .

وهذه العبارة تستعمل أيضًا في الإستعجاز كأن يدّعي شخص قدرته على رفع شيء بالغ الثقل فيقول من ينكر ذلك : أرني كيف تحمله؟ يريد بذلك إظهاره عجزه، فلوجود هذا الاحتمال اللفظي في عبارة إبراهيم أراد الله تعالى أن ينطقه بجواب يزيل عنه هذا الاحتمال، فسأله سؤال تقرير وإيجاب : أو لم تؤمن؟

فأجاب بلى" أي بلى قد آمنت ولكن سألت **" ليطمئن قلبي"** أي ليزداد يقيني[1].

والله تعالى أعلم.

ولابدّ في ختام هذا المطلب من التنبيه إلى أمرين مهّمين :

الأوّل : أنّ هذا التصديق الذي هو ركن في الإيمان قابل للتفاضل قلّة وكثرة ،وقوّة وضعفًا: أمّا تفاضله قلّة وكثرة فيدُلّ عليه قوله تعالى:(**وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾**)

[التوبة: 124-125].

فقوله " **فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا** " أي تصديقًا، ذلك أنّهم قبل نزول السورة لم يكونوا ملزمين بالتصديق بها إلاّ في جملة إيمانهم بأنّ كلّ ما جاءهم به نبيّهم صلى الله عليه و سلم من عند الله فهو حق، فلمّا نزلت السورة لزمهم التصديق بأنّها

1- ينظر روح المعاني للألوسي 26/3 وفتح القدير للشوكاني 282/1.

بعينها من عند الله، وهكذا كلّما تجددّ تكليف صدّقوا به فيزدادون بذلك تصديقًا، إذ من المعلوم أنّ من صدق إنسانا في شيئين كان أكبر ممّا يصدّقه في شيء واحد.
وبالمقابل فقد زاد نزول السورة المنافقين رجسًا إلى رجسهم لكونهم كانوا مكذّبين بالسور النازلة قبل ذلك وازدادوا بتكذيبهم هنا كفرًا إلى كفرهم[1].

وأمّا تفاضله قوّة وضعفًا فيدلّ عليه ما سبق من قوله تعالى: (وَإِذ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيۡفَ تُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِىۖ)[البقرة: 260].

قال سعيد بن جبير والضحاك وقتادة والربيع : معنى " لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِى" أي ليزداد يقيني .
وقال مجاهد : « أي لأزداد إيمانًا مع إيماني »[2].
ومن كانت عنده الدلائل أكثر وأقوى كان التصديق عند أشدّ وأرسخ، وهذا يحسُّه كلّ واحد من نفسه، فالشخص يصدّق بالخبر إذا بلّغه به من هو ثقة عنده، لكن درجة تصديقه ليست مثل درجة تصديق شخص بلغه الخبر عن مئة ممّن يثق بهم، فتصديق الثاني أشدّ وأرسخ في نفسه من الأوّل، وإن كان الأوّل غير مكذّب ولا شاك[3].
الثاني : أنّ انعدام هذا التصديق بحيث يوجد ما هو مقابله من الشك والتكذيب قليل في الكفار الذين بلغتهم دعوة الرسل، حيث إنّ الله تعالى ضمّن كتبه الحجج الباهرة، وأيدّ رسله بالمعجزات الظاهرة، التي لا يمكن أن ينكرها أو يشكّ في صدقها إلاّ من ألزم نفسه الإعراض عن النظر فيها[4].
ولهذا ذكر الله في القرآن الكريم عن الكفّار أنّهم إنّما كذّبوا الرسل بألسنتهم استكبارًا وعنادًا في حين كانت قلوبهم موقنة بصدقهم، كما قال تعالى عن فرعون وقومه : (وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمًا وَعُلُوّٗاۚ) [النمل: 14].

وسيأتي مزيد تفصيل لهذه المسألة في المطلب الثاني من هذا المبحث إن شاء الله تعالى .

1- ينظر تفسير الطبري518/6 والتفسير الكبير للرازي 200/16 .
2- ينظر تفسير الطبري52/3.
3- للتصديق حد أدنى من الجزم يتحقق به، فإذا تحقق أمكن أن يزيد عن هذا الحد الأدنى بزيادة الأدلّة، وأمكن أيضًا أن ينقص لكنّ نقصًا عن هذه الزيادة وليس نقصًا عن الحد الأدنى الذي زال به الشك والتكذيب وتحقق به اسم التصديق. والله تعالى أعلم.
وذكر ابن تيمية أن الإيمان يتفاضل من سبعة أوجه اكتفيت منها في الأعلى بذكرالوجهين اللذين لهما تعلّق بهذا المطلب. ينظر كتاب الإيمان لإبن تيمية ص8/ 83 ومابعدها ومجموع الفتاوى له أيضا 147/7.
4- ينظر ما ذكره ابن القيم عن هذه المسألة في كتابه مدارج السالكين 1 / 377 و 378.

المطلب الثاني
الإنـــــــــقـــيـــاد

الإنقياد الذي هو ركن في الإيمان يعني الخضوع والاستسلام لله تعالى بالقلب واللسان و الجوارح، ويكون ذلك بفعل ما أمر الله به والانتهاء عمّا نهى عنه.
ولئن كان القول بأنّ التصديق – الذي مضى بيانه في المطلب الأول – ركن في الإيمان، مسألة مسلّمة لا يجادل فيها أحد، فإنّ دلالة القرآن على كون الانقياد ركنًا في الإيمان مسألة تحتاج إلى استدلال وبرهان[1] يتحقق باجتماع ثلاثة أوجه :
الوجه الأوّل: ما مضى بيانه في المبحث الأول من أنّ اسم الإيمان في القرآن يطلق على ما يشمل – زيادة على التصديق الباطن – أعمال القلب والجوارح، والدليل على ذلك آيات كثيرة منها:

- قوله تعالى: (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤) [الأنفال: 2-4].

- وقوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ

1- ذلك أنّه وقع بين مختلف طوائف الأمّة نزاع طويل حول مسمى الإيمان واندراج الأعمال فيه وحاصل ما ذكر في هذه المسألة من الأقوال أربعة:
الأوّل : أنّ الإيمان هو التصديق فقط.
الثاني : أنّه التصديق بالقلب والنطق باللسان.
الثالث : أنّه النطق باللسان.
الرابع : التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح.
ينظر تفصيل هذه الأقوال منسوبة إلى أصحابها في مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري 197/1 والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم 209/2.

ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾) [المؤمنون:1-11].

• وقوله تعالى: (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾) [الحجرات: 15].

وقد مضى الحديث عن هذه الآيات وغيرها، وبيان وجه دلالتها في المبحث الأوّل من هذا الفصل[1]، ويمكن أن يضاف إلى ما سبق ذكره هناك الآيات التالية :

• قال الله تعالى: (لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾) [البقرة: 177].

و المقصود بالبرّ في هذه الآية الإيمان ، فقد رُوي أنّ أبا ذرّ τ سأل النبي ρ عن الإيمان فقرأ عليه: (لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ) الآية[2].

واستدلّ البخاري بهذه الآية على خصال الإيمان[3]، فقال في كتاب الإيمان من صحيحه :÷ باب أمور الإيمان وقول الله تعالى:(لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ) الآية×[4].

1- ينظر صفحة 6 من هذا البحث.

2- أخرجه عبد الرزاق في مصنّفه 128/11 رقم 20110 ومحمّد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة ص 271 رقم 409 . قال ابن حجر في المطالب العالية 474/14 مرسل صحيح الإسناد وله شاهد.

3- ينظر فتح الباري لإبن رجب الحنبلي 29/1.

4- البخاري 10/1 .

قال الطبري في معنى قوله تعالى في آخر الآية :" أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ " :÷ أي من فعل هذه الأشياء، فهم الذين صدقوا الله في إيمانهم وحقّقوا قولهم بأفعالهم×[1].

وقال ابن كثير : ÷"أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ " : أي هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم ، لأنّهم حقّقوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال ×[2].

وقال ابن تيمية في توجيه أنّ المقصود بالبرّ في الآية الإيمان : « قوله تعالى " أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ " دليل على أنّ المراد صدقوا في قولهم آمنّا، فإن هذا هو القول الذي أمروا به وكانوا يقولونه، ولم يؤمروا أن يلفظوا بألسنتهم ويقولوا : نحن أبرار أو بررة، بل إذا قال الرجل أنا برٌّ فهذا مزكٍّ لنفسه ،ولهذا كانت زينب بنت جحش اسمها برّة فقيل تزكّي نفسها، فسمّاها النبي صلى الله عليه و سلم زينب، بخلاف إنشاء الإيمان بقولهم آمنّا فإنّ هذا قد فرض عليهم أن يقولوه كما قال تعالى: (قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ) [البقرة: 136] »[3] .

• قال الله تعالى: (وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾) [البقرة: 143].

والمقصود بـ " إِيمَٰنَكُم" في الآية : صلاتكم ،كما قال ذلك البرّاء بن عازب وابن عبّاس والسدّي وقتادة والربيع وسعيد بن المسيّب[4].

أخرج البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب قال : «مات على القبلة قبل أن تحوّل رجال فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ) »[5]

فالصحابة رضي الله عنهم ظنّوا أنّ نسخ الحكم يجعل المنسوخ باطلا، فلا تترتّب عليه آثار العمل

1- تفسير الطبري 2/.106

2- تفسير ابن كثير 368/1.

3- الإيمان لإبن تيمية ص 146.

4- ينظر تفسير الطبري 19/2 والدرّ المنثور للسيوطي 25./2

5- البخاري **كتاب** الإيمان **باب** الصلاة من الإيمان 18/1 رقم 40 .

به، فتوجّسوا خيفة على صلاة إخوانهم الذين ماتوا قبل نسخ التوجّه إلى بيت المقدس[1].

فمعنى " وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمۡ " : أي ما كان الله ليضيع ثواب وأجر صلاتكم التي صليتموها إلى بيت المقدس، بل هو ثابت لكم وإن كانت القبلة قد حوّلت [2].

و إضافة إلى هذه الآيات التي تحمل دلالة صريحة على اندراج الأعمال[3] في مسمّى الإيمان، وردت آيات أخرى دالّة على اندراج الإيمان [4]في مسمّى الأعمال :

• قال الله تعالى: (وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾) [الزخرف: 72]. فكلمة " تَعۡمَلُونَ " شاملة للتصديق والعمل معًا، إذ من عمل دون أن يكون مصدّقًا لا يستحق دخول الجنّة، بل هو من جنس المنافقين الذين هم في الآخرة في الدرك الأسفل من النار[5].

• ومثله قوله تعالى :(وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَـٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾) [سبأ: 37].

فوصف الله تعالى هنا المستحقين للجنّة؛ بالتصديق والعمل فقال: "إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا " ثم شمل الأمرين باسم العمل فقال " فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ ".

وفي الصحيح أنّ النبي **صلى** الله عليه و سلم: **سئل أي العمل أفضل ؟ فقال إيمان بالله ورسوله**[6].

1- ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور25/2.

2- ينظر تفسير الطبري 20/2 وتفسير ابن كثير 338/1 .

3- يعني أعمال القلب من حب وخوف ورجاء وتوكّل ونحوها وأعمال الجوارح من صلاة وصدقة و صوم وحج ونحوها.

4- المراد به هنا التصديق القلبي ولا خلاف في تسميته إيمانا.

5- قال البخاري في **كتاب** الإيمان من صحيحه : **باب** من قال إن الإيمان هو العمل لقول الله تعالى (وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾) [الزخرف: 72]. البخاري 14/1 .

6- البخاري **كتاب** الإيمان **باب** من قال إن الإيمان هو العمل 14/1 رقم 26 ، و مسلم **كتاب** الإيمان **باب** بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال 85/1 رقم 83.

فحصل من مجموع ما ذكر أنّ العمل يسمّى إيماناً، وأنّ الإيمان يسمّى عملاً، وأنّ كلا منهما يسمّى به مجموع التصديق والعمل.

وإذا تبيّن هذا فإنّه لا يمكن أبدًا قصر مفهوم الإيمان على التصديق دون العمل – ولو كان ذلك
لفظًا[1]- إلاّ على سبيل الدعوى والتحكّم.
فإن قيل : إنّما دعى إلى القصر ما دلّت عليه اللغة من أنّ الإيمان التصديق دون العمل.
فالجواب هو:
أوّلاً : اللغة إنّما يستعان بها لدرك دلالة ألفاظ النصوص الشرعية، لا لمعارضة هذه الدلالة بها فإذا كان المراد من الألفاظ واضحًا في كلام الله تعالى وسنّة نبيّه صلى الله عليه و سلم كما هو الحال في هذه المسألة، لم يجز لأحد من النّاس مخالفته بما يعرفه هو من كلام العرب.
ثانياً: التصديق في اللغة يكون بالقلب،ويكون أيضا باللسان والجوارح.
● قال الله تعالى: (**وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ**)[الصافات: 104-105].
فسمى إضجاع إبراهيم ولده ليذبحه امتثالاً لأمر الله تصديقًا.
وقال : « صلى الله عليه و سلم **.كتب على ابن آدم حظّه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنّى وتشتهي و الفرج يصدّق ذلك أو يكذّبه»** [2].
وقال كثيّر عزّة في مدح عمر بن عبد العزيز :
وقلت فصدّقت الذي قلت بالذي عملت فأضحى راضيا كلّ مسلم.
وعليه فالقول بدخول الأعمال في مسمّى الإيمان ليس خروجًا به عن المعنى اللّغوي، لكون الأعمال تسمّى أيضًا تصديقًا[3]. والله تعالى أعلم.
الوجه الثاني: ما حكاه القرآن الكريم عن كثير من الكفّار؛ من أنّهم كانوا مصدّقين في الباطن بدعوة الرسل عليهم السلام؛ غير مكذّبين لها:

1- ذلك أنّ البعض قد يسلم بلزوم الأعمال للإيمان وأنّه لا عبرة بالتصديق دونها ، لكن ينكر أن يكون الإيمان شاملا للأعمال من حيث الدلالة اللفظية .
2- البخاري **كتاب** الاستئذان **باب** زنا الجوارح دون الفرج 168/7 رقم 6243. مسلم **كتاب** القدر **باب** قدّر على ابن آدم حظه من الزنا 1624/4 رقم 2657.
3- ينظر تفصيل هذه المسألة في كتاب الإيمان لابن تيمية ص 101 ،230،224،103 ومجموع الفتاوى له أيضا 180/7،83 ،184.

• قال الله تعالى محذّرًا المؤمنين من كيد أهل الكتاب: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ) [البقرة: 109].

أي من بعد ما تبيّن لهم أنّ الإسلام دين الله، وأنّ محمّدًا صلى الله عليه و سلم رسول الله يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة و الإنجيل[1]، فلم يجهلوا من ذلك شيئًا لكن حملهم على الكفر الحسد إذ لم يكن الرسول منهم وكان من غيرهم[2].

• وقال الله تعالى: (ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾) [البقرة: 146].

فشبّه الله تعالى معرفة أهل الكتاب لمحمّد صلى الله عليه و سلم وأنّه الرّسول الذي بشرّت به التوراة والإنجيل، بمعرفتهم لأبنائهم التي هي قمّة المعرفة،وهو مثل يضرب في لغة العرب على اليقين الذي لا شبهة فيه[3]. قال الطاهر بن عاشور : ÷ التشبيه في قوله تعالى " كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ " تشبيه في جلاء المعرفة وتحققها، فإنّ معرفة المرء بعلائقه معرفة لا تقبل اللبس، وخصّ الأبناء لشدّة تعلّق الآباء بهم فيكون التمَلّي من رؤيتهم كثيرًا، فتتمكّن معرفتهم×[4].

وقال القرطبي : ÷ روي أنّ عمر قال لعبد الله بن سلام : أتعرف محمّدًا صلى الله عليه و سلم كما تعرف ابنك ؟ فقال : نعم وأكثر، بعث الله أمينه في سمائه إلى أمينه في أرضه بنعته فعرفته، وابني لا أدري ما كان من أمّه×[5].

• وقال الله تعالى عن مشركي قريش الذين حاربوا النبيّ صلى الله عليه و سلم ودعوته : (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾) [الأنعام: 33].

قال ابن كثير : ÷ أي أنّهم لا يتهمونك بالكذب في نفس الأمر، ولكنّهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم×[6].

1- وهذا قول قتادة والسدّي والربيع . ينظر تفسير الطبري 536/1.
2- ينظر تفسير ابن كثير 268/1.
3- ينظر تفسير ابن كثير 341/1 وفي ظلال القرآن لسيّد قطب135/1.
4- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 40/2.
5- تفسير القرطبي 110/2.
6- تفسير ابن كثير17/3.

وقوله تعالى " يَجْحَدُونَ": أي ينكرون بألسنتهم ما عرفوه بقلوبهم، فالجحود في لغة العرب

الإنكار بعد معرفة وهو ضدّ الإقرار[1].

قال الراغب : ÷ الجحود نفي ما في القلب إثباته واثبات ما في القلب نفيه×[2].

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي يزيد المدني: أنّ النبي صلى الله عليه و سلم لقي أبا جهل فجعل أبو جهل يلاطفه ويسائله، فمرّ به بعض شياطينه فقال : أتفعل هذا ؟ قال : إي والله إنّي لأفعل به هذا، وإنّي لأعلم أنّه صادق،ولكن متى كنّا تبعًا لبني عبد مناف؟وتلا أبو يزيد : (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ) الآية[3].

وأخبر الله تعالى في القرآن الكريم أنّ فرعون الذي بلغ من الكفر ما بلغ ؛كان وملأه مصدّقين في بواطنهم بدعوة موسى:

• فقال سبحانه عنهم: (فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ ﴿١٤﴾) [النمل:13-14].

أي أنّهم علموا في نفوسهم واستيقنوا بقلوبهم أنّ الآيات من عند الله، لكن كفروا تكبرًا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى[4].

فواضح من هذه الآيات أنّ كفر هؤلاء المذكورين لم يكن بسبب جهلهم الحق، ولا بسبب اعتقادهم أنّ الرسل كاذبون، وإنّما كان سبب كفرهم الكبر والحسد اللذّان هما سبب أوّل كفر وقع وهو كفر إبليس – عليه لعنة الله - :

• قال الله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾) [البقرة: 34].

قال الطبري : ÷ معنى قوله " وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ " أنّه كان – حين أبى السجود – من الكافرين حينئذ×[5].

فرفض إبليس الخضوع لأمر ربّه وعدم رضاه بحكمه بتفضيل آدم؛ جعله كافرًا، رغم أنّه كان مقرًا بقلبه بل وبلسانه أنّ الله ربّه، وأنّه أمره بالسجود، بل وكان

1- ينظر المحرر الوجيز لإبن عطية 182./5

2- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 95.

3- نقلا عن الدرّ المنثور للسيوطي 40./6

4- ينظر تفسير الطبري 502/9 والتفسير الكبير للرازي 24/ 169 وفتح القدير للشوكاني 128/4.

5- تفسير الطبري 266/1.

مقرًا أيضًا بالبعث والحساب كما هو واضح من قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾) [الأعراف: 11-15].

وعليه فلا يمكن أبدًا القول إنّ مجرّد التصديق القلبي كافٍ في حصول الإيمان ؛ لأنّه يلزم عنه القول بأنّ إبليس وفرعون وكفّار اليهود والنصارى وغيرهم ممن سبق ذكرهم كانوا مؤمنين، وهو ما يعلم فساده بالضرورة.

وبهذا يتبيّن أنّ الخضوع والانقياد ركن لا يتحقق الإيمان إلاّ به، ذلك أنّ الإنسان إذا بلغته دعوة الرسل عليهم السلام كاملة،لم يمكنه أن يدفع عن قلبه التصديق بها لوضوح براهينها، وقوّة حججها، ثمّ هو بإزاء ما يصدّق به قلبه أمام طريقين:

- إمّا أن يخضع وينقاد فيكون من المؤمنين
- وإمّا أن يتولى ويستكبر فيكون من الكافرين

والخضوع والانقياد يكون بالقلب ، ويكون باللسان ، ويكون بالجوارح، غير أنّ خضوع القلب هو الأصل، لهذا انتفى الإيمان عن المنافقين بانتفائه مع أنّهم في الظاهر منقادون خاضعون بألسنتهم وجوارحهم :

- قال الله تعالى عن المنافقين : (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾)[البقرة: 8-9].

- وقال عنهم: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ)[المائدة: 41].

- وقال عنهم :(وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾) [التوبة: 54].

فالمنافقون كانوا يعلنون الإيمان بألسنتهم، ويصلّون وينفقون ورغم ذلك فإنّهم في الآخرة من أهل النار مع الكفّار لعدم انقياد قلوبهم:

• قال الله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾)[النساء: 140].

ولأنّ انتفاء الخضوع من القلب أمر خفي لا يمكن لأحد أن يطلّع عليه إلاّ الله تعالى[1]، أجريت على المنافقين في الدنيا أحكام أهل الإيمان بناءًا على ما أظهروه من انقياد اللسان والجوارح، فجاز مناكحتهم و موراثتهم، والصلاة عليهم إذا ماتوا ودفنهم في مقابر المسلمين، وغير ذلك من الأحكام.

ولئن كان بالإمكان وجود انقياد وخضوع من اللسان والجوارح دون القلب، فإنّه لا يمكن أبدًا أن يوجد انقياد وخضوع من القلب دون اللسان والجوارح، فإذا انتفى خضوع اللسان والجوارح دلّ ذلك على انتفاء خضوع القلب حتمًا،و الدّليل على ذلك أنّ الله تعالى لم يذكر في القرآن من الناس إلاّ ثلاثة أقسام :

- قسم اجتمع فيه انقياد الباطن والظاهر هم المؤمنون.
- قسم غير منقاد لا باطنًا ولا ظاهرًا هم الكفّار.
- قسم وُجد منهم الانقياد في الظاهر دون الباطن هم المنافقون.

وليس ثَمَّ أبدًا قسم رابع منقاد بباطنه كافر بظاهره، إلاّ في حالة واحدة هي حالة الإكراه التي تعتبر استثناءًا من الأصل :

• قال الله تعالى: (مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾) [النحل:106].

فأخبر سبحانه في هذه الآية أنّ كلّ من صدر عنه ما يدلّ على الكفر من قول أو فعل فهو من أهل وعيد الكفار في الآخرة ، إلاّ من أكره على ذلك ففعل وقلبه موقن بالإيمـان فلا حرج عليه[2] .

وقوله تعالى بعد استثناء المكره " وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"دليل على أنّ كلّ من صدر عنه ما يدلّ على الكفر من غير إكراه فقد شرح بالكفر صدرًا[3].

والمسلمون متفقون على أنّ أقلّ انقياد في الظاهر يثبت به الإيمان ويستدّل به على انقياد الباطن؛ هو أن ينطق الشخص بالشهادتين بنيّة إعلان دخوله في الإسلام وقبوله جريان أحكامه عليه، واختلفوا فيما وراء ذلك، فمنهم من اشترط – زيادة على الشهادتين – الصلاة حتى يثبت له اسم الإيمان ولا يزول عنه إلى الكفر ،

1- هذا في حالة وجود انقياد ظاهر باللسان والجوارح، أمّا في حالة انعدام خضوع اللسان والجوارح فالحكم بانتفاء خضوع القلب واضح وجليّ كما سيأتي.

2- ينظر تفسير الطبري 652/7 وتفسير ابن كثير 228/4.

1- ينظر كتاب الإيمان لابن تيمية ص 174 و مجموع الفتاوى له أيضا 140/7 .

ومنهم من اشترط الصلاة والزكاة، ومنهم من اشترط الأركان الأربعة من صلاة وزكاة وصوم وحج.
وليس الغرض هنا تفصيل هذه الأقوال ، وإنّمّا القصد بيان أنّ التصديق القلبي وحده غيركاف، ولابدّ أن ينضمّ إليه قدر من الخضوع والانقياد حتى يثبت اسم الإيمان .
الوجه الثالث: الأهميّة التي أولاها القرآن الكريم للعمل[1]، حيث جعل الخضوع والانقياد لله تعالى محور آياته، وعلّق به مدحه وذمّه، وثوابه وعقابه.
وكلّ من يقرأ القرآن الكريم لابدّ وأن يدرك أنّ الله تعالى ما أنزل الكتب وأرسل الرسل، إلاّ ليستقيم البشر على منهج الله في كل شأن من شؤون الحياة، وأنّ دين الله لم يكن في يوم من الأيام مجرّد تصوّرات واعتقادات يصدّق بها القلب نظرًا، وتكذّب بها الجوارح واقعًا وعملاً.
ويكفي النظر إلى ما قصّه القرآن الكريم عن الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -
لإدراك أنّ معاناتهم الطويلة وأتباعهم، والعداء المستحكم بينهم وبين الكفّار المكذّبين لهم ، لم يكن أبدًا بسبب مجرّد تصوّرات ذهنية واعتقادات قلبية، وإلاّ فما كان أسهل على أعداء الرسل أن يعلنوا تصديقهم وإقرارهم، ثمّ ينطلقوا في هذه الدنيا أحرارًا من كل قيد، لا أوامر تحكم تصرّفاتهم، ولا نواهي تحدُّ من رغباتهم.
بل إنّ كفّار قريش حاربوا دعوة النبي صلى الله عليه و سلم وآذوه وأصحابه ؛ قبل نزول الأوامر والنواهي ، وما ذاك إلاّ لإدراكهم أنّ طبيعة التصوّرات التي نزل القرآن بتقريرها[2]، تقتضي بذاتها أثرها العمليّ اقتضاءًا ، وتستلزمه استلزامًا ، وإلاّ عُدَّ الإنسان مكذّبًا بها ، ولو أقسم لسانه بأغلظ الأيمان أنّه بها مصدّق.

2- لابدّ من التنبيه هنا إلى أنّه رغم الخلاف الكبير الذي وقع بين مختلف طوائف الأمّة وعلمائها في مسألة الإيمان، إلاّ أنّ أحدًا لم يجادل في أهميّة العمل ومكانته من الدين ، وتعلّق المؤاخذة به في الدنيا والآخرة، وقد كان علماء الأمّة الذين نفوا اندراج العمل في مسمى الإيمان أعلم وأفقه وأجلّ من أن يجادلوا في هذا الأمر المسلّم البدهي، وجلّ خلافهم مع من أدخل العمل في مسمى الإيمان كان خلافًا لفظيا لا تنبني عليه نتائج عملية ظاهرة.
إذا تبين هذا ،فإنّ القصد من وراء إيراد هذا الوجه إنّما هو بيان ضلال من زعم في هذه العصور المتأخرّة أنّ الدين لا علاقة له بالحياة ولا بالسلوك العملي ، وأنّه لا يعدو أن يكون رابطة قلبية بين العبد وربّه لا تستدعي أكثر من شعائر محدودة تقام في دور العبادة – إن أقيمت – أمّا دنيا النّاس وما يجري فيها من مختلف المعاملات ، فلا سلطان لدين الله عليها لا من قريب ولا من بعيد بل هي موكولة لأهواء البشر ومصالحهم – أو هكذا يقولون –
و لو قدّر لعلماء الأمّة الذين سوّدوا الصفحات في إنكار ذاك الخطأ اللفظي الذي اقتضى خروج الأعمال عن مسمّى الإيمان بالأمس ، وقفوا على هذا الإنحراف الجوهري في مسألة الإيمان اليوم ، لتمثّلوا قول القائل :

ربّ يوم بكيت منه فلمّا صرت في غيره بكيت عليه .

1- والتي مضى ذكرها عند الكلام عن التصديق المجمل في المطلب الأوّل من هذا المبحث.

وسأكتفي تقريرًا لهذا الوجه بإيراد بعض الآيات ، أحاول من خلالها بيان طبيعة هذا الدين، وحقيقة الإيمان به والانتماء إليه، مع التنبيه إلى أنّ هذه الآيات ليست إلاّ غيضًا من فيض ، فما من آية في كتاب الله جلّ وعلا إلاّ وهي تشهد لهذا الوجه وتدلّل عليه.

• قال الله تعالى:(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ) [البقرة: 165].

جلّت هذه الآية الكريمة أخصّ وصف للمؤمنين امتازوا به عن غيرهم، وهو أنّهم أشدّ حبًا لله، فكلّ شيء يحبّه البشر في هذه الدنيا فمحبّة المؤمنين لربّهم أعلى منه، فلا حبّ يتقدّم حبّ الله في قلوبهم : لا أنفسهم ، ولا أموالهم،ولا مصالحهم،ولا شهواتهم ورغباتهم،ولا أزواجهم و أولادهم، ولا آباءهم و أمهاتهم، قد تملّك حب الله عليهم قلوبهم فلا يحبّون حين يحبّون إلاّ فيه وله[1] .

ولأنّه ما من أحدٍ يقرّ بوجود الله وأنّه خالقه ورازقه إلاّ وهو يدّعى محبّته، فقد جعل الله تعالى لمحبته شرطًا يتميّز بتحقيقه المحبّ الصادق من المدّعي الكاذب :

• فقال سبحانه مخاطبًا نبيّه صلى الله عليه و سلم: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾) [آل عمران: 31-32].

فقرّرت هذه الآية أنّ حبّ الله تعالى ليس دعوى باللسان، ولا هيامًا بالوجدان، إلاّ أن يصاحبه

الإتّباع لرسول الله ،والسير على هداه ، وتحكيم منهجه في الحياة[2].

ومن تولّى فهو من الكافرين الذين لا يحبّهم الله مهما زعموا وادعوا أنّهم محبّون لله[3].

يقول ابن القيّم: ÷حقيقة المحبّة تتبيّن باتّباع الأمر واجتناب النهي، لهذا جعل الله تعالى اتّباع رسوله صلى الله عليه و سلم علمًا عليها وشاهدًا لمن ادّعاها فقال تعالى: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ " فجعل اتّباع رسوله صلى الله عليه و سلم مشروطًا بمحبتهم لله، وشرطًا لمحبّة الله لهم، ووجود المشروط ممتنع بدون

2- ينظر تفسير الطبري 71/2 وفي ظلال القرآن لسيّد قطب 1/ 154.

1- ينظر في ظلال القرآن لسيّد قطب 387/1.

2- ينظر تفسير ابن كثير 29/2.

وجود شرطه، وتحققه بتحققه ،فيستحيل إذًا ثبوت محبتهم لله، وثبوت محبّة الله لهم بدون المتابعة لرسوله صلى الله عليه و سلم ×[1].

وباجتماع حبّ الله والطاعة له يتحقق وصف العبودية[2]:

يقول ابن تيمية : ÷ العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذلّ ومعنى الحبّ، فهي تتضمّن غاية الذلّ لله بغاية المحبّة له، فمن خضع لأحد مع بغضه له لم يكن عابدًا له، ومن أحب أحدًا ولم يخضع له لم يكن عابدًا له أيضًا، لهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحبّ إلى العبد من كلّ شيء ، وأن يكون الله أعظم عنده من كلّ شيء×[3].

وهذه العبودية الجامعة بين غاية الحب وغاية الذلّ هي الوظيفة المطلوب من الإنس والجنّ تحقيقها:

• قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾)[الذاريات: 56].

فلم يقل سبحانه ما خلقتهم إلاّ ليصدّقون أو ما خلقتهم إلاّ ليقرّوا باستحقاقي العبادة ، بل قال: ما خلقتهم إلاّ ليعبدون، أي ليحقّقوا العبادة واقعًا في حياتهم ، ولا يكون ذلك إلاّ بإفراده سبحانه بالحب مقرونًا بشرطه ولازمه وهو في إفراده سبحانه بالطاعة.

أمّا حقيقة إفراده سبحانه بالحبّ فتتجلّى في قوله:(قُل إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾) [التوبة: 24].

يقول ابن القيّم :÷ كلّ من قدّم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله، أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله، أو مرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله فهو ممّن ليس الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما وإن قاله بلسانه فهو كذب منه وإخبار بخلاف ما هو عليه×[4].

قال الطاهر بن عاشور عند تفسيره لهذه الآية : ÷ إذا حصل التعارض والتدافع بين ما أراده الله من المؤمنين وبين ما تَجُرُّ إليه تلك العلائق المذكورة في الآية وجب على المؤمِن دحضها وإرضاء ربّه.

3- مدارج السالكين لابن القيم 124/1.

4- ينظر ماسبق ذكره عن معنى العبادة في المطلب الأوّل من هذا البحث ص .59

5- مجموع الفتاوى لابن تيمية 93/10.

1- مدارج السالكين لابن القيّم 125/1.

وقد استفيد هذا المعنى من التعبير بـ " أَحَبَّ" لأنّ التفضيل في المحبّة يقتضي إرضاء الأقوى من المحبوبين ×[1].

ويقول سيّد قطب: ÷ إنّ هذه الآية جمعت كلّ لذائذ البشر، وكلّ وشائج الحياة فضمّتها في كفّة، ووضعت حبّ الله ورسوله صلى الله عليه و سلم وحبّ الجهاد في سبيله في الكفّة الأخرى وتركت للمسلمين الخيار، ذلك أنّ هذه العقيدة لا تحتمل لها في القلب شريكا ; فإمّا تجرد لها , وإمّا انسلاخ منها .

وليس المطلوب أن ينقطع المسلم عن الأهل والعشيرة والزوج والولد والمال والعمل والمتاع واللذة ; ولا أن يترهبن ويزهد في طيبات الحياة ، كلاّ؛ إنما تريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب , ويخلص لها الحب , وأن تكون هي المسيطرة والحاكمة , وهي المحركة والدافعة ، فإذا تم لها هذا فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة ؛ على أن يكون مستعدا لنبذها كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة.

فمفرق الطريق هو أن تسيطر العقيدة أو يسيطر المتاع ; وأن تكون الكلمة الأولى للعقيدة أو لعرض من أعراض هذه الأرض ، فإذا اطمأنّ المسلم إلى أن قلبه خالص لعقيدته فلا عليه بعد هذا أن يستمتع بالأبناء والإخوة وبالزوج والعشيرة ; ولا عليه أن يتخذ الأموال والمتاجر والمساكن ; ولا عليه أن يستمتع بزينة الله والطيبات من الرزق - في غير سرف ولا مخيلة - بل إن المتاع بها حينئذ لمستحب , باعتباره لونا من ألوان الشكر لله الذي أنعم بها ليتمتع بها عباده , وهم يذكرون أنه الرازق المنعم الوهاب×[2].

ويبلغ حبّ المؤمنين لربّهم ذروته حين يؤدي وجوده في قلوبهم إلى أن تنقطع علاقتهم وتنتفي موّدتهم لأعداء الله ورسوله صلى الله عليه و سلم ولو كانوا أقرب الناس إليهم :

• يقول الله تعالى: (لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ

2- التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور 153./10

1- في ظلال القرآن 1615/3.

ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾][المجادلة: 22].

فقرّرت هذه الآية أنّ وجود الإيمان في القلب يلغي كلّ مودّة لمن يحادّ الله ورسوله صلى الله عليه و سلم مهما كانت درجة قرابته .

يقول سيّد قطب:÷ إنّ روابط الدم والقرابة تتقطع عند حد الإيمان . إنها يمكن أن ترعى إذا لم تكن هناك محادّة وخصومة بين اللواءين: لواء الله ولواء الشيطان ، والصحبة بالمعروف للوالدين المشركين مأمور بها حين لا تكون هناك حرب بين حزب الله وحزب الشيطان .

فأمّا إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة فقد تقطعت تلك الأواصر التي لا ترتبط بالعروة الواحدة وبالحبل الواحد .

حين تنقسم البشرية إلى حزبين اثنين: حزب الله وحزب الشيطان . وإلى رايتين اثنتين:راية الحق وراية الباطل ، فإمّا أن يكون الفرد من حزب الله فهو واقف تحت راية الحق ، وإمّا أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف تحت راية الباطل ، وهما صنفان متميزان لا يختلطان ولا يتميعان .

فمن انحاز إلى حزب الله ووقف تحت راية الحق فهو وجميع الواقفين تحت هذه الراية إخوة في الله، تختلف ألوانهم وتختلف أوطانهم وتختلف عشائرهم وتختلف أسرهم , ولكنهم يلتقون في الرابطة التي تؤلف حزب الله, فتذوب الفوارق كلها تحت الراية الواحدة .

ومن استحوذ عليه الشيطان فوقف تحت راية الباطل ، فلن تربطه بأحد من حزب الله رابطة ،لا

من أرض , ولا من جنس,ولا من وطن ,ولا من لون , ولا من عشيرة, ولا من نسب ,ولا من صهر, لقد انبتّت الوشيجة الأولى التي تقوم عليها هذه الوشائج فانبتّت هذه الوشائج جميعا×[1].

أمّا إفراد الله تعالى بالطاعة فيتجلّى في آيات من سورة النساء قرّر الله تعالى فيها أنّه لا يمكن أبدًا اجتماع الإيمان والتولّي عن الخضوع والاستسلام إلاّ أن يكون هذا الإيمان ادّعاءًا مزعومًا لا حقيقة له:

1- المصدر السابق 6/.3514

• يقول الله تعالى: (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾)[النساء: 60].

أي ألم تر إلى هذا العجب العاجب ؛ قوم يزعمون الإيمان ثم يهدمون هذا الزعم في آن قوم " يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ". ثم لا يتحاكمون إلى ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك[1] ؟ إنما يريدون أن يتحاكموا إلى شيء آخر ، وإلى منهج آخر , وإلى حكم آخر، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت الذي لا يستمد ممّا أنزل إليك وما أنزل من قبلك، ولا ضابط له ولا ميزان ممّا أنزل إليك وما أنزل من قبلك، ومن ثمّ فهو طاغوت ،طاغوت بادعائه خاصية من خواص الألوهية ، وطاغوت بأنه لا يقف عند ميزان مضبوط أيضا . وهم لا يفعلون هذا عن جهل , ولا عن ظن إنما هم يعلمون يقينا ويعرفون تماما , أن هذا الطاغوت محرم التحاكم إليه: "وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ " فليس في الأمر جهالة ولا ظن . بل هو العمد والقصد ، ومن ثمّ لا يستقيم ذلك الزعم ، زعم أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك[2].

• ثمّ قال الله تعالى واصفا حال المعرضين عن تحكيم شرعه مقرّرا نفاقهم : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾)[النساء: 61].

فأفادت هذه الآية أنّ من دعي إلى حكم الله و رسوله صلى الله عليه و سلم فأبى فهو من المنافقين، ذلك أنّ المقتضى الفطري البديهي للإيمان , أن يتحاكم الإنسان إلى ما آمن به , وإلى من آمن به ، فإذا زعم أنّه آمن بالله وما أنزل , وبالرسول وما أنزل إليه ، ثم دعي إلى هذا الذي آمن به , ليتحاكم إلى أمره وشرعه ومنهجه ; كانت التلبيه الكاملة هي البديهية الفطرية . فأمّا حين يصد ويأبى فهو يخالف البديهية الفطرية ، ويكشف عن النفاق ، وينبئ عن كذب الزعم الذي زعمه من الإيمان[3].

2- وليس المقصود بالتحاكم هنا ما يتبادر إلى الذهن من اللجوء إلى القضاء للفصل بين المتخاصمين فحسب ، بل المقصود جعل الناس الشريعة حاكمة على اعتقاداتهم و تصوراتهم وقيمهم و موازينهم و ما يأتون و يذرون من أعمالهم.

3- في ظلال القرآن 694/2 .

1- المصدر نفسه

ثمّ بيّن سبحانه الغاية من إرسال الرسل فقال : (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ) [النساء: 64].

فالرسول لا يرسل ليكون مجرد "واعظ" يلقي كلمته ويمضي يستهتر بها المستهترون , ويبتذلها المبتذلون، وإنما أُرسل الرسل ليطاعوا ،وطاعتهم هي الغاية من إرسالهم التي لا غاية وراءها ،ولا إيمان بهم يتحقّق دونها.

• يقول تعالى مخاطبا نبيّه صلى الله عليه و سلم : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾) [النساء: 65] .

فبيّن سبحانه في هذه الآية أنّ الخلق لا يصيرون موصوفين بصفة الإيمان إلا عند حصول شرائط: **أولها**: قوله تعالى: (حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ) وهذا يدلّ على أن من لم يرض بحكم الرسول لا يكون مؤمنا.

الشرط الثاني : قوله: (ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ)أي لا تضيق صدورهم من أقضيتك[1].

ذلك أنّ الراضي بحكم الرسول صلى الله عليه و سلم قد يكون راضيا به في الظاهر دون القلب، فبيّن في هذه الآية أنّه لا بد من حصول الرضا به في القلب.

الشرط الثالث: قوله تعالى:(وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا) ذلك أنّ من عرف بقلبه كون ذلك الحكم حقا وصدقا، قد يتمرد عن قبوله على سبيل العناد أو يتوقف في ذلك القبول، فبين تعالى أنّه كما لا بد في الإيمان من حصول ذلك اليقين في القلب فلا بدّ أيضا من التسليم معه في الظاهر[2].

وأكدّ سبحانه المعنى الذي تضمّنته هذه الآية بضروب من التأكيد[3]:

الأوّل: أنّه أقسم عليه بذاته العليّة ، لا بشيء من مخلوقاته ، والله تعالى يقسم بنفسه تارة وبمخلوقاته تارة .

الثاني :أنّه صدّر القسم بحرف النفي المتضمن تأكيد النفي المقسم عليه.

2- ينظر تفسير الطبري 161/4

1- ينظر التفسير الكبير للرازي 145./10

2- ينظر الجامع لتفسير ابن القيم المسمّى بدائع التفسير 32/2 .

قال الطاهر بن عاشور : « العرب تأتي بحرف النفي قبل القسم إذا كان جواب القسم منفياً للتعجيل بإفادة أنّ ما بعد حرف العطف قسم على النفي لما تضمّنته الجملة المعطوف عليها، فتقديم النفي **للاهتمام** بالنفي، كقول قيس بن عاصم:

فلا والله أشْرَبُها صَحيحا ولاَ أشْفَى بها أبداً سقيماً

ويكثر أن يأتوا مع حرف النفي بعد العاطف بحرف نفي مثله في الجواب ليحصل مع الاهتمام **التأكيدُ**، كما في هذه الآية »[1].

الثالث: أنّه أتى بالمقسم عليه بصيغة الفعل الدالّة على الحدوث ، أي لا يقع منهم إيمان ما حتى يحكّموك.

الرابع: أنّه أتى في الغاية بـ "حتى" دون إلاّ، المشعرة بأنّه لا يوجد الإيمان إلاّ بعد حصول التحكيم ، لأنّ ما بعد "حتى" يدخل فيما قبلها .

الخامس : أنّه أتى بالمحكّم فيه بصيغة الموصول الدالّة على العموم ، وهو قوله" **فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**" أي في جميع ما تنازعوا فيه من الدقيقة والجليلة .

السادس: أنّه ضمّ إلى ذلك انتفاء الحرج ،وهو الضيق من حكمه .

السابع : أنّه أتى به نكرةً في سياق النفي ، أي لا يجدون نوعا من أنواع الحرج البتّة.

الثامن : أنّه أتى بذكر ما قضى به بصيغة العموم "**مِّمَّا قَضَيْتَ** " وهذا يتناول كلّ فرد من أفراد قضائه .

التاسع :أنّه لم يكتف منهم بذلك حتى يضيفوا إليه التسليم ، وهو قدر زائد على التحكيم و انتفاء الحرج ، فما كلّ من حكّم انتفى عنه الحرج ، ولا كلّ من انتفى عنه الحرج يكون مسلّما منقادًا ، فإنّ التسليم يتضمّن الرضا بحكمه والانقياد له.

العاشر: أنّه أكّد فعل التسليم بالمصدر المؤكّد" **وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ".

وما هذا التأكيد إلاّ لشدة الحاجة إلى هذا الأمر العظيم ، و إنّه ممّا يعتنى به ويُقرّر بما هو من أبلغ أنواع التقرير .

● ويصدوّر الله سبحانه في آية أخرى حال المؤمنين الصادقين إزاء أوامر الله وشرائعه فيقول: **(إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾)** [النور: 51].

فالمؤمنون ليس لهم تجاه أحكام الله ورسوله صلى الله عليه و سلم إلاّ موقف واحد هو السمع والطاعة.

3- التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور 110/5.

وليس معنى ما سبق ذكره من آيات أنّ المؤمنين معصومون لا يعصون أمرًا ولا يقعون في محظور بل هم بشر كسائر البشر يخطئون ويذنبون ويقصّرون، إلاّ أن حالهم عند ارتكاب الذنب ومخالفة الأمر ليس كحال غيرهم:

• يقول الله تعالى واصفًا عباده المتقين: (وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦) [ال عمران:133-136].

يقول سيد قطب: « إنّ المتقين في أعلى مراتب المؤمنين ولكن سماحة هذا الدين ورحمته بالبشر تسلك في عداد المتقين: **"**ٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ **"** والفاحشة أبشع الذنوب وأكبرها ، ولكن سماحة هذا الدين لا تطرد من يهوون إليها من رحمة الله، ولا تجعلهم في ذيل قافلة المؤمنين، إنما ترتفع بهم إلى أعلى مرتبة وهي مرتبة **" المتقين"** على شرط واحد ؛ شرط يكشف عن طبيعة هذا الدين ووجهته ؛ أن يذكروا الله فيستغفروا لذنوبهم , وألاّ يصدروا على ما فعلوا وهم يعلمون أنه الخطيئة , وألا يتبجحوا بالمعصية في غير تحرج ولا حياء ،وبعبارة أخرى أن يكونوا في إطار العبودية لله , والاستسلام له في النهاية، فيظلوا في كنف الله وفي محيط عفوه ورحمته وفضله .

إن هذا الدين ليدرك ضعف هذا المخلوق البشري الذي تهبط به ثقلة الجسد أحيانا إلى درك الفاحشة , وتهيج به فورة اللحم والدم فيزو نزوة الحيوان في حمى الشهوة , وتدفعه نزواته وشهواته وأطماعه ورغباته إلى المخالفة عن أمر الله في حمى الاندفاع . يدرك ضعفه هذا فلا يقسو عليه , ولا يبادر إلى طرده من رحمة الله حين يظلم نفسه ,حين يرتكب الفاحشة ؛ المعصية الكبيرة وحسبه أن شعلة الإيمان ما تزال في روحه لم تنطفىء , وأن نداوة الإيمان ما تزال في قلبه لم تجف, وأن صلته بالله ما تزال حية لم تذبل , وأنه يعرف أنه عبد يخطىء وأن له ربا يغفر , فليعثر ما شاء له ضعفه أن يعثر , فهو واصل في النهاية ما دامت

الشعلة معه , والحبل في يده , ما دام يذكر الله ولا ينساه , ويستغفره ويقر بالعبودية له ولا يتبجح بمعصيته .

والإسلام لا يدعو - بهذا - إلى الترخص, ولا يمجد العاثر الهابط , ولا يهتف له بجمال المستنقع كما تهتف " الواقعية " , إنما هو يقيل عثرة الضعف , ليستجيش في النفس الإنسانية الرجاء , كما يستجيش فيها الحياء ! فالمغفرة من الله تخجل ولا تطمع , وتثير الاستغفار ولا تثير الاستهتار»[1].

ولا أجد آية تلخص كلّ ما سبق أختم بها هذا المبحث أفضل من قول الله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾) [التوبة: 111].

يقول سيّد قطب: ÷ إنّ هذه الآية نص رهيب يكشف عن حقيقة العلاقة التي تربط المؤمنين بالله,

وعن حقيقة البيعة التي أعطوها - بإسلامهم - طوال الحياة. فمن بايع هذه البيعة ووفى بها فهو المؤمن الحق الذي ينطبق عليه وصف المؤمن وتتمثل فيه حقيقة الإيمان، وإلا فهي دعوى تحتاج إلى التصديق والتحقيق.

حقيقة هذه البيعة-أو هذه المبايعة كما سماها الله كرماً منه وفضلاً وسماحة - أن الله سبحانه قد استخلص لنفسه أنفس المؤمنين وأموالهم ; فلم يعد لهم منها شيء ؛ لم يعد لهم أن يستبقوا منها بقية لا ينفقونها في سبيله , و لم يعد لهم خيار في أن يبذلوا أو يمسكوا, كلاّ ؛ إنها صفقة مشتراة , لشاريها أن يتصرف بها كما يشاء, وفق ما يفرض ووفق ما يحدد , وليس للبائع فيها من شيء سوى أن يمضي في الطريق المرسوم , لا يتلفت ولا يتخيّر , ولا يناقش ولا يجادل , ولا يقول إلا الطاعة والعمل والاستسلام , والثمن هو الجنة ،والطريق هو الجهاد والقتل والقتال ،والنهاية هي النصر أو الاستشهاد»[2].

وباستعراض هذه الآيات يتّضح جلّيا أن الإيمان –كما ورد في القرآن الكريم – ليس مجرّد أفكار ونظريات يستوي في الواقع العملي المؤمن بها والكافر, وإنّما هو منهج حياة متكامل يجعل من شرع الله تعالى مصدرًا للاعتقادات والتصوّرات، وحاكمًا على المشاعر والعواطف، والأفعال والتصرفات.

1- في ظلال القرآن 476/1 .
1- المصدر السابق 1716/3.

ورغم أنّ هذا الذي سبق ذكرهُ في المطلب الأوّل والثاني من هذا المبحث يجلّي جانبًا كبيرًا من حقيقة الإيمان، إلاّ أنّه بقي هناك جملة مسائل أخرى تشكّل – في نظري- ركائز مهمّة ومعالم رئيسة ,لا يمكن إغفالها ,ولا يكتمل بيان حقيقة الإيمان في القرآن الكريم إلاّ بها ,وهي التي أحاول تفصيلها في المبحث الآتي بإذن الله.

المبحث الثالث
معانم مهمّة
لحقيقة الإيمان
في
القرآن الكريم

المعلم الأوّل
عدم نـفع الإيمان عند حلول العذاب أو الموت

ورد في آيات كثيرة من القرآن الكريم التأكيد على أنّ المهلة المعطاة للإنسان يختار فيها بين طريق الكفر والمعاصي، وطريق الإيمان والطاعات، ليست مطلقة بل هي محدودة مؤقّتة ،إذا ما انتهت فلن يقبل بعدها إيمان كافر ولا توبة عاصٍ.
وجعل الله تعالى انتهاء هذه المهلة بأمرين :

الأوّل : حلول عذاب الله تعالى بأهل الكفر والمعاصي:

- قال الله تعالى عمّن سلف من الأمم المكذّبة رسلها :(فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾) [غافر: 84-85].

والبأس هنا العذاب الخارق للعادة المنذر بالفناء، الذي حين رآه المشركون علموا أنّه العذاب الذي أنذروه، فأعلنوا الإيمان بالله وحده والكفر بما كانوا به مشركين.
لكنّ هذا الإعلان للإيمان جاء متأخّرًا ذلك أنّ لله تقديرًا قدّره للأمم السالفة، أعلمهم به وشرطه عليهم وجعله سنّة من سننه سبحانه ، وهو أنّ إيمان من حلّ به العذاب غير نافع له ولا مقبول منه فقال تعالى: "فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ"[1].

وأدركت هذه السنّة فرعون فلم ينفعه إعلانه الإيمان بعد أن عاين عذاب الله تعالى:

- قال الله تعالى:(وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾) [يونس: 90-91]. أي آلآن تقرّ لله بالعبودية وتستسلم له بالذلّة ، وقد عصيته قبل نـزول نقمته بك فأسخطته على

1- ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 222/24 وتفسير الطبري82/11 وتفسير ابن كثير 157/6.

نفسك وكنت من المفسدين في الأرض الصّادّين عن سبيله؟ فهلاّ وأنت في مهل وباب التوبة لك منفتح أقررت بما أنت به الآن مقرّ؟[1].

قال الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية : ÷ الاستفهام في "ءَآلۡـَٰٔنَ "إنكاري، والإنكار مؤذن بأنّ الوقت الذي علّق به الإنكار ليس وقتًا ينفع فيه الإيمان،فكأنّه قيل لا إيمان الآن، لأنّ الاستفهام الإنكاري في قوّة النفي ×[2].

الثاني : حلول الموت بالإنسان:

• قال الله تعالى: (وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾) [النساء: 18].

ابتدأ سبحانه ببيان انتفاء قبول توبة الذي يعملون السيّئات من أهل الإصرار على معاصي الله ؛ إذا حشرجت صدورهم وعاينوا ملائكة ربّهم قد أقبلوا لقبض أرواحهم فقال سبحانه:" وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ " .

قال الألوسي: ÷ إنمّا انتفى قبول التوبة في تلك الحال لكونها أشبه شيء بالآخرة، بل هي أوّل منزل من منازلها، وليست الآخرة دار عمل بل هي دار جزاء ×[3].

ويقول سيّد قطب: ÷ توبتهم هنا توبة المضطر، لجّت به الغواية، وأحاطت به الخطيئة، توبة الذي يتوب لأنّه لم يعد لديه متسع لارتكاب الذنوب، ولا فسحة لمقارفة الخطيئة، وهذه لا يقبلها الله لأنّها لا تنشئ صلاحًا في القلب، ولا صلاحًا في الحياة، ولا تدلّ على تبدلّ في الطبع ولا تغيّر في الاتجاه ×[4].

ثمّ ثنى سبحانه بـذكر حال الكافرين فقال " وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌ " أي ولا
توبـة الذين يموتون وهم كفّار[5].

وذكر الطاهر بن عاشور أنّ للعلماء هنا قولين:

القول الأوّل: الأخذ بظاهر الآية وهو أنّه لا يحول بين الكافر وبين الإيمان إلاّ خروج روحه، فلو أعلن إيمانه وهو في الرمق الأخير قبل منه .

1- ينظر تفسير الطبري606/6 و تفسير ابن كثير 325./3
2- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 277/11.
3- روح المعاني للألوسي239/4.
4- في ظلال القرآن لسيّد قطب 604/1.
5- ينظر تفسير الطبري 646/3.

واستدلّ أصحاب هذا القول بما ورد في الصحيح من أنّ أبا طالب لمّا حضرته الوفاة دخل عليه النبيّ صلى الله عليه و سلم ، وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أميّة فقال: **« أي عم قل لا إلا إلاّ الله كلمة أحاجّ لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله : أترغب عن ملّة عبد المطّلب؟ فكان آخر ما قال أبو طالب أنّه على ملّة عبد المطّلب»**[1].

القول الثاني : أنّ الكافر والعاصي سواء في عدم قبول التوبة ممّا هما عليه إذا حضرهما الموت، وتأوّل أصحاب هذا القول " **يموتون** " في الآية بمعنى يشرفون على الموت، إذ الآية إنّمّا نفت عنهم التوبة، ولا توبة تعقل بعد الموت فتعيّن هذا التأويل[2] .

قلت: لعلّ هذا القول الثاني أرجح لأنّه إذا لم تقبل توبة العاصي المسلم عند الموت فمن باب أولى ألاّ يقبل إيمان الكافر.

وحديث وفاة أبي طالب لا يصلح دليلاً لأصحاب القول الأوّل إذ يحتمل أن يكون أريد بما ورد فيه من قولهم " حضرت أبو طالب الوفاة " أي حضرته أماراتها[3]، وتوبة العاصي أو الكافر إنّما ينتفي قبولها عند الدخول في النزع الأخير، فقد قال صلى الله عليه و سلم **÷ إنّ الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر×**[4]. أي ما لم تبلغ الروح إلى الحلقوم[5].والله تعالى أعلم.

فهذه الآيات تضمّنت تقرير حقيقة بالغة الأهمّية هي أنّ الإنسان إنّما يعطى- ليؤمن ويعمل صالحًا - فرصة واحدة لا غير، إن ضاعت عليه لم يمكنه استرجاعها ولا تداركها.

والله يوقف عباده على هذه الحقيقة لأنّه خالق نفوسهم العالم بالأسباب المؤدية إلى زللها

وتقصيرها، والتي منها تعلّق الأمل بإمكان التدارك والتعويض ، فالإنسان كثيرًا ما يفرّط في مصالحه – لا شكًا منه في أنّها مصالح- ولكن اعتمادًا منه على إمكان تعويضها واستدراكها، فدرءاً لهذا ؛ حسم الله في كتابه الكريم بأبلغ ما يكون الحسم أنّ من أضاع الفرصة المعطاة له فلن يمنح غيرها بأيّ حال من الأحوال.

1- البخاري **كتاب** الجنائز **باب** إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلاّ الله 413/2 رقم 1360 مسلم **كتاب** الإيمان **باب** الدليل على صحّة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة 59/1 رقم 24.

2- ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور281/4.

3- ينظر ما ذكره النووي في شرح مسلم 254/1 وابن حجر في فتح الباري 643/8 .

4- الترمذي **كتاب** الدعوات عن رسول الله **باب** فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله511/5 رقم 3537 وقال حسن غريب و ابن ماجة **كتاب** الزهد **باب** ذكر التوبة 1420/2 رقم 4253 والحاكم في المستدرك كتاب التوبة والإنابة 286/4 رقم 7659 وصحّحه و وافقه الذهبي .

5- ينظر تحفة الأحوذي للمباركفوري 415./9

• قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ﴾ [المؤمنون: 99-100].

أي : كَلاّ ؛ لا مجال لإرجاع ولا عودة[1].

• وقال الله تعالى حاكيًا قول الكفار وهم في النار: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ ﴾ [المؤمنون: 107].

أي إن عدنا إلى ما تكره من عمل فإنّا ظالمون.

ثمّ ذكر سبحانه أنّه سيجيبهم بقوله: ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ ﴾ [المؤمنون: 108].

أي امكثوا فيها مهانين أذلاء، فلن يجدي اليوم الاعتراف، ولن يقبل التماس الخروج[2] .

فالإنسان لن يعطى إلاّ نفسًا واحدة، يعيش بها مكلّفًا مرّة واحدة، فإمّا أن يؤمن ويحسن فيؤول مصيره إلى جنّة النعيم، وإمّا أن يكفر ويسيء فيكون مصيره عذاب الجحيم.

وإذا كان حلول عذاب الله تعالى بأهل الكفر والمعاصي الذي هو العلامة الأولى على انتهاء المهلة المعطاة ليس سنّة مطرّدة في هذه الحياة بحيث يشاهده كلّ النّاس، فإنّ العلامة الثانية التي هي نزول الموت حقيقة مسلّمة لا ينكرها أحد، وعدم معرفة الإنسان متى يكون ذلك، وعدم ضمانه العيش للّحظة التي تلي فضلاً عن الساعة التي تلي فضلاً عن اليوم الذي يلي حقيقة مسلّمة أخرى، وإذا كان كذلك فحريٌّ بالعاقل التفكرّ طويلاً قبل أن يقرّر أي الطريقين يسلك وأيّ المصيرين يختار.

1- ينظر تفسير الطبري 243/9.
2- ينظر تفسير ابن كثير42./5

المعلم الثاني
لا إيمـــــان إلاّ بمشـــيئة الله تعــالى

مضى في المطلب الأوّل من المبحث السابق بيان أنّ الله تعالى هو وحده المتصرّف في هذا الكون، فلا يقع فيه شيء إلاّ بمشيئته سبحانه، والأمور كلّها، دقّها وجلّها، راجعة إليه، فما شاء منها كان وما لم يشأ لم يكن[1].

ولمّا كان يقع في هذا الكون الكثير من الأعمال التي أخبر الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أنّه لا يحبها ولا يرضاها ؛كالكفر والفجور وأنواع الظلم والمعاصي، فلا بدّ إذاً من التفريق بين ما يشاؤه الله وبين ما يحبّه ويرضاه [2]:

- فليس كلّ ما شاء الله وقوعه فقد أحبّه ورضيه.
- وليس كلّ ما أحبّه ورضيه شاء وقوعه.

لهذا كانت الإرادة المنسوبة لله عزّ وجلّ في القرآن الكريم نوعان[3]:

- إرادة تكوين وايجاد ووقوع هي المشيئة.
- وإرادة تشريع هي المحبّة.

• فمن الأولى قوله تعالى:(إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾) [هود: 107].

أي لما يريد إيجاده ووقوعه الذي هو شامل لما يحبّه ولما يبغضه، وليس المقصود لما يريده شرعًا المتضمّن فقط لما يحب ، وإلاّ لما تخلّف الإيمان من الكافر ولا الطاعة من العاصي ؛ بنصّ الآية التي تدلّ على أنّ الله لا يعجزه عن فعل ما يريد شيء.

• ومن الثانية قوله تعالى: (يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ) [البقرة: 185].

وقوله تعالى: (وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) [النساء: 27].

فالإرادة في هاتين الآتين ليست إرادة تكوين وإيجاد،وإلاّ لما حصل العسر لأحد من الخلق،و لوقعت التوبة من جميع المكلّفين، بل المقصود بالإرادة هنا ما شرعه الله لعباده وأحبّه لهم ورضيه منهم.

- ومثل ذلك يقال في لفظ الأمر، فإنّه أيضًا في القرآن الكريم نوعان:

أمر تكوين وإيجاد، وأمر تشريع، والثاني قد يعصى ويخالف بخلاف الأوّل.

1- ينظر ص 34 من هذا البحث.

2- ينظر تفصيل هذه المسألة في كتاب شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر و الحكمة والتعليل لابن القيم ص 111.

3- ينظر المصدر السابق ص 479 وما بعدها.

• فمن أمر التكوين قوله تعالى: (إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾) [يس: 82].

وقوله تعالى: (وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾) [القمر: 50].

وقوله تعالى: (وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴿٤٧﴾) [النساء: 47].

• وأمّا أمر التشريع ففي مثل قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ) [النحل: 90].

وقوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا) [النساء: 58].

وقوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ) [الأعراف: 28].

- ونظير ذلك لفظ الإذن فمنه الكوني والشرعي:

• فمن الكوني قوله تعالى عن السحر: (وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ) [البقرة: 102]. أي بمشيئته.

• ومن الإذن الشرعي قوله تعالى: (أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ) [الشورى: 21]. أي ما لم يشرعه الله.

ومنه قوله تعالى: (قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٩﴾) [يونس: 59].

وبهذا يتبيّن أنّ ما كان من الإرادة والأمر والإذن كونيًا فإنّه مرادف لمشيئة الله تعالى ، وما كان من ذلك شرعيًا فهو مرادف لمحبته تعالى.

والاستدلال على ما يشاء الله تعالى من الأمور يكون بالوقوع وعدمه، فإذا وقع أمر جزمنا بأنه وقع بمشيئة الله، وإذا لم يقع فلأنّ الله تعالى لم يشأ وقوعه.

في حين أنّ الاستدلال على ما يحبّ الله تعالى من الأمور يكون بالرجوع إلى النصوص الشرعية، فما ورد الأمر به والترغيب فيه فإنّ الله يحبّه ويرضاه ، سواءًا وقع أم لم يقع ، وما ورد النهي عنه والتحذير منه والتوّعد عليه ، فإنّ الله يكرهه ويسخطه سواءًا وقع أم لم يقع .

وما يوجد في الواقع من الأمور التي يحبّها الله تعالى كالإيمان وسائر الطاعات و القربات، فقد تعلّقت به مشيئة الله ومحبّته.

وما لم يوجد منه تعلّقت به محبّة الله ولم تتعلّق به مشيئته.

وما يوجد في الواقع من الأمور التي لا يحبّها الله كالكفر والمعاصي فقد تعلّقت به مشيئة الله ولم تتعلّق به محبّته ورضاه.
وما لم يوجد منه فلم تتعلّق به لا مشيئة الله ولا محبّته ورضاه[1].

ولولا هذا التفريق بين ما يشاء الله وبين ما يحبّ ؛ للزم الوقوع في أحد محظورين :
- إمّا القول بأنّ ما يقع في الكون من كفر وظلم وفجور واقع بغير مشيئة الله تعالى، وهذا نقص ينزّه الله تعالى عنه إذ هو سبحانه أعزّ من أن يقع شيء في ملكه رغمًا عنه[2].
- وإمّا القول بأنّ الكفر والظلم والفجور أمور يحبّها الله تعالى ويرضاها، وهو قول معلوم الفساد من الدين بالضرورة.إذا تقرّر هذا أمكن فهم المراد من مثل قوله تعالى: (وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ

لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا) [يونس: 99].

فالآية صريحة في أنّ أهل الأرض لم يؤمنوا جميعًا لعدم مشيئة الله إيمانهم، لكنّ هذه المشيئة المنفية هنا
هي مشيئة الوقوع ، وإلاّ فالله تعالى ما أنزل كتبه، وأرسل رسله، وأظهر حججه، إلاّ وهو يريد
منهم أن يؤمنوا[1].

1- المصدر السابق ص 111 .

2- أوردّ الدكتور عمر سليمان الأشقر في كتابه القضاء و القدر أنّ عمر بن الهيثم قال: خرجنا في سفينة وصحبنا فيها قدري (والقدرية يقولون إنّ الكفر والمعاصي تقع بغير مشيئة الله تعالى) ومجوسي ، فقال القدري للمجوسي : أسلم .
فقال المجوسي : حتى يريد الله .
فقال القدري : إنّ الله يريد ، ولكن الشيطان لا يريد .
فقال المجوسي: أراد الله و أراد الشيطان ، فكان ماأراد الشيطان فهذا شيطان قوي ، وفي رواية فأذا مع أقواهما .
و أورد في كتابه أيضا : أنّ القاضي عبد الجبار – أحد شيوخ المعتزلة (وهم قدرية) – ذخل على الصاحب ابن عبّاد وعنده الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني- أحد أئمّة السنّة - فلمّا رأى الأستاذ قال : سبحان من تنزّه عن الفحشاء.
فقال الأستاذ : سبحان من لا يقع في ملكه إلاّ ما يشاء.
فقال القاضي : أشاء ربّنا أن يعصى ؟
فقال الأستاذ: أيعصى ربّنا قهرا ؟ فبهت القاضي .
ينظر كتاب القضاء و القدر لعمر سليمان الأشقر ص 60 .

• وقال تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ) [يونس: 100].

أي إلاّ بإذنه لها بالإيمان إذن الوقوع الذي يرادف المشيئة، وليس إذن التشريع فإنّه متحقق لجميع المكلّفين.

• وقال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ) [الأنعام: 112].

أي أنّهم فعلوه لمشيئة الله تعالى وجوده و وقوعه.

• ومثل ذلك قوله تعالى عن المشركين: (وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ) [الأنعام: 107].

وانقسم النّاس إزاء الحقيقة المقرّرة في هذه الآيات من أنّه لا إيمان ولا كفر إلاّ بمشيئة الله تعالى، و أنّ من آمن فلأنّ الله شاء له أن يؤمن ومن كفر فلأنّ الله شاء له أن يكفر؛ إلى فريقين:

- فريق كفر وضلال وخسران
- وفريق إيمان وهدى وتوفيق.

أمّا أهل الكفر والضلال فعارضوا نصوص الأمر والنهي بمثل هذه الآيات، واحتجوا لكفرهم ومعاصيهم بأنّها واقعة بمشيئة الله تعالى، وواجهوا من دعاهم من الرسل وأتباعهم إلى الإيمان بقولهم

كما حكى الله عنهم : (لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ) [النحل: 35].

وأمّا أهل الإيمان والهدى فعلموا أنّ الله تعالى لم يقرّر هذه الحقيقة في كتابه الكريم ليحتجّ بها عليه الكفار والمبطلون، وإنّمّا أراد بها مقاصد عظيمة وغايات جليلة منها:

- **أوّلاً** : تقرير كمال ملكه وقدرته وعظمته سبحانه ؛ حيث لا تتحرّك في هذا الكون ذرّة فما فوقها إلاّ بمشيئته وإذنه، وعباده أقلّ شأنًا من أن يعصوه رغمًا عنه، بل ما عصوه إلاّ بتمكينه لهم أن يعصوه، ولو شاء أن يجعلهم جميعًا على أتقى قلب رجل واحد منهم لما عجز عن ذلك ، وكلّ ما يصدر عن العباد من إرادات وأقوال وأفعال فهو تحت قهره وتصرّفه لا يندّ منه شيء، وهذا من أعظم

1- قال الطاهر بن عاشور عند تفسير قوله تعالى : (وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ) [الأنعام: 35]: «هذا من المشيئة المتعلّقة بالخلق والتكوين لا من المشيئة المتعلّقة بالأمر والتشريع. وبينهما بَوْن، سقط في مهواته من لم يقدّر له صون». ينظر التحرير والتنوير 206./7

أدلّة توحيده والإنابة إليه، فإنّ من هذا شأنه فهو المستحقّ لأن يعبد وحده، ويطاع وحده، ويرغب في رضاه وحده ويخشى غضبه وحده[1].

- **ثانيا** : أن يشهد عباده مدى فقرهم وحاجتهم إليه، وأنّه لولا إعانته وتوفيقه وإلاّ فهم أضعف وأعجز من أن يقوموا بما كلّفهم به من الإيمان والعمل الصالح.

فإذا شهدوا ذلك انطرحوا بين يديه ،وتذلّلوا لديه، ورغبوا إليه في أن يعينهم على القيام بما أُمروا به، وأن يجنّبهم الوقوع فيما يوجب غضبه وسخطه.

يقول ابن القيّم : « أجمع العارفون بالله أنّ التوفيق هو أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأنّ الخذلان هو أن يخلّي بينك وبين نفسك، فالعبيد متقلّبون بين توفيقه وخذلانه.

فإنّ وفّق الله العبد فبفضله ورحمته، وإن خذله فبعدله وحكمته.

ومتى شهد العبد ذلك علم شدّة ضرورته وحاجته إلى التوفيق في كلّ نَفَس، وكلّ لحظة وطرفة عين، وأنّ إيمانه وتوحيده بيده تعالى، لو تخلّى عنه طرفة عين لثلّ عرش توحيده، ولخرّت سماء إيمانه على الأرض.

فيشهد توفيق الله وخذلانه كما يشهد ربوبيته وخلقه، فيسأله توفيقه مسألة المضطر، ويعوذ به من

خذلانه عياذ الملهوف، ويلقي نفسه بين يديه، طريحًا ببابه مستسلمًا له، ناكس الرأس بين يديه، خاضعًا ذليلاً مستكينًا، لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا »[2].

قلت: وهذا ما حكاه الله تعالى عن أنبيائه ورسله وأوليائه في كتابه الكريم:

- فقال عن نوح:(قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ) [هود:47].
- وقال عن إبراهيم: (وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥) [إبراهيم: 35].
- وقال عنه أيضًا : (رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي) [إبراهيم: 40].
- وقال عنه وعن ابنه إسماعيل عليهما السلام: (رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ) [البقرة: 128].
- وقال عن يوسف: (وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣) [يوسف: 33].

1- فعمد المبطلون إلى هذا الذي هو من أعظم أدلّة توحيد الله و عبادته ، فجعلوه حجّة لهم – زعموا – يخاصمون بها ربّهم ويعارضون بها أوامره ونواهيه . ينظر شفاء العليل لابن القيم ص .48

2- مدارج السالكين لابن القيم 457/1

• وقال عن موسى: (أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾) [البقرة: 67].

• وقال عن الراسخين في العلم: (رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا) [آل عمران: 8].

وغيره في القرآن الكريم كثير.

- **ثالثًا**: أن لا ييأس السائرون على طريق الرسل في الدعوة إلى الله إذا لم يلقوا من النّاس استجابة لما يدعونهم إليه، فليس عليهم سوى استفراغ الجهد في البلاغ ، أمّا إيمان الناس وكفرهم ،وهداهم وضلالهم ، فهو بيد خالقهم سبحانه، لهذا جاءت أغلب الآيات المقرّرة لهذه الحقيقة في سياق التسلية للنبي صلى الله عليه و سلم على ما لقيه من تكذيب قومه:

• قال تعالى: (وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾) [يونس: 99].

• وقال تعالى: (وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾) [الأنعام: 35].

• وقال تعالى: (إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ) [القصص: 56].

• وقال تعالى: (فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾)[فاطر: 8].

- **رابعًا** : أن يستشعر المؤمنون منّة الله عليهم بالإيمان والعمل الصالح ، واختصاصه لهم بذلك عن سائر الخلق، فيعظم له شكرهم ويشتد بذلك فرحهم.

• قال الله تعالى:(قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾) [يونس: 58].

قال أبو سعيد الخذري τ :« فضل الله القرآن ، ورحمته أن جعلكم من أهله»[1].

1- ينظر تفسير الطبري 568/6.

المعلم الثالث
أكـــثـــر النّـــاس لا يؤمـــــــــنون

الآيات الدالّة على هذا المعلم كثيرة جدًا:

- قال الله تعالى: (وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾) [يوسف: 103].
- وقال سبحانه: (إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ) [ص: 24].
- وقال سبحانه:(وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ)[الأنعام: 116].
- وقال سبحانه: (وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾) [المائدة: 49].

وما تضمّنته هذه الآيات حقيقة يجب أن لا تغيب عن السالكين لطريق الإيمان، وهي أنّهم سيكونون قلّة على هذا الطريق، وأكثر النّاس سيكونون على طريق غير طريقهم، وسبيل غير سبيلهم، فهم في جانب والأغلب الأعمّ من النّاس في جانب آخر.

ووقوف المؤمنين على هذه الحقيقة يورّث لهم أمرين:

الأوّل : عدم الوحشة من تفرّدهم فكونهم الأقل سنّة ربّانية لا تتبدّل ولا تتحوّل.

الثاني : عدم الانخداع بما عليه أكثر النّاس ، فالكثرة والقلّة ليست مقياسًا للحق والباطل والصواب والخطأ، بل مقياس ذلك ما شرعه الله تعالى لهم في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه و سلم ، ولو خالف ذلك سائر البشر.

يقول سيّد قطب عند تفسير قوله سبحانه في وصف عباده المؤمنين :(يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ) [المائدة: 54]، يقول : « إنّما يخشى لوم الناس من يستمد مقاييسه وأحكامه من أهواء الناس ; ومن يستمد عونه ومدده من عند الناس ; أمّا من يرجع إلى موازين الله ومقاييسه وقيمه ليجعلها تسيطر على أهواء الناس وشهواتهم وقيمهم ; وأمّا من يستمد قوّته وعزّته من قوّة الله وعزّته , فما يبالي ما يقول الناس وما يفعلون كائنا هؤلاء الناس ما كانوا ؛ وكائنا واقع هؤلاء الناس ما كان , وكائنة "حضارة "هؤلاء الناس وعلمهم وثقافتهم ما تكون .

إنّه ليست قيمة أي وضع , أو أي عرف , أو أي تقليد , أو أية قيمة . . أنّه موجود ; وأنّه واقع; وأنّ ملايين البشر يعتنقونه , ويعيشون به , ويتخذونه قاعدة

حياتهم . . فهذا ميزان لا يعترف به التصور الإسلامي . إنّما قيمة أي وضع , وأي عرف , وأي تقليد ، وأية قيمة , أن يكون لها أصل في منهج الله , الذي منه - وحده - تّستمد القيم والموازين » [1] .

المعلم الرابع
اقـــــتران الإيمـــــــان بالابتـــــلاء

و هذا المعلم في الحقيقة سببٌ للمعلم الذي قبله ،وذلك من وجهين:
الأوّل: أنّ النفوس بطبعها تميل إلى الراحة والدعة، والبعد عن كلّ ما فيه مشقة وتعب ، ومخالفة للهوى وفوات للحظوظ ، وقلّة هم النّاس الذين لهم عزائم قوّية وبصائر نافذة يقهرون بها دواعي الطبع ، ويعصون بها سلطان الهوى.
الثاني : أنّ سنّة الله في ابتلاء المؤمنين تقتضي أن يكون أهل الإيمان أقليّة مقهورة في مواجهة أكثرية كافرة قاهرة، ولو كان الأمر بالعكس لانتفى هذا الوجه من أوجه الابتلاء.
وسأبدأ في تقرير هذا المعلم بذكر الآيات الدالّة على أنّ ابتلاء المؤمنين سنّة ربّانية لا تتبدّل ولا تتغيّر، ثمّ أثنّي بذكر بعض صور وأنواع هذا الابتلاء.

• قال الله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾) [البقرة: 214]

قال الرازي: « أي أحسبتم أيّها المؤمنون أن تدخلوا الجنّة بمجرّد الإيمان بي وتصديق رسولي، دون أن تعبدوا الله بكلّ ما تعبّدكم به وابتلاكم بالصبر عليه، وأن ينالكم من أذى الكفّار، ومن احتمال الفقر والفاقة، ومقاساة الأهوال في مجاهدة العدوّ كما كان كذلك من كان قبلكم من المؤمنين؟ »[2] .

• وقال الله تعالى: (أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾) [العنكبوت: 2-4]

1- في ظلال القرآن لسيد قطب 919/2.
2- التفسير الكبير للرازي 17./6

أي أظنّ الذين قالوا آمنّا أن نتركهم بغير اختبار، ولا ابتلاء امتحان ؟ كلا لنختبرنّهم بما تتبيّن به حقيقة إيمانهم ، ويتميّز به صادقهم عن كاذبهم ، كما فعلنا بالمؤمنين من الأمم التي سبقتهم[1].

والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء، ولكنّ الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله مغيّب عن علم البشر، فيحاسب النّاس على ما يقع من عملهم، لا على مجرّد ما يعلمه سبحانه من أمرهم[2].

ومعنى قوله تعالى: (أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ).

أي لا يحسبنّ الذين لم يدخلوا في الإيمان أنّهم يتخلّصون من هذه الفتنة والامتحان، فإنّ من ورائهم من العقوبة والنكال ما هو أغلظ من هذا وأطّم[3].

يقول ابن القيّم: « الناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين: إمّا أن يقول أحدهم: آمنّا، وإمّا ألاّ يقول ذلك بل يستمّر على السيئات والكفر.

فمن قال آمنّا، امتحنه ربّه وابتلاه وفتنه.

ومن لم يقل آمنّا فلا يحسب أنّه يعجز الله ويفوته ويسبقه، فإنّ بين يديه من الفتنة والمحنة والعذاب أعظم وأشقّ ممّا فرّ عنه.

فمن آمن بالرسل وأطاعهم، عاداه أعداؤهم وآذوه فابتلي بما يؤلمه.

وإن لم يؤمن بهم ولم يطعهم عوقب في الدنيا والآخرة فحصل له ما يؤلمه، وكان له أعظم ألمًا وأدوم من ألم اتّباعهم.

فلابدّ من حصول الألم لكل نفس آمنت أو رغبت عن الإيمان، لكنّ المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداءًا ثمّ تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة.

والمعرض عن الإيمان تحصل له اللذّة ابتداءًا ، ثمّ يصير إلى الألم الدائم.

فالألم واللّذة أمر ضروري لكلّ إنسان، لكن فرق بين العاجل المنقطع اليسير ، والآجل الدائم العظيم»[4].

والابتلاء الذي يواجه أهل الإيمان على نوعين: عام وخاص

- أمّا العام فالمقصود به ما يجرى على المؤمن في حياته من فقر وغنى، وصحّة ومرض، وعزّ وذلّ، وأمن وخوف ونحو ذلك ، وهذا النوع من الابتلاء شامل لعموم المؤمنين.

• قال الله تعالى (وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥) [الأنبياء: 35].

قال ابن عباس: « أي بالرّخاء والشدّة وكلاهما بلاء»[1].

1- ينظر تفسير الطبري 120/10.

2- ينظر الجامع لتفسير ابن القيم 365/3 و في ظلال القرآن لسيد قطب 2720/5.

3- ينظر تفسير ابن كثير 308./5

1- الجامع لتفسير ابن القيم 366/3 .

وقال ابن زيد: « نبلوهم بما يحبّون وبما يكرهون، نختبرهم بذلك لننظر كيف شكرهم فيما يحبّون، وكيف صبرهم فيما يكرهون»[2].

• وقال الله تعالى: (فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا) [الفجر: 15-17].

أي كلاّ ليس الأمر كما يقول الإنسان، فليس كلّ من أعطيته ونعّمته وخوّلته فقد أكرمته، ولكنّه ابتلاء منّي وامتحان له: أيشكرني فأعطيه فوق ذلك، أم يكفرني فأسلبه إيّاه وأخوّل فيه غيره.

وليس كلّ من ابتليته فضيّقت عليه رزقه فذلك من هوانه عليّ، ولكنّه ابتلاء وامتحان منّي له أيصبر فأعطيه أضعاف أضعاف ما فاته من سعة الرزق، أم يتسخّط فيكون حظّه السخط[3] .

فدلّت الآيات أنّ الله تعالى يبتلي عبده المؤمن بالشدّة كما يبتليه بالرخاء، بل ربّما كان الابتلاء بالرخاء أشدّ، واستقامة الإيمان معه أصعب، ذلك أنّ المصائب والمحن غالبًا ما توقظ القلوب وتوقفها على تقصيرها في حقّ ربّها فتتوب وتنيب ، في حين أنّ النعم غالبًا ما تطغي صاحبها وتلهيه، وقد قال صلى الله عليه و سلم : « **والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنّي أخشى أن تُبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم** »[4].

- أمّا الخاص فالمقصود به ما يلحق المؤمن من عداء النّاس وأذاهم نتيجة تمسكه بدينه، ودعوته إليه، ومجاهدته لتحكيمه.

وهذا القدر من الابتلاء نصيب صفوة المؤمنين من الرسل عليهم السلام وأتباعهم. وحظّ المرء منه على قدر إيمانه ، فكلّما كان إيمانه أكمل كان نصيبه من عداء الناس وأذاهم أكبر.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم نماذج وصور متعدّدة للأذى والعذاب الذي نال الرسل وأتباعهم؛ كالتكذيب والسخرية والاستهزاء والإخراج من الديار والقتل صلبًا وحرقًا ونحو ذلك[5].

2- ينظر تفسير الطبري 25/9.

3- المصدر السابق 26./9

4- ينظر الجامع لتفسير ابن القيم 209./5

5- البخاري **كتاب** المغازي **باب** شهود الملائكة بدرا 23/5 رقم 4015.مسلم **كتاب** الزهد والرقائق 1798/4 رقم .2961

1- ولله درّ ابن القيّم إذ يقول :« يا مخنّث العزم أين أنت والطريق طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح ، ورمي في النار الخليل، وأضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح السيّد الحصور يحي، وقاسى الضرّ أيّوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين » ينظر الفوائد لابن القيم ص .56

ولأنّ المجال لا يتسع لتفصيل جميع صور الأذى والعذاب الواردة في القرآن الكريم ،فسأكتفي بذكر صورة واحدة يستدلّ بها على ما سواها:

• قال الله تعالى: (وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾) [البروج: 1-9].

والأخدود: الشق المستطيل في الأرض كالخندق، وجمعه أخاديد[1].

واختلفت الروايات الواردة في تفسير هذه السورة في تعيين شخوص أصحاب الأخدود وزمانهم، إلاّ أنّها اتفقت كلّها على أنّ ما ذكر في السورة هو قصّة فئة من المؤمنين بغى عليهم الكفّار من قومهم وأرادوهم على ترك دينهم.

فلمّا أبوا شقّوا لهم خنادق في الأرض ثمّ أضرموا فيها النيران، وأوقفوا المؤمنين عليها يعرضون عليهم الرجوع عن دينهم، فمن فعل تركوه، ومن ثبت على دينه قذفوه في النار ، حتى إنّ المرأة

من المؤمنين لتأتي بالصبيّ لها تحمله، فتختار إلقاء نفسها وابنها في النار على ترك دينها[2].

و هذا الذي ذُكر في سورة البروج ؛ زيادة على أنّه يعدّ أفظع صور العذاب الذي تعرّض له المؤمنون في سبيل دينهم مقارنة مع غيره من الصور المذكورة في القرآن الكريم[3] ، فإنّه يحمل أيضًا دلالة خاصة تميّزه عن غيره:

يقول سيّد قطب: « إنّ قصة أصحاب الأخدود - كما وردت في سورة البروج - حقيقة بأن يتأملها المؤمنون الداعون إلى الله في كل أرض وفي كل جيل . فالقرآن بإيرادها في هذا الأسلوب مع مقدمتها والتعقيبات عليها ، والتقريرات والتوجيهات المصاحبة لها . . كان يخط بها خطوطاً عميقة في تصور طبيعة الدعوة إلى الله ، ودور البشر فيها .

لقد شهد تاريخ الدعوة إلى الله نماذج منوعة من نهايات في الأرض مختلفة للدعوات . .

شهد مصارع قوم نوح ، وقوم هود ، وقوم شعيب ، وقوم لوط ، ونجاة الفئة المؤمنة القلية العدد ، مجرد النجاة . ولم يذكر القرآن للناجين دوراً بعد ذلك في الأرض والحياة .

2- ينظر تفسير القرطبي 189/19.

3- ينظر تفسير الطبري 523/12 وتفسير القرطبي 189/19 والدر المنثور للسيوطي 333/15

1- لا يضاهيه إلا إلقاء إبراهيم υ في النار ، وما فعله فرعون بسحرته لمّا آمنوا بموسى υ من صلبهم وتقطيع أيديهم و أرجلهم من خلاف.

وشهد تاريخ الدعوة مصرع فرعون وجذوده، ونجاة موسى وقومه، مع التمكين للقوم في الأرض فترة كانوا فيها أصلح ما كانوا في تاريخهم، وإن لم يرتقوا قط إلى الاستقامة الكاملة، وإلى إقامة دين الله في الأرض منهجاً للحياة شاملاً. . وهذا نموذج غير النماذج الأولى .

وشهد تاريخ الدعوة كذلك مصرع المشركين الذين استعصوا على الهدى والإيمان بمحمد ρ وانتصار المؤمنين انتصاراً كاملاً . مع انتصار العقيدة في نفوسهم انتصاراً عجيباً . وتمّ للمرة الوحيدة في تاريخ البشرية أن أقيم منهج الله مهيمناً على الحياة في صورة لم تعرفها البشرية قط ، من قبل ولا من بعد .

وشهد نماذج أخرى أقل ظهوراً في سجل التاريخ الإيماني في القديم والحديث.

وما يزال يشهد نماذج تتراوح بين هذه النهايات التي حفظها على مدار القرون.

ولم يكن بدٌّ من النموذج الذي يمثله حادث الأخدود، إلى جانب النماذج الأخرى، القريب منها والبعيد . .

لم يكن بدٌّ من هذا النموذج الذي لا ينجو فيه المؤمنون، ولا يؤخذ الكافرون ! ذلك ليستقر في حس المؤمنين - أصحاب دعوة الله - أنهم قد يدعون إلى نهاية كهذه النهاية في طريقهم إلى الله، وأن ليس لهم من الأمر شيء ، إنما أمرهم وأمر العقيدة إلى الله .

لقد كان القرآن ينشئ قلوباً يعدها لحمل الأمانة ، وهذه القلوب يجب أن تكون من الصلابة والقوّة والتجرد بحيث لا تتطلع - وهي تبذل كل شيء ، وتحتمل كل شيء - إلى شيء في هذه الأرض ، ولا تنظر إلاّ إلى الآخرة ، ولا ترجو إلا رضوان الله ، قلوباً مستعدة لقطع رحلة الأرض كلها في نصب وشقاء وحرمان وعذاب وتضحية حتى الموت . بلا جزاء في هذه الأرض قريب ، ولو كان هذا الجزاء هو انتصار الدعوة ، وغلبة الإسلام وظهور المسلمين ، بل و لو كان هذا الجزاء هو هلاك الظالمين بأخذهم أخذ عزيز مقتدر كما فعل بالمكذبين الأوّلين .

وهذه اللفتة جديرة بأن يتدبرها الدعاة إلى الله ، في كل أرض وفي كل جيل ، فهي كفيلة بأن تريهم معالم الطريق واضحة بلا غبش ، وأن تثبت خطى الذين يريدون أن يقطعوا الطريق إلى نهايته ، كيفما كانت هذه النهاية »[1].

وإذا كانت الصورة البارزة للفتنة و الابتلاء هي أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل وأهله ; ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه , ولا يملك النصرة لنفسه ولا المنعة ; ولا يجد القوة التي يواجه بها الطغيان ، فهناك فتن كثيرة في صور شتى , ربما كانت أمرّ وأدهى:

هناك فتنة إقبال الدنيا على المبطلين , ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين , تهتف لهم الدنيا , وتصفق لهم الجماهير , وتتحطم في طريقهم العوائق , وتصاغ لهم الأمجاد , وتصفو لهم الحياة . وهو مهمل منكر لا يحس به أحد , ولا يحامي

1- معالم في الطريق لسيد قطب ص 173بتصرف.

عنه أحد , ولا يشعر بقيمة الحق الذي معه إلا القليلون من أمثاله الذين لا يملكون من أمر الحياة شيئا .

وهنالك فتنة الغربة في البيئة والاستيحاش بالعقيدة , حين ينظر المؤمن فيرى كل ما حوله وكل من حوله غارقا في تيار الضلالة ; وهو وحده موحش غريب طريد .

وهناك فتنة من نوع آخر قد نراها بارزة في هذه الأيام . فتنة أن يجد المؤمن أمما ودولا غارقة في الرذيلة , وهي مع ذلك راقية في مجتمعها , متحضرة في حياتها , يجد الفرد فيها من الرعاية والحماية ما يناسب قيمة الإنسان ، ويجدها غنية قوية , وهي مشاقة لله .

وهنالك الفتنة الكبرى، أكبر من هذا كله وأعنف ، فتنة النفس والشهوة ،وجاذبية الأرض، وثقلة اللحم والدم ، والرغبة في المتاع والسلطان , أو في الدعة والاطمئنان ، وصعوبة الاستقامة على صراط الإيمان والاستواء على مرتقاه , مع المعوقات والمثبطات في أعماق النفس ،وفي ملابسات الحياة , وفي منطق البيئة , وفي تصورات أهل الزمان .

فإذا طال الأمد , وأبطأ نصر الله , كانت الفتنة أشد وأقسى ، وكان الابتلاء أشد وأعنف ، ولم يثبت إلا من عصم الله[1] .

ومن عصمة الله لعباده المؤمنين عن أن ينهزموا أمام الفتن و يتراجعوا أمام قوّة الابتلاءات ، ما ضمّنه في كتابه الكريم:

أوّلاً : من الحجج والبراهين الدّالة على أنّ ما دعا إليه من الإيمان – رغم ما يكتنفه من الصعاب والشدائد – حق محض، وفوز خالص، وسعادة دائمة ،و ما سواه ضلال وخسران و شقاء .

وثانياً: ما ذكره من ألوان النعيم الروحي والجسدي المعدّ للمؤمنين في العاجل والآجل ، والذي تهون في سبيل الظفر به التضحية بكلّ متع الدنيا و لذاتها.

وهذان الأمران هما ما سأحاول بيانه في الفصلين المقبلين من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

1- ينظر في ظلال القرآن 5/.2720

الفصل الثاني
براهين الإيمان
في
القرآن الكريم

سبق في هذا الفصل الأوّل من هذا البحث بيان أنّ حقيقة الإيمان الذي جاء القرآن الكريم بالدعوة إليه تتلّخص في منهج متكامل يصوغ اعتقادات المرء وتصوّراته، وسلوكه وتصرّفاته وفق أوامر الله تعالى وأحكامه، فيجعل من الشريعة حاكمة على القلب واللسان والجوارح، فلا يصدر المرء إلاّ عن أحكامها ولا يخضع إلاّ لموازينها وإن اقتضى ذلك أن تفوت عليه كثير من الحظوظ والشهوات والمصالح، وينالـه كثير من المشقة والأذى والعذاب

ولا ريب أنّ دعوة بهذا الحجم لا يمكن أن تتجرّد عمّا يشهد لها من براهين وحجج، ولا أن تستند إلى أدلّة ضعيفة واهية يرد عليها من الشبه والإشكالات ما يجعلها مجرّد ظنون وأوهام، بل لابّد أن يكون لها من البراهين ما يقطع كلّ شبهة واعتراض، ويزيل كلّ شك و ريب بحيث لا يوصف من بلغته هذه البراهين إلاّ بأحد وصفين:

-إمّا منقاد للحقّ والعدل هو من آمن بها وسلك سبيلها.

-أو مستكبر معاند هو من كفر بها وتمرّد على أحكامها.

ومن هنا فإنّ الهدف من هذا الفصل إنّما هو محاولة إيضاح ما تضمّنه القرآن الكريم من هذه البراهين وبيان قطيعتها وكفايتها.

وهذه البراهين – فيما ظهر لي باستقراء آيات القرآن الكريم – ثلاثة أقسام جعلت لكلّ قسم منها مبحثًا مستقلا فكانت مباحث هذا الفصل على النحو التالي:

- **المبحث الأوّل: براهين الإيمان بالله تعالى**
- **المبحث الثاني: براهين الإيمان باليوم الآخر**
- **المبحث الثالث: براهين الإيمان نبوّة محمّد** صلى الله عليه و سلم .

المبحث الأول
براهين الإيمان بالله تعالى

سبق في الفصل الأوّل من هذا البحث بيان أنّ الإيمان بالله تعالى يتحقق باجتماع ثلاثة أمور:
1-الإيمان بأنّ الله تعالى خالق هذا الكون ومالكه والمتصرّف فيه.
2-الإيمان بأنّ لله تعالى صفات الكمال المطلق وأنّه سبحانه منزه عن كلّ عيب ونقص.
3-الإيمان باستحقاق الله تعالى وحده العبادة والتأليه.
وقد ورد في القرآن الكريم براهين إثبات كلّ مسألة من هذه المسائل أحاول بيانها فيما يلي مفردًا براهين كلّ مسألة بمطلب مستقل.

المطلب الأول
براهين الإيمان بالله تعالى خالقا مالكا متصرفا

سبق في الفصل الأوّل من هذا البحث، الإشارة إلى أنّ أغلب الآيات المقرّرة لحقيقة أن الله تعالى خالق هذا الكون ومالكه والمتصرّف فيه، سيقت بصيغة الاستفهام التقريري الذي يراد به إفحام الخصم بما هو مقرّر عنده سلفا[1].
ذلك أنّ هذه المسألة لم تكن قط محلّ إنكار من مشركي العرب الذين كانوا أوّل المخاطبين بآيات القرآن الكريم، بل لم تكن أيضًا محلّ إنكار من سائر من سبقهم من الأقوام والأمم حيث إنّ ما ذكر في القرآن الكريم من مناظراتهم لأنبيائهم ورسلهم يكاد يكون خاليًا تمامًا من الإشارة إلى هذه المسألة، وهذا يوحي بأنّ إثباتها لم يكن في يوم من الأيام مثار نقاش وجدل.
وقد حصر الإمام أبو حامد الغزالي أباطيل الكفّار وتخاييلهم التي سيقت في براهين القرآن الكريم لكشفها وإيضاح مخازيهم فيها؛ في ثلاثة أنواع ليست المسألة محلّ البحث واحدة منها :
النوع الأوّل : ذكر الله تعالى بما لا يليق، من أنّ الملائكة بناته، وأنّ له ولدًا وشريكًا، وأنّه ثالث ثلاثة.
النوع الثاني : ذكر رسول صلى الله عليه و سلم بأنّه ساحر وكاهن وكذّاب، وأنّه بشر كسائر الخلق فلا يستحق أن يتّبع .
النوع الثالث : إنكار اليوم الآخر، وجحد البعث والنشور، وإنكار عاقبة الطاعة والمعصية[2].
ومن هنا فإنّه يكاد يكون من المتعذّر على الناظر في القرآن الكريم أن يقف فيه على براهين سيقت لإثبات هذه المسألة، وما قد يوجد فيه من ذلك فالغالب

1- ينظر ص 35 من هذا البحث.
1- جواهر القرآن لأبي حامد الغزالي ص 49.

اندراجه ضمن براهين المقصود بها في الأصل تقرير مسائل أخرى من مثل اتصاف الله تعالى بصفات الكمال واستحقاقه العبادة والتأليه وإثبات قدرته سبحانه على البعث والنشور.

وهذا الأمر وإن بدا للوهلة الأولى نوعًا من القصور، إلاّ أنّه في الحقيقة ليس كذلك، ومن تأمّل الحقيقة التي تقرّرها هذه المسألة من إثبات خالق لهذا الكون ، مالك له متصرّف فيه، وما قد يعترض هذه الحقيقة من شبه وإشكالات، استبان له أنّها لا تستحق أكثر ممّا أولاها القرآن الكريم
من الاهتمام، وأنّ الإسهاب في سوق براهين إثباتها، وإقامة الحجج الكثيرة على منكريها سخف
لا يتناسب وجدّية القرآن الكريم، وسفه يُنزَّه عنه كلام ربّ العالمين[1] وذلك لسببين :

- السبب الأوّل : جلاء هذه المسألة وظهورها إذ تشهد الفطرة وبديهة العقل بصحتها:

أمّا شهادة الفطرة فما يجده الناس في بواطن ذواتهم، و يشعرون به في قرارة أنفسهم من الاعتراف بوجود خالق قادر مدّبر، وأجلى ما تكون مظاهر هذا الشعور عند حالات الشدائد والكروب، ذلك أنّ الإنسان إذا وقع في محنة شديدة وبلّية قوية بحيث لا يبقى في ظنّه رجاء المعاونة من أحد، فكأنّه بأصل خلقته، ومقتضى جبلّته يتضرّع إلى من يخلّصه منها، ويخرجه من علائقها وحبائلها، ولو قيّد لسانه لنطق جنانه وأفصحت إشاراته وأركانه، ووجد حرارة تدفعه إلى بارئه، وتضطره إلى منشئه، وهذا لازم من لوازم الإنسانية، وصفة من صفاتها الذاتية لا صنع فيه للبشر ولا كسب لهم فيه، لا بتقليد ولا بنظر، إن هو إلاّ شهادة الفطرة بالافتقار إلى الخالق المدّبر[2].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الإقرار الفطري وذلك في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾) [الأعراف: 172].

2- ينظر مقوّمات التصوّر الإسلامي لسيّد قطب ص 100 وما بعدها.

3- ينظر التفسير الكبير للرازي 169/12 و دلائل التوحيد للقاسمي ص 23. ويروى عن رابعة العدوية أنّه قيل لها : إنّ فلانًا أقام ألف دليل على وجود الله. فقالت : دليل واحد يكفي. قيل وما هو؟ قالت : لو كنت ماشيًا وحدك في الصحراء وزلّت قدمك فسقطت في بئر لم تستطع الخروج منها فماذا تصنع؟ قال : أنادي يا الله . قالت ذاك هو الدليل. ينظر كتاب: تعريف عام بدين الإسلام للشيخ علي الطنطاوي ص 49 .

والمراد بالأخذ والإشهاد المذكورين في الآية، خلق بني آدم على الفطرة المتضمّنة الإقرار بالخالق والشهادة له بالربوبية[1].
والإقرار الفطري بهذه المسألة يجعلها من جملة العلوم الضرورية، التي لا ينفكّ عنها إنسان،ولا يقام عليها برهان، بل برهانها هو نفس وجودها[2].
وإنكار طائفة من النّاس لهذه الفطرة بجحدهم وجود خالق مدّبر، لا يعدُّ إبطالاً لها، ولا انتقاصًا من دلالتها، وذلك لوجوه :
أوّلاً : لأنّ السواد الأعظم من الناس يشهدون بوجود هذا الإقرار الفطري، والمنكرون له لم يكونوا على مدار التاريخ إلاّ فئة قليلة لا تكاد تذكر، ويجمع الدارسون لتاريخ مختلف الحضارات والأمم على أنّه لم تخل آثار أمّة أو حضارة قط من دور للعبادة يمارس فيها النّاس شعائر التقرّب إلى من يعتقدون أنّه ربّهم وإلههم، وهم وإن اختلفوا في تحديده وضلّ أغلبهم عن الاهتداء الصحيح إليه إلاّ أنّ الإقرار بوجوده حقيقة مشتركة بينهم.
ولا يمكن أن يُلزم كلّ هؤلاء الناس بإبطال دلالة ما يجدونه ضرورة في أنفسهم لمجرّد قول فئة من الناس تزعم أنّها لا تقرّ بهذه الضرورة ولا تستشعر وجودها.
ثانيًا : أنّ الدليل إذا كان صحيحًا في نفسه لم يبطل بمجرّد إنكار فئة من الناس له وإلاّ لزم ألاّ يصحّ دليل على الإطلاق، إذ النّاس لا ينضبط ما يخطر لهم من الآراء والإرادات، وقد عرف التاريخ فرقة تسمى السوفسطائية ينكر أصحابها الحقائق جملة، فهل يقول عاقل بأنّه لا توجد حقيقة على الإطلاق مراعاة لخلاف السوفسطائيين؟ .
ثالثاً : إذا سلّمنا بصدق ما يزعمه المجادلون في هذه المسألة من أنّهم لا يستشعرون الإقرار بخالق مدبّر ضرورة في نفوسهم، فإنّ ذلك لا يعني أنّ هذه الضرورة الفطرية منتفية في حقّهم، فالإنسان قد يقوم بنفسه من العلوم والإرادات وغيرها من الصفات ما لا يعلم أنّه قائم بنفسه، وقيام الصفة في النفس غير شعور صاحبها بأنّها قامت به، وحتى الأفعال الاختيارية التي لا تتصوّر إلاّ بإرادة تقوم بالفاعل، ويمتنع أن يفعلها وهو غير ناوٍ لها، كالصلاة والصيام والحج والوضوء،

1- هذا أحد القولين في تفسير الآية، والقول الآخر أنّ المقصود بهذه الآية ما ورد عن ابن عباس من أنّ الله تعالى لمّا خلق آدم أخرج من صلبه كلّ ذريّة ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذرّ ثمّ كلّمهم فقال : (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ....).الآية ينظر تفسير الطبري 6 / 172 والدرّ المنثور للسيوطي649/6.
ورجّح ابن القيم القول الأول من عشرة أوجه في كتابه الروح ص 215 وكذا ابن كثير في تفسيره 3 / 249 ناسبًا ذلك لطائفة من السلف والخلف، وجمع بين القولين الطاهر بن عاشور كما في التحرير والتنوير 166/9 وسيّد قطب كما في ظلال القرآن 3 / 1394.
2- قال الشهرستاني رحمه الله : « فما عددت هذه المسألة – أي توحيد الربوبية- من النظريات التي يقام عليها برهان، فإنّ الفطر الإنسانية السليمة شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قدير ». ينظر نهاية الإقدام في علم الكلام ص74.

نجد كثيرًا من النّاس يستدعون النيّة فيها بألفاظ يتكلّفونها، ويشكّون في وجودها مرّة بعد مرّة حتى يخرجوا بذلك إلى ضرب من الوسوسة يشبه الجنون [1].
وعلى هذا فإنّ الاستدلال بهذه الضرورة الفطرية على المنكرين لها، قد يكون تنبيهًا لهم إلى حقيقة راسخة في أنفسهم لا يشعرون بها، وربّما أفضى هذا التنبيه إلى التماسهم لها - خاصة عند الشدائد والكروب- وبالتالي الإقرار بوجودها.
وهذا – كما أسلفت – مع التسليم بصدقهم فيما يزعمون من عدم استشعارهم لهذه الضرورة الفطرية، مع أنّ واقع الحال يشهد أنّ الغالب عليهم إنّما هو العناد والمكابرة بدليل رفضهم التسليم ببديهة عقلية تعتبر الشاهد الثاني على ظهور وجلاء مسألة وجود خالق مدبّر.
وتتمثل هذه البديهة العقلية في حكم العقل بأنّ حدوث الأشياء بعد أن لم تكن لا يمكن أن يتمّ إلاّ من خلال موجد أوجدها وخالق أحدثها، إذ المسافة بين الوجود والعدم مسافة لا يملك العقل البشري أن يعبرها إلاّ بتصوّر منشئ وموجد[2].
وما دام أنّ كلّ إنسان يعلم من نفسه ضرورة أنّه وجد بعد أن لم يكن، فالواجب عليه حينئذ الإقرار بأنّ هناك خالقًا له أوجده.
وإلى هذا المعنى أشار قوله تعالى:(أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾)[الطور: 35]
يقول ابن القيم : « تأمّل هذا الترديد والحصر المتضمن لإقامة الحجّة بأقرب طريق وأفصح عبارة، يقول تعالى : هؤلاء مخلوقون بعد أن لم يكونوا فهل خلقوا من غير خالق خلقهم فهذا من المحال الممتنع عند كلّ من له فهم وعقل أن يكون مصنوع من غير صانع ومخلوق من غير خالق ولو مرّ رجل بأرض قفر لا بناء فيها، ثمّ مرّ فيها فرأى فيها بنيانًا وقصورًا وعمارات محكمة، لم يتخالجه شك ولا ريب أنّ صانعًا صنعها وبانيًا بناها.

ثمّ قال تعالى: " أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ " وهذا أيضًا من المستحيل، أن يكون العبد موجدًا خالقًا لنفسه، فإنّ من لم يقدر أن يزيد في حياته بعد وجوده وتعاطيه أسباب الحياة ساعة واحدة، ولا أصبعًا ولا ظفرًا ولا شعرة، كيف يكون خالقًا لنفسه في حال عدمه. وإذا بطل القسمان تعيّن أنّ لهم خالقًا خلقهم وفاطرًا فطرهم »[3] .

ويقاس على الإنسان في انطباق هذه البديهة العقلية عليه سائر الموجودات الأخرى في هذا العالم، علويّه وسفليّه، وحينها يكون عدد الأدلّة على وجود

1- ينظر مجموع الفتاوى لإبن تيمية 16 / 195 والأدلّة العقلية النقلية على أصول الإعتقاد لسعود العريفي ص 205.
2- ويطلق على هذا البرهان اسم دليل الاختراع. ينظر مناهج الأدلّة لابن رشد ص151.
1- الجامع لتفسير ابن القيم 4 / 268.

الخالق فوق ما يطيقه الحصر، إذ كلّ ما في هذا الكون دليل مستقلٌ قائم بذاته يشهد على وجود خالقه ومبدعه[1] .

وإذا كان لابدّ من الإقرار بوجود الخالق لتعليل مجرّد وجود المخلوقات، فكيف إذا كان الحال أنّها لم توجد مجرّد وجود، بل وجدت وفق نظام محكم دقيق يعجز العقل البشري – رغم ما أتيح له من تطوّر – عن إدراك كنهه والإحاطة بتفاصيله.

وهذا النظام المحكم الساري في المخلوقات يدلّ على وجود الخالق بنفس القدر الذي يدلّ به عليه وجود المخلوقات نفسه، فالعقل البشري لا يقبل تفسيرًا لنظام محكم إلاّ وجود إرادة منظّمة أحكمته، ويحيل توّلد النظام من محض المصادفة والعشوائية بنفس القدر الذي يحيل به وجود موجودات بدون موجد[2] .

ومن وقع في قلبه شيء من الريب حيال قضيّة وجود الخالق، فما عليه سوى أن يجيل نظره في هذا الكون من أصغر ذرّة فيه إلى أعظم جرم، وليستعن في ذلك بما شاء ممّا يتيحه هذا العصر من وسائل وتقنيات، وليراجع ما أمكنه من بحوث وكشوفات، فلن يجد إلاّ الإتقان والدقة والإبداع تشهد بوجود الخالق المدبّر العليم.[3]

2- وبعض الملحدين لا يجد أمام هذه الحجّة المفحمة إلاّ أن يشاغب فيقول : ما دام أنّ البديهة العقلية تقتضي أنّ لكلّ موجود موجدا، ولكلّ خلق خالقا، ولكلّ صنعة صانعا وبالتالي يلزم الإقرار بوجود إله خالق، فإنّه ينبغي أيضًا –وبناءًا على نفس هذه البديهة العقلية – أن نسأل عمّن خلق الخالق الذي تزعمون؟

والجواب عن هذه المشاغبة أن يقال له : إمّا أنّ تقرّ بهذه البديهة العقلية التي تقتضي بأنّ لكل موجود موجد وإمّا أن تنكرها. فإن أقررت بها لزمك إثبات خالق لهذه الموجودات التي تراها. وإن أنكرتها لم يجزلك أن تحتج بها علينا سائلاً عمّن أوجد الخالق.

فإن قال : أقرّ بها، وسؤالي عمّن أوجد الخالق من لوازم هذا الإقرار.

قيل له : إنّ هذه البديهة العقلية التي تجعل لكل موجود موجدا ينبغي أن تنتهي إلى موجود لا يفتقر في وجوده إلى غيره، هو ما نقول عنه إنّه الإله الخالق، والتزام طرد هذه البديهة بلا نهاية كما يوهمه سؤالك عمّن أوجد الخالق، يعود على هذه البديهة بالبطلان، إذ كلّما افترض الذهن موجدًا أخضعه لهذه البديهة فعاد موجودًا يفتقر في وجوده إلى غيره، وهو ما يلزم عنه أنّ الموجودات كلّها مخلوقة ولا وجود لخالق على الإطلاق. وهذا يتناقض مع البديهة العقلية التي زعمت أنّك تقرّ بها والتي تحيل وجود مخلوقات بلا خالق.

وحينئذ فالواجب أن يكون أحد الأمرين هو الباطل : إمّا البديهة العقلية وإمّا التزام طردها. فإن أبطلت البديهة العقلية عدت إلى نقطة البداية وظهر عنادك ومكابرتك بإجازتك وجود موجودات بلا موجد.

وإن أبطلت التزام طردها حصل المقصود.

1- ويسمى هذا البرهان دليل الحكمة والنظام . ينظر كتاب كبرى اليقينيات الكونية للدكتور البوطي ص 89 .

2- يمكن أن يراجع بهذا الخصوص ما كتب الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه " **الحكمة في مخلوقات الله** " وما كتب ابن القيّم في مفتاح دار السعادة ص194 وما بعدها. وللدكتور هارون يحيى كتب عديدة في هذا المجال تحوي حقائق مذهلة عن آخر ما توصلت إليه البحوث المعاصرة من الدقة والإتقان في خلق الله يمكن مراجعتها في موقعه على شبكة الانترنيت www.harunyahya.com.

وقد جاء الأمر بالنظر والتفكّر في الكون وما فيه من عجائب الخلق ودقّة الصنع في آيات كثيرة من القرآن الكريم منها:

قول الله تعالى : (أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ) [الأعراف :185].

و قوله تعالى:(قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ)[يونس:101].

و قوله الله تعالى: (أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦)[ق: 6].

و قوله تعالى: (مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤)[الملك: 3-4].

ومع أنّ هذه الآيات قد اقترن بها في الغالب ما يشير إلى أنّ المقصود من وراء الأمر بالنظر والتفكّر الوارد فيها ؛ التنبيه على عظمة الخالق ونعوت جلاله، إلاّ أنّها صالحة أيضًا لأنّ يستدلّ بها على وجوده، فما كان دالاً على العظمة والكمال، فهو دالٌّ على الوجود من باب أولى.

- السبب الثاني : افتقاد المنكرين لوجود خالق مدبّر لأي حجّة يستدعي تفنيدها عرض الأدلّة وبسط البراهين:

وهذا نتيجة حتمية للسبب الأول، إذ من غير الممكن أن يجد من يصادم الفطرة وبديهة العقل أي شيء يستند في الحجاج إليه.

وقد صوّر القرآن الكريم حقيقة ما يمكن أن يتمسّك به المجادلون في وجود الخالق في ثلاثة مواضع:

- الموضع الأوّل : قوله تعالى : (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥٨) [البقرة: 258] .

و اسم هذا الملك المذكور في الآية نمرود بن كنعان[1]. قال مجاهد : « هو أوّل من ادعّى الربوبية »[2].

1- ينظر تفسير الطبري 3 / 25 والدرّ المنثور للسيوطي 3 / 203 .

2- ينظر روح المعاني للألوسي 3 / 15.

وقد احتج عليه إبراهيم بقوله: (رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ).

وقصد بذلك أنّ الله تعالى يخلق الأجسام الحيّة من الإنسان والحيوان بعد أن لم تكن، وهو الذي يميتها [1].

وهذا أمر مشاهد مكرور لا يسع أحدًا إنكاره، كما لا يملك أحدٌ أن يدّعيه لنفسه ما دام البشر يأتون إلى الحياة بغير اختيارهم، ويدهمهم الموت فلا يستطيعون ردّه عن أنفسهم ، وإذا كان كذلك فلا مناص من الإقرار بربٍّ للبشر يتصرّف فيهم بالإحياء والإماتة.

ولم يجد النمرود حيال هذه الحجّة البيّنة الواضحة سوى اللجوء إلى المكابرة فقال : " أَنَا۠ أُحۡىِۦ وَأُمِيتُ " ثم استدلّ لدعواه بأن أحضر رجلين من السجن، وأمر بإطلاق أحدهما فأطلق، وبقتل الآخر فقتل، زاعمًا أنّ هذا الذي فعل إحياء لأحدهما وإماتة للآخر[2].

ولمّا كان فعله هذا بمعزل عن المقصود وفيه من المغالطة والمكابرة ما لا يخفى، أعرض إبراهيم عليه السلام عن الاشتغال بإبطاله، وأتى بدليل آخر أظهر من الشمس فقال : " فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِى بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ ".

ومعنى : بهت: انقطع وسكت وتحيّر[3]، ذلك أنّه إمّا أن يدّعي أنّ طلوع الشمس من المشرق وأفولها من المغرب في حركة محسوبة بميزان دقيق لا يختلّ ولا يتخلّف يتمّ من تلقاء نفسها فيكون مصادمًا للبديهي لأنّ مثل هذه الحركة المحسوبة الدقيقة تستلزم إرادة ذاتية من المتحرّك، والشمس لا إرادة لها.

و إمّا أن يدعي أنّه هو المحرّك لها فيلزم حينئذ بتغير هذه الحركة بأن يأتي بالشمس من المغرب.

وإذا لم يكن هذا ولا ذاك لزمه الإقرار بفاعل غيره يأتي بالشمس من المشرق يكون هو الإله الخالق والربّ المتصرّف.

- **الموضع الثاني** : مناظرة فرعون لموسى حين أخبره أنّه رسولٌ إليه من ربّ العالمين :

3- ينظر التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور 3/.33

1- ينظر تفسير ابن كثير 1 / 556 والدرّ المنثور للسيوطي 3 / 205.

2- ينظر تفسير الطبري 3 / 26 .

قال الله تعالى : (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾) [الشعراء : 23-29].

وسؤال فرعون عن ربّ العالمين بقوله " وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ " سؤال إنكار وجحد، أي ليس
للعالمين ربٌّ يرسلك فمن هو هذا ؟ إنكارًا له[1].
فأجابه موسى مستدّلاً بالمخلوقات على الخالق :

(رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ).

(رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ).

(رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ)

وافتقار جميع هذه الموجودات إلى الموجد، في وجودها أوّلا وفي انتظامها ودقّة صنعها ثانيًا، أمر لا يمكن إنكاره إلاّ على سبيل العناد والمكابرة كما مرّ بيانه.
فما كان حجّة فرعون أمام هذه الدلائل البيّنة إلاّ أن قال : (لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ).
فلم يملك إلاّ التهديد والوعيد وهو دليل العجز والانقطاع.

- **الموضع الثالث** : قوله تعالى : (وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾) [الجاثية: 24] .

وهذا الذي ذكر في الآية هو قول من يجحد وجود الخالق فيفسّر الموت وانقضاء الأجل بمجرد تعاقب الأيام والسنين .
ولم تذكر الآية أية حجّة لأصحاب هذا القول أو دليل، بل أعقب الله تعالى قولهم بما يظهر أنّهم لا يستندون في قولهم إلى علم، بل غاية ما عندهم الظنّ فما يتكلّمون إلاّ به ولا يستندون إلاّ إليه[1].

1- ينظر مجموع الفتاوى لابن تيمية 16 / 192.

فهذه ثلاثة مواضع تكشف ما عليه المجادلون في مسألة وجود الخالق:

- إمّا المكابرة.
- وإمّا إرغام النّاس على قبول باطلهم بالتهديد والوعيد.
- وإمّا مجرّد ظنّ لا يستند لأيّة حقيقة علمية[2].

والمتمسك بأحد هذه الأمور الثلاثة يصادم بها الفطرة وبديهة العقل، لن يجدي معه دليل ولن يقنعه برهان، فلا عجب إذن أن لا تكون مسألة إثبات الخالق المدبّر قضية جوهرية في القرآن الكريم، بل إنّها لم تكن كذلك حتى في التوراة والإنجيل كما يذكر الدكتور عبد الحليم محمود حيث يقول : « إنّ وجود الله من القضايا المسلّمة التي لا توضع في الأوساط الدينية موضع البحث لأنّها فطرية، وإذا تصّفحت القرآن أو التوراة حتى على وضعها الحالي، أو الإنجيل حتى في وضعه الراهن، فإنّك لا تجد أنّ مسألة وجود الله قد اتخذت في أيّ منها مكانًا يجعلها هدفًا من الأهداف الدينية، أو احتلّت مكانًا من مقاصد الرسالة السماوية »[3].

2- ينظر فتح القدير للشوكاني 9/5.

3- ولم يأت ملحدو هذا العصر بجديد ، إنّما ورثوا هذه الأمور الثلاثة عن أسلافهم بل وفاقوهم فيها وللوقوف على شيء من ذلك يمكن مراجعة كتاب خديعة التطور للدكتور هارون يحي في موقعه على شبكة الأنترنيت www.harunyahya.com.

1- الإسلام والعقل لعبد الحليم محمود ص 144 نقلا عن كتاب الدلالة العقلية في القرآن لغبد الكريم عبيدات ص 259.

المطلب الثاني
براهين إتصاف الله تعالى بصفات الكمال المطلق وتنزهه عن النقائص والعيوب

رغم أنّ هذه المسألة تعتبر مبدءاً متّفقًا عليه من حيث الجملة بين جميع المقرّين بأنّ الله تعالى خالق هذا الكون ومالكه والمتصرّف فيه،إلاّ أنّها لم تسلم من الخطأ والضلال الذي اعترى غيرها من مسائل الإيمان.

ولقد كان للبعد عن نور الوحي عمومًا، وللتحريف الذي طال التوراة والإنجيل خصوصًا الأثر البالغ في إنشاء تصوّرات واعتقادات عن الله تعالى لا يمكن إلاّ أن توصف بأنّها مناقضة صريحة لهذه المسألة التي يزعم الجميع الإقرار بها والتسليم لها.

ويأتي على رأس هذه التصوّرات والاعتقادات بشاعة و فضاعة مسألة نسبة الولد لله تعالى، والتي اشترك في القول بها اليهود والنصارى ومشركو العرب، فزعم اليهود أنّ عزير ابن الله، وزعم النصارى أنّ المسيح ابن الله، وفاق مشركو العرب كلا الفريقين ضلالاً فزعموا أنّ الملائكة بنات الله – تعالى الله عمّا يقولون علوًّا كبيرًا -

ورغم أنّ القول بنسبة الولد لله سبحانه ليس النقيصة الوحيدة التي نسبت لربّ العالمين ، فالتوراة والإنجيل طافحان بأنواع من النقائص والعيوب[1]، إلاّ أنّ هذا القول خصّ في القرآن الكريم بالتوسع في تفنيده والتشنيع على قائليه.

ولعلّ السبب في ذلك يعود لفظاعة هذا القول وبشاعته أوّلاً، ولما أفضى إليه من الشرك بالله ثانيًا حيث اتُخذ من يُزعم أنّهم أبناء الله وبناته آلهة تعبد من دون الله.

وسأبدأ أوّلا بعرض البراهين التي تستند إليها مسألة اتصاف الله تعالى بصفات الكمال إجمالاً والتي جعلت منها حقيقة مسلّمة ومبدءاً متفقًا عليه، ثمّ أثّني بالبراهين المبطلة لمّا ادّعي من نسبة الولد لله تعالى.

أوّلاً : براهين اتصاف الله تعالى بصفات الكمال المطلق إجمالاً :

لعلّ مردّ الإتفاق حول هذه المسألة من حيث المبدأ يعود لإستنادها - تمامًا كالمسألة قبلها- إلى الفطرة وبديهة العقل:

- فكما أنّ النّاس مفطورون على الإقرار بخالقهم، فإنّهم كذلك مفطورون على أنّه تعالى أعظم وأجلّ وأكمل من كلّ شيء، إذ لا يتصوّر إثبات الخالق في الفطر إلاّ على وجه يكون فيه موصوفًا بمنتهى الكمال وغايته[2].

1- ينظر أمثلة على ذلك من التوراة في كتاب قذائف الحق للشيخ محمّد الغزالي ص 20 وما بعدها.

1- ينظر مجموع الفتاوى لابن تيمية 6 / 45 والأدلّة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد لسعود العريفي ص 346 .

- وكما يسلّم العقل بداهة بأنّ وجود المخلوق يستدعي حتمًا وجود خالق له، فإنّه كذلك يسلّم بحقيقتين اثنتين تقوم عليهما هذه المسألة :

الحقيقة الأولى: أنّ الخالق أكمل من المخلوق:
وهي حقيقة لا يمكن أن ينازع فيها أحد، لهذا جاءت الإشارة إليها بصيغة الاستفهام التقريري في قوله تعالى: (أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾) [النحل: 17] .

ولقد جاء هذا الاستفهام بعد أن عددّ الله تعالى آياته في خلقه فقال سبحانه : (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾)
[النحل: 3-16] .

ثمّ أعقب هذه الآيات بتوبيخ من يسوّي به غيره: فقال " **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ** "

أي أفمن يخلق هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هذه الأفاعيل العجيبة كمن لا يخلق شيئًا لا حقيرًا ولا جليلاً ؟[1]

والجواب طبعًا واضح وجلّي: بل من يخلق أكمل وأعظم وأجلّ.

وهو جواب تنطق به الفطرة ويسلّم به العقل لهذا قال سبحانه بعد هذا الاستفهام" **أفلا تذكرون"** فإنّ هذا القدر لا يحتاج إلى تفكّر وتدبّر ونظر، بل يكفي فيه – لجلائه – التذكّر وهو مراجعة ما سبق تصوّره وذهل عنه[2] .

وينبني على هذه الحقيقة التي تنصّ على أنّ الخالق أكمل مطلقًا من المخلوق، أنّ كلّ كمال ثبت للمخلوق فثبوته للخالق أولى[3]،إذ يمتنع اختصاص المفضول من كلّ وجه وهو المخلوق بكمال لا يثبت للفاضل من كلّ وجه وهو الخالق[4].

- **الحقيقة الثانية**: أنّ واهب الكمال وفاعله أحقّ بالاتصاف به من الموهوب المعطى:

وإلى هذه الحقيقة يشير قوله تعالى: (**فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾**) [فصلت: 15].

وقد ذكر أنّ قوم عاد كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم، وبلغ من قوّتهم أنّ الرجل منهم كان ينزع الصخرة من الجبل ويرفعها بيده، فاغتروا بهذه القوّة وأجابوا عمّا توّعدهم به هود من نزول عذاب الله بهم لتكذيبهم رسالته بقولهم : " **مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً** " [5].

1- ينظر فتح القدير للشوكاني 3/.154

2- ينظر التفسير الكبير للرازي 11/20 وروح المعاني للألوسي118/14 .

3- فالمخلوق يتطلّع إلى الغنى ويتنزّه عن الفقر والحاجة فالخالق أولى، والمخلوق يتطلع إلى أن يكون قويًا قادرًا ويتنزه عن الضعف والعجز فالخالق أولى، والمخلوق يتطلع إلى أن يكون كريمًا محسنًا رحيمًا ويتنزّه عن البخل والقسوة والجفاء فالخالق أولى، والمخلوق يتطلع إلى أن يكون عادلاً ويتنزّه عن الظلم والجور فالخالق أولى وهكذا يقال في سائر ما فطر عليه الناس من محبّة صفات الكمال والتنزه عن أضدادها.

4- ويحترز هنا عمّا هو كمال للمخلوق لكن ينزّه عنه الخالق لاستلزامه النقص من جهة أخرى كالأكل والشرب والنكاح فالمخلوق الذي يأكل ويشرب وينكح أكمل من المخلوق العاجز عن ذلك، لكنّ هذه الصفات لا يمكن إضافتها للخالق لكونها تستلزم الحاجة والفقر المنافيان لكمال الغنى. ينظر مجموع الفتاوى لابن تيمية 6/.53

1- ينظر فتح القدير للشوكاني 510/4 وروح المعاني للألوسي 24/.112

فأبطل الله تعالى زعمهم بقوله " أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ " وهذه بديهة أوّلية تفيد أنّ من وهبهم القوّة التي بها يغترون أولى منهم بكمالها.

واستفيد هذا من قوله تعالى: " ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ" ذلك أنّ لفظ الآية لو كان " **أو لم يروا أنّ الله أشدّ منهم قوّة** " لكان دالاً على الحقيقة الأولى التي سبق بيانها والتي تفيد أنّ الخالق أكمل مطلقًا من المخلوق.

لكنّ جملة" ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ" أضافت معنى آخر وهو أنّهم إنّما استفادوا هذا الكمال من خالقهم فهو أولى به منهم، فالذي جعل غيره قويًا أولى بالقوّة منه، والذي جعل غيره قادرًا أولى بالقدرة منه، والذي أغنى غيره أولى بالغنى منه، والذي أحيا غيره أولى بالحياة منه، والذي علّم غيره أولى بالعلم منه ،وهكذا سائر الكمالات التي في المخلوق فالخالق الذي وهبه إيّاها أولى بالاتصاف بها منه.

وفي هاتين الحقيقتين البديهيتين إضافة إلى ما فُطر عليه النّاس أعظم الكفاية في إثبات صحّة هذه المسألة إجمالاً وبالتالي إبطال سائر ما يناقضها من الأقوال التي ملأت بها يد التحريف التوراة والإنجيل والتي لا يماري أحد في كونها انتقاصًا صريحًا لربّ العالمين[1].

وتبقى مسألة نسبة الولد لله تعالى التي يستدعي تفنيدها مزيد بسط خصها به القرآن الكريم هذا أوان بيانه.

ثانيا: براهين إبطال نسبة الولد لله تعالى:

تقوم البراهين التي أوردها القرآن الكريم لإبطال نسبة الولد لله تعالى على :

1- بيان أنّ هذا القول مناقض لما ثبت من اتصاف الله تعالى بصفات الكمال المطلق وتنزهه عن النقائص والعيوب.

2- بيان أنّ هذا القول لا يستند إلى دليل صحيح

ويدل على كلا هذين الوجهين قوله تعالى: (قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٨) [يونس: 68].

فهذه الآية تضمنت إبطال القول بنسبة الولد لله تعالى:

2- كالتعب والندم والحزن و البكاء ونحوها.

أوّلاً : من جهة أنّه مناقض لكمال الغنى الثابت لله تعالى ،و هو معنى قوله تعالى:" سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ " ذلك أنّ اتخاذ الولد إمّا أن ينشأ عن اندفاع طبيعي لقضاء الشهوة من غير قصد التوليد، وكون ذلك حاجة ونقصًا غير خفي.
وإمّا أن ينشأ عن القصد والتفكير في إيجاد الولد، وذلك لا يكون إلاّ لسدّ ثلمة نقص من حاجة إلى مُعين في الحياة أو خلف بعد الممات[1].
وعلى هذا فإيجاد الولد إنّما يصح على من يجوز عليه الفقر والعجز والحاجة، وكلّ ذلك منتف في حقّ الله تعالى لكمال غناه فلا معنى إذن ولا مبرر لنسبة الولد إليه.
وثانيًا: من جهة أنّ القول بنسبة الولد لله تعالى قول بلا دليل، وهو معنى قوله سبحانه: " إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآ " أي ما عندكم على هذا القول من برهان ولا حجّة[2].
وافتقاد البرهان على هذا القول مسألة يشترك فيها اليهود والنصارى ومشركو العرب:

إبطال قول اليهود

أمّا اليهود فلم يُذكر في القرآن الكريم أي مستند لقولهم إنّ عزيراً ابن الله، غير أنّ الطبري أخرج عن ابن عباس أنّهم قالوا ذلك من أجل أنّ عزيرًا كان في أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم، فعملوا بها ما شاء الله أن يعملوا، ثمّ أضاعوها وعملوا بغير الحق، وكان التابوت فيهم. فلمّا رأى الله أنّهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواء رفع عنهم التابوت وأنساهم التوراة، وكان عزير قبل من علمائهم، فدعا الله وابتهل إليه أن يرد إليه الذي نسخ من صدره من التوراة،فاستجاب الله دعاءه وعاد إليه الذي كان ذهب من جوفه من التوراة، فأذّن في قومه أن قد آتاني الله التوراة وردّها عليّ. فمكثوا ما شاء الله وهو يعلّمهم. ثمّ إنّ التابوت نزل بعد ذلك وبعد ذهابه منهم. فلمّا رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان عزير يعلّمهم. فوجدوه مثله، فقالوا: والله ما أوتي عزير هذا إلاّ أنّه ابن الله !![3]
ولم يتعرّض القرآن الكريم لإبطال هذا القول إذ هو في غاية الفساد والضعف حيث لا علاقة إطلاقًا لا من سمع ولا من عقل، ولا من وجه ظاهر ولا خفي، بين ما حصل من إعادة التوراة إلى جوف عزير بعد دعاءه وابتهاله وبين ما ادّعوه من أنّه ابن الله.

1- ينظر التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور11./230
2- ينظر الكشاف للزمخشري 345/2 وسُمي البرهان سلطانًا لأنّه يُكسب المستدلّ به سلطة على مجادله ومخالفه. ينظر التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور11./231
1- تفسير الطبري 350/6

إبطال قول النصارى

وأمّا النصارى فعمدتهم فيها ذهبوا إليه من القول بأنّ المسيح ابن الله ؛كونه ولد من غير أب وهو خلاف المعتاد في البشر إذ لا يولد أحدٌ إلاّ من أب وأم، ثم رتّبوا على قولهم هذا تأليه المسيح.

وقد أبطل الله تعالى قول النصارى هذا في كتابه الكريم ببيان فساد دليله وهو كون المسيح ولد من غير أب.

وببيان فساد لازمه وهو القول بتأليه المسيح.

- أمّا بيان فساد دليله ففي الآيات التالية:

1- قال الله تعالى:(وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾)

[البقرة: 116-117].

وموضع الاستدلال من الآية على فساد دليل النصارى هو قوله تعالى:"بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ".وتقرير الحجة فيه كما قال ابن القيّم: « أنّ من اخترع السماوات والأرض – مع عظمهما وآياتهما- وفطرهما وابتدعهما لا يعجزه أن يخلق بشرًا من أم فقط بلا أب، ذلك أنّ من قدر على عظيم كان على ما دونه في العظمة أقدر.

فكيف أقررتم بأنّ الله تعالى خلق السماوات والأرض وأوجدهما من العدم ثمّ استشكلتم ولادة المسيح من غير أب حتى لم تجدوا لذلك تفسيرًا إلاّ أن تقولوا بأنّه ابن الله؟؟»[1].

وهذا الاستدلال في غاية القوة قال عنه ابن القيّم: إنّه من أبلغ الحجج على استحالة نسبة الولد لله تعالى[2].

وفي الآية إضافة إلى هذا الذي سبق ذكره وجه آخر في إبطال قول النصارى وذلك بالاستدلال بكمال غنى الله تعالى وقدرته وهو ما تضمّنه قوله تعالى: " وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ".

قال ابن القيّم في تقرير هذا الاستدلال: « إنّ من كانت قدرته كافية في إيجاد ما يريد إيجاده بمجرّد أمره و قوله : كن. فأيّ حاجة به إلى الولد؟ وهو لا يتكثّر به من قلّة، ولا يتعزّز به، ولا يستعين به، ولا يعجز عن خلق ما يريد خلقه، وإنّما

2- الجامع لتفسير ابن القيم 335./1

1- المصدر نفسه.

يحتاج إلى الولد من لا يخلق، ولا إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، وهو المخلوق العاجز المحتاج الذي لا يقدر على تكوين ما أراد » [1].

2- قال الله تعالى: (بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١) [الأنعام: 101].

وهذه الآية لا تختلف عن التي قبلها إلاّ من جهة تضمّنها وجهًا آخر لانتفاء الولد عن الله تعالى بانتفاء وجود صاحبة له – سبحانه – غير أني وجدت للإمام الرازي تقريرًا لوجه آخر من الاستدلال يختلف عن ذاك الذي سبق نقله عن ابن القيّم في الآية السابقة حيث قال: « المقصود من هذه الآية أن يقال: إمّا أن تريدوا بكون المسيح ولدًا لله تعالى أنّه أحدثه على سبيل الإبداع من غير تقدّم نطفة ووالد.

- وإمّا أن تريدوا بكونه ولدًا لله تعالى ما هو المألوف المعهود من كون الإنسان ولدًا لأبيه.

- وإمّا أن تريدوا بكونه ولدًا لله مفهومًا ثالثًا مغايرًا لهذين المفهومين.

فإن أرادوا الأوّل فباطل لأنّ السماوات والأرض خلقتا أيضًا على سبيل الإبداع من غير تقدّم مادة والنصارى يسلّمون بذلك، فلو لزم من مجرّد كونه مبدعًا لإحداث عيسى أن يكون والدًا له، للزم من كونه مبدعًا للسماوات والأرض كونه والدًا لهما. ومعلوم أنّ ذلك باطل بالاتفاق. فهذا هو المراد من قوله " بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ".

وإن أرادوا من كونه ولدًا لله الأمر المعروف المعتاد من الولادة فهذا أيضًا باطل:

أوّلاً : لأنّ الولادة لا تصح إلاّ ممّن كانت له صاحبة والله لا صاحبة له بالإتفاق، وهذا هو المراد من قوله: " أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞ "

وثانيًا: أنّ تحصيل الولد بهذا الطريق إنّما يصحّ في حق من لا يكون قادرًا على الخلق والإيجاد والتكوين دفعة واحدة، فيسعى في تحصيل الولد بالطريق المعتاد، أمّا من كان خالقًا لكلّ الموجودات قادرًا على كلّ المحدثات فإنّه إذا أراد إحداث شيء قال له كن فيكون . وهذا هو المراد من قوله: " وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ "

وإن أرادوا إثبات الولد بناءًا على احتمال ثالث فذلك باطل لأنّه غير متصوّر ولا مفهوم عند العقل، فكان إثبات الولد لله تعالى بناءًا على ذلك الاحتمال الذي هو غير متصوّر خوضًا في محض الجهالة» [2].

2- الجامع لتفسير ابن القيم 1/.337

1- التفسير الكبير للرازي 97/13بتصرف يسير.

3- قال الله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾) [آل عمران: 59] .

ورد في سبب نزول هذه الآية أنّ وفدًا من نصارى نجران أتو النبي صلى الله عليه و سلم فجادلوه في المسيح فقالوا: كلّ آدمي له أب فما شأن عيسى لا أب له؟ فأنزل الله هذه الآية[1].

ووجه الاستدلال فيها كما قال ابن كثير: « أنّ مثل عيسى في قدرة الله حيث خلقه من غير أب كمثل آدم حيث خلقه من غير أب ولا أم .

والذي خلق آدم من غير أب ولا أم قادر على أن يخلق عيسى من أم بلا أب بطريق الأولى والأحرى.

وإن جاز ادّعاء البنوّة في عيسى لكونه مخلوقًا من غير أب لجاز ذلك في آدم بطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق أنّ ذلك باطل، فدعواه في عيسى أشدّ بطلانًا وأظهر فسادًا »[2].

- وأمّا فساد لازم قول النصارى وهو تأليه المسيح فبيانه في الآيات التالية:

1- قال الله تعالى: (لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾) [المائدة: 17].

وتقرير البرهان في هذه الآية أنّ المسيح لو كان إلهًا كما تزعم النصارى، لكان له من الأمر شيء ولقدر على دفع ما ينزل به أو بغيره . وقد ماتت أمّه ولم يقدر على أن يدفع عنها الموت عند نزوله بها، فهو إذن أعجز عن أن يدفع عن غيرها.

ومن حقّ من يكون إلها أن لا يتعلّق به ولا بشأن من شؤونه، بل بشيء من الموجودات قدرة غيره فضلاً عن أن يعجز عن دفع شيء منها عند تعلّقها بهلاكه، فلمّا كان عجزه بّينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل عمّا تقولون فيه[3].

2- ينظر تفسير الطبري 3/.293

3- تفسير ابن كثير 2/.46

1- ينظر فتح القدير للشوكاني 24/2 وروح المعاني للألوسي6/.96

2- قال الله تعالى: (مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥) [المائدة: 75].

- أمّا قوله تعالى: " مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ "

فالمقصود به إبطال استدلالهم على ألوهية المسيح بالمعجزات التي أجراها الله على يديه كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى[1]، إذ أنّه لم يختصَّ بها فقد كان لمن قبله من الرسل مثلها، بل لعلّ ما خصّ به غيره أغرب وأعجب، فإنّه عليه الصلاة والسلام إن أحيا من مات من الأجسام التي من شأنها الحياة فقد أحيا موسى العصا وهي جماد.

فإن زعمتم أنّ المسيح إله، فمن قبله من الرسل الذين جاؤوا بمثل ما جاء به أيضًا آلهة. وأنتم لا تقولون بذلك[2].

- وأمّا قوله تعالى: " كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ " فإبطال لألوهية المسيح وأمّه من وجهين:

أحدهما: حاجتهما إلى الطعام والشراب، وضعف بنيتهما عن القيام بنفسهما، بل هي محتاجة فيما يقيمها إلى الغذاء والشراب، والمحتاج إلى غيره لا يكون إلها، إذ من لوازم الإله أن يكون غنيًا.

والثاني: أنّ الذي يأكل الطعام يكون منه ما يكون من الإنسان، من الفضلات القذرة التي يستحي الإنسان من نفسه وغيره حال انفصالها عنه، بل يستحي من التصريح بذكرها، ولهذا والله أعلم عبّر الله عنها بلازمها من أكل الطعام الذي ينتقل الذهن منه إلى ما يلزمه من هذه الفضلة. فكيف يليق بالربّ سبحانه أن يتخذ صاحبة وولدًا من هذا الجنس؟ ولو كان يليق به ذلك أو يمكن، لكان الأولى به أن يكون من جنس لا يأكل ولا يشرب ولا يكون منه الفضلات المستقذرة[3].

3- قال الله تعالى: (لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ) [النساء: 172].

2- ذكر الطبري أنّ وفد نجران أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا محمّد فيم تشتم صاحبنا. قال: من صاحبكم. قالوا عيسى ابن مريم تزعم أنّه عبد. فقال: رسول الله ﷺ :أجل إنّه عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. فقالوا: إن كنت صادقًا فأرنا عبدًا يحي الموتى ويبرئ الأكمه ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه. لكنّه الله. ينظر تفسير الطبري294/3.

3- ينظر روح المعاني للألوسي 208/6 وفتح القدير للشوكاني 64/2 والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 285./6

1- مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم 197./1

والاستنكاف: التكبّر والامتناع بأنفة، فهو أشدّ من الاستكبار[1].
وفي هذه الآية احتجاج على النصارى بما يقرّون به من أنّ المسيح كان أشدّ النّاس عبادة لله تعالى، وإذا كان كذلك امتنع القول بتأليهه إذ الإله يُعبد ولا يَعبد.
ويحكى عن علي بن أبي طالب أنّه قال لبعض النصارى: لولا تمرّد عيسى عن عبادة الله لصرت على دينه، فقال النصراني :كيف يجوز أن ينسب ذاك إلى عيسى مع جدّه في طاعة الله فقال علي: فإن كان عيسى إلهًا فالإله كيف يعبد غيره. إنّما العبد هو الذي يليق به العبادة. فانقطع النصراني[2].
فهذه الآيات دليل قاطع على انتفاء ألوهية المسيح وبالتالي انتفاء كونه ابنا لله تعالى إذ لو كان ابنًا لكان إلها إذ الابن لا يكون إلاّ من جنس أبيه.

إبطال قول مشركي العرب

أمّا مشركو العرب فهم وإن لم يكن لهم أي دليل على ما زعموا من أنّ الملائكة بنات الله، إلاّ أنّه تكرّر في مواضع كثيرة من القرآن الكريم بيان فساد قولهم والتشنيع عليهم بسببه، وذلك لأنّهم أربوا على اليهود والنصارى، فلم يكتفوا بأنّ ادّعوا الولد لله تعالى بل نسبوا له الولد في أدنى وصفيه عندهم وهو الإناث دون الذكور.
وقد استندت براهين القرآن الكريم المبطلة لدعواهم إلى الحقيقتين البديهيتين السابق ذكرهما وهما أنّ الخالق أكمل مطلقًا من المخلوق، وواهب الكمال ومعطيه أولى بالاتصاف به:

1- قال الله تعالى:(وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٥٩﴾) [النحل: 57-59].

فأخبرت الآية أنّهم يجعلون لله البنات ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون من الذكور في حين أنّ الواحد منهم لو بشّر بولادة أنثى – هذا الجنس الذي ينسبه لربّه- **"ظلّ وجهه مسوّدًا"** : كناية عن التغيّر والانكسار بما يحصل من الغمّ ،والعرب تقول لمن لقي مكروهًا: قد اسوّد وجهه غمًّا وحزنا **" وهو كظيم "** أي ممتلئ حنقًا على امرأته**" يتوارى من القوم من سوء ما بشّر به"**: أي يختفي ويتغيّب من أجل سوء المبشّر به وكان الرجل في الجاهلية إذا ظهر آثار الطلق بامرأته توارى واختفى إلى أن يعلم ما يولد له، فإن كان ذكرًا ابتهج به، وإن كان أنثى حزن ولم يظهر للناس أيّامًا يدبّر فيها ماذا يصنع، أيمسكها على ذلّ وهوان أم يدّسها في

2- ينظر التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور 59./6
3- ينظر التفسير الكبير الرازي28./4

التراب **"ألا ساء ما يحكمون"**: إذ نسبوا لله البنات مع أنّهن عندهم بهذا المبلغ من السوء وجعلوا لأنفسهم البنين، فما أسوأه من حكم وما أبطله من تقدير[1].

2- وقال الله تعالى في آية أخرى:(أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾) [النجم: 21-22].

يقال ضاز في الحكم: أي جار، وضازه حقّه يضيزه ضيزًا أي نقصه وبخسه[2].
والمعنى أن قسمتكم خارجة عن الصواب جائرة عن العدل مائلة عن الحقّ بجعلكم ما تتأففون منه ويعيّر بعضكم بعضًا به لله تعالى، وجعلكم ما تعتبرونه كمالا تبتهجون به وتفاخرون لأنفسكم.

3-وقال الله تعالى: (أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾) [الإسراء: 40].

قال الزمخشري: « يعني أفخصّكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون، ولم يجعل فيهم نصيبًا لنفسه واتخذ أدونهم وهي البنات؟ هذا خلاف الحكمة وما هي معقولكم وعادتكم، فإنّ العبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب ويكون أردؤها وأدونها للسادات»[3].

1- ينظر التفسير الكبير للرازي 46/20 و فتح القدير للشوكاني3/.170
2- ينظر فتح القدير للشوكاني 109/5
1- الكشاف للزمخشري 642/2

المطلب الثالث
براهين استحقاق الله تعالى العبادة والتأليه وانتفاء ذلك عمّا سواه

تعتبر هذه المسألة وثيقة الصلة بالمسألتين قبلها ،إذ يعدُّ ما سبق تقريره فيهما الأساس الذي تقوم عليه براهين إثبات هذه المسألة بشقّيها:
- شقّ إثبات استحقاق الله تعالى العبادة والتألّيه.
- شقّ إبطال عبادة ما سواه.

أوّلاً: براهين استحقاق الله تعالى العبادة والتألّيه:

بنى القرآن الكريم إثبات مسألة استحقاق الله تعالى العبادة والتألّيه على الحقيقتين اللتين سبق تقريرهما: من أنّه سبحانه خالق هذا الكون ومالكه والمتصرّف فيه.
ومن أنّه سبحانه متصف بصفات الكمال المطلق الذي لا يشوبه نقص بوجه من الوجوه.
وجلّ الآيات المتضمّنة الأمر بعبادة الله تعالى – إن لم تكن كلّها- جاء هذا الأمر فيها مرتبًا على إحدى الحقيقتين السابقتين أو عليهما معًا، فمن ذلك :

1- قوله تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾) [البقرة: 21-22].

فابتدأت هذه الآية بأمر الناس بعبادة الله تعالى ثمّ ثنّت بذكر ما يستوجب هذه العبادة ويقتضيها من كونه سبحانه خلقهم وآبائهم وأوجدهم من العدم، وهيّأ لهم الأرض بما يطيب به عليها عيشهم، وأمدّهم من السماء بماء هو أساس حياتهم ومصدر أقواتهم[1].

2- وقال سبحانه: (إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾) [يونس:3].

فاقترن الأمر بعبادة الله تعالى بحقيقة أنّه سبحانه خالق السماوات والأرض ومدّبر أمرهما.

1- ينظر الجامع لتفسير ابن القيّم 292/1وفي ظلال القرآن لسيّد قطب 46./1

3- وقال سبحانه: (إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾) [النمل: 91].

فربطت الآية الأمر بعبادة الله تعالى بكونه سبحانه مالك كلّ شيء كما هو ظاهرً من قوله " وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ".

4- وقال سبحانه: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾) [الأنعام: 1].

ومعنى يعدلون: أي يسوون به غيره في العبادة والتعظيم[1].

فتضمّنت الآية معنى التعجب من تسويتهم خالق السماوات والأرض ومنشئ الليل والنهار بمن لا يقدر من ذلك على شيء[2]، فالاستدلال فيها ليس على استحقاق الله تعالى العبادة فحسب، وإنّما على وجوب إفراده بها.

5- وقال سبحانه: (ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾) [البقرة: 255].

فابتدأت الآية بتقرير استحقاق الله تعالى العبادة كما يشير إلى ذلك قوله : " ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ " حيث أنّ الإله هو المعبود بحق كما سبق بيانه، ثمّ أعقبت ذلك بدلائله من كمال أوصاف الله تعالى

ونعوت جلاله ككمال الحياة[3].

وتمام الملك[4] وشمول العلم[5] وعظيم القوّة والقدرة [1].

1- ينظر تفسير ابن كثير 6./3

2- ينظر التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور128./7

3- كما يدلّ عليه قوله تعالى: [ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ].

1- كما يدلّ عليه قوله تعالى: [لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ].

2- يدلّ عليه قوله تعالى :[يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ]

ومثل ذلك في الاستدلال بكمال أوصاف الله تعالى على وجوب عبادته:

- قوله سبحانه: (وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾)[البقرة: 163].
- وقوله: (إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾) [طه: 98].
- وقوله: (هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾) [الحشر: 23].

وترتيب مسألة استحقاق الله تعالى العبادة والتأليه على المسألتين قبلها في غاية القوّة والظهور، لا يمكن لأحد الاعتراض عليه ولا المجادلة فيه، فالله هو الخالق، والله هو الرازق، والله هو المالك، والله صاحب القدرة والقهر والسلطان، وهو سبحانه العليم بالغيوب والأسرار، لا تتحرّك ذرّة فما فوقها إلاّ بإذنه، ولا تسقط ورقة إلاّ بعلمه، الجميع مفتقر إليه من كلّ وجه وهو الغنيّ بنفسه عن كلّ ما سواه، لا ينال أحدٌ ذرّة من الخير فما فوقها إلاّ بفضله ورحمته، ولا ذرّة من الشرّ فما فوقها إلاّ بعدله وحكمته، يكبت المعتدين. وينصر المظلومين، يغيث المكروبين ويعطي السائلين والمحتاجين ومن هذا شأنه سبحانه فلا شيء أوجب في العقول والفطر من الخضوع له، والانقياد لحكمه والرغبة في رضاه[2].

ثانيًا: براهين إبطال ألوهية ما سوى الله تعالى

المعبودات من دون الله تعالى وإن اختلفت شخوصها، وتنوّعت صورها وأشكالها، إلاّ أنّها تشترك في كونها تجسّد في نظر عابديها القدرة والقوّة والقهر، إذ لا يتصوّر أن يخضع أحد ويذلّ وينقاد إلاّ لمن يرجو نفعه ويخشى ضرّه، ولا يتصوّر صدور النفع والضر إلاّ ممّن يملك القدرة التامة والقوّة القاهرة.

ومن هنا فإنّه يكفي إظهار عجز الآلهة المدّعاة من دون الله للبرهان على بطلان عبادتها، أيًّا كانت صورة هذا العجز وفي أي مجال تحقّق، وهو ما تظاهرت آيات القرآن الكريم على بيانه بصور مختلفة وبأساليب متنوّعة ومن ذلك:

1- عجز الآلهة المزعومة عن الخلق:

ومن أبلغ ما صُوّر به هذا العجز في القرآن الكريم ما جاء في قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟

3- يدلّ عليه قوله تعالى:[وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا].

4- ينظر الجامع لتفسير ابن القيّم 290/1 والفوائد لابن القيم ص 42 .

ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾) [الحج: 73] .

يقول ابن القيّم: « هذا المثل من أبلغ ما أنزل الله سبحانه في بطلان الشرك وتجهيل أهله وتقبيح عقولهم، وذلك أنّ المعبود أقلّ درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده، وإعدام ما يضرّه، وآلهة المشركين لو اجتمعوا كلّهم في صعيد واحد وساعد بعضهم بعضًا وعاونه بأبلغ المعاونة لعجزوا عن خلق ذباب واحد، وهذا الذباب الذي هو أقلّ مخلوقات الإله الحقّ وأعجزها وأضعفها لو اختطف منهم شيئًا واستلبه، فاجتمعوا على أن يستنقذوه منه لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا عليه، فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله؟؟ » [1].

• وقال سبحانه : (وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾)
[النحل: 20].

فكلّ من لم يعبد خالق هذا الكون سبحانه فلا بدّ أن يعبد أحد مخلوقاته، إذ ما ثمّ إلاّ خالق واحد، وكلّ ما سواه مخلوق، فهذه الآلهة المدّعاة ليست فقط عاجزة عن الخلق بل هي نفسها مخلوقة وجدت بعد أن لم تكن، فبأي عقل ومنطق جاز عبادة آلهة هذا حالها .

• وقال سبحانه: (هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾) [لقمان: 11].

فإن زعموا أنّ آلهتهم خلقت شيئًا مع الله طولبوا بأن يظهروه، وإن اعترفوا أنّها أعجز وأضعف وأقلّ من ذلك كانت إلهيتها باطلاً ومحالاً[2].

وعجز هذه الآلهة عن الخلق يترتب عليه حتمًا تجرّدها عن الملك والتصرّف، إذ لا يمكن أن تملك ما لم تخلق، ولا أن تتصرّف فيما لا تملك.

وعلى هذا فليس بيدها إعطاء ولا منع، ولا خفض ولا رفع، ولا إحياء ولا إماتة.

وإلى هذا التجرّد عن الملك والتصرّف المترتب على العجز عن الخلق أشارت آيات كثيرة منها:

• قوله تعالى: (قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾) [سبأ: 22].

1- الجامع لتفسير ابن القيّم 220/3 بتصرف.
2- المصدر السابق 406/3.

• وقوله: (يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾) [فاطر: 13].

• وقوله: (وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾) [النحل: 73].

• وقوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾) [العنكبوت: 17].

• وقوله: (وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴿٣﴾) [الفرقان: 3].

2- عجز الآلهة المزعومة عن الدفاع عن نفسها

وهذا من أقوى الأدلّة على بطلان ألوهية الأصنام وسفاهة عابديها، وقد جاء التنبيه إلى هذه الصورة من العجز في آيات كثيرة منها:

• قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾) [الأعراف: 197].

• وقوله تعالى: (أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾) [الأنبياء: 43].

وهذه الصورة من العجز كانت الحجّة التي أقامها الخليل على قومه حين حطّم آلهتهم:

• قال الله تعالى: (وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ

ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾) [الأنبياء: 51-67].

وملخص القصّة كما وردت في تفسير الطبري أن إبراهيم υ عمد إلى الأصنام التي يعبدها قومه فحطّمها كلّها ما عدا صنمًا واحدًا هو أكبرها،تركه على حاله، وذكر أنّه علّق الفأس التي استعملها في عنقه.

فلمّا رجع قومه إلى أصنامهم بعد أن كانوا قد خرجوا إلى عيد لهم ووجدوها محطّمة لم يشكّوا أنّ إبراهيم هو من فعل هذا بها إذ كان دائم الانتقاص لها والسخرية منها، فأحضروه فسألوه: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ فأجاب υ مستهزءًا بهم : بل هذا الصنم الكبير هو الفاعل، فاسألوا الآلهة من كسرها إن كانت تنطق أو تعبّر عن نفسها.

وذُكر أنّه قال إمعانًا في الإستهزاء بهم: هذا الصنم الكبير غضب من أن تعبد معه هذه الآلهة الصغار وهو أكبر منها، فكسرهن.

فنكس القوم على رؤوسهم فاحتجوا على إبراهيم بما هو حجّة له عليهم فقالوا: إنّها - أي الأصنام – لا تنطق فتخبرنا من صنع هذا بها، ولا هي تبطش فنصدّق ما تقول من أنّ كبيرها هو من حطّمها.

فقال : فكيف تعبدون هذه الآلهة راجين أن تحقّق لكم نفعًا أو أن تدفع عنكم ضرًّا وهي لم تمنع نفسها ممّن أرادها بسوء ؟؟؟[1]

وهذه الحجّة التي تضمّنتها قصّة إبراهيم ستبقى قائمة على عبّاد الأصنام إلى يوم الدين، فهم مهما بلغت بهم المكابرة فلن تصل إلى حدّ أن يزعموا أنّ هذه الجمادات التي يعبدونها من أحجار وأشجار تستطيع أن تمنع نفسها ممن يبغي تحطيمها فضلاً عن أن تلحق به سوءًا أو أذى.

1- ينظر تفسير الطبري9/ 37 و ما بعدها.

3- عجز الآلهة المزعومة عن الكلام:

يعدّ عدم القدرة على الكلام الذي تتصّف به كثير من الآلهة المدّعاة دليلاً على إبطال استحقاقها العبادة من وجهين:

الأوّل: أنّ هذا العجز نقص ينافي الألوهية التي تقتضي الكمال.

والثاني: أنّ هذا العجز يجعلها في مرتبة أدنى من عابديها من البشر الذين وهبهم الله تعالى القدرة على الكلام.

فهل يستقيم في عقل أو منطق أن يكون العابد أكمل من المعبود.

وقد جاء التنبيه إلى هذا العجز في مواضع من القرآن الكريم منها:

- ما سبق ذكره في قصّة إبراهيم حين قال لقومه: (فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ)

[الأنبياء:63].

- ما عاب الله تعالى به بني إسرائيل حين عبدوا العجل حيث قال تعالى مبينًا ضلالهم: (وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾) [الأعراف: 148] .

وقال سبحانه في موضع آخر: (أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾) [طه: 89].

ولعلّ هذه الصورة من العجز من أهمّ ما يمكن أن تبطل به ألوهية الشمس والقمر وغيرها من النجوم والكواكب ذلك أنّ عابديها ربّما استطاعوا المجادلة في الصورتين السابقتين من العجز:

فقد ينكرون الصورة الأولى مدّعين قدم هذه الكواكب والنجوم وأزليتها ما دام أنّ أحدًا من البشر لا يمكنه ادعاء أنّه شهد عملية خلقها وإيجادها من العدم، هذا إن لم يدّعوا أنّ هذه الكواكب من شمس أو قمر أو نجوم هي الخالقة.

وقد يجادلون في الصورة الثانية ما دام أنّه لا يمكن من الناحية العملية تحقيقها، لهذا فإنّ عدم الكلام يشكّل برهانًا قاطعًا لا يمكن لهؤلاء المجادلة فيه، ولا يقال لهم إلاّ كما قال الله تعالى لعبدة العجل من قوم موسى: أفلا ترون أنّها لا تكلّمكم ولا تهديكم سبيلاً، أي هبوا أنّها آلهة كما تزعمون، فما بالها لا ترغّب في خير، ولا تحذّر من شر، ولا تمنّي من صلح واستقام بثواب، ولا تتوّعد من تمرّد واستكبر عن عبادتها بعقاب، هذا وقد مرّ على وجود الإنسان على هذه الأرض أحقاب متطاولة من الزمن، وهلك ما لا يحصى عدده من البشر، وهذه الآلهة التي تدّعون صامتة جامدة لم تكلّف نفسها عناء إخبار أحد من الناس أنّها الجديرة

بالعبادة المستحقة لها، بل إنّ الرسل الذين عرفتهم البشرية متّفقون على القول بأنّ هذه الأجرام مخلوقة مسُخّرة لا تملك شيئًا من خصائص الألوهية، فما الذي أسكتها لو كانت آلهة حقًا من أن تبيّن كذب هؤلاء الرسل وتستعيد بالتالي حقّها الضائع وسلطانها المسلوب ؟
وهل هذا إلاّ دليل بطلان ألوهيتها وسفاهة عابديها ؟

ورغم إقرار قسم كبير من المشركين بأنّ في آلهتهم هذه الصور الثلاث وصورًا أخرى من العجز غيرها،إلاّ أنّهم مع ذلك لا يجدون غضاضة في عبادتها وصرف شعائر التقرّب والتنسك إليها، ذلك أنّهم لا يفترضون فيها القدرة التامة لذاتها، وإنّما لما اكتسبته من جاه ومكانة عند الله تعالى الذي هو صاحب القدرة التامة والسلطان القاهر.
فالأصنام والتماثيل التي يعبدون ليست في نظرهم إلاّ صورًا لمن يجعلونهم شفعاء لهم عند الله ووسائط بينهم وبينه من الملائكة والأنبياء والصالحين.

• قال الله تعالى:(وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ) [الزمر: 3].

قال قتادة: « كانوا إذا قيل لهم من ربّكم وخالقكم ومن خلق السماوات والأرض؟ قالوا الله: فيقال لهم: ما معنى عبادتكم الأصنام؟ قالوا: ليقرّبونا إلى الله زلفى ويشفعوا لنا عنده »[1].
وقد ورد في القرآن الكريم إبطال زعمهم هذا من وجوه:

- الأوّل : افتقادهم لأيّ دليل أو برهان على ما يقولون : ذلك أنّ من جعل بينه وبين خالقه وسائط يرجو شفاعتهم عنده ويعبدهم من دونه؛ وجب عليه إقامة الدليل على مسألتين:
- الأولى: إذن الخالق له باتخاذ شفعاء ووسائط.
- الثانية: خبر من الله تعالى بتعيين أشخاص هؤلاء الذين لهم حظوة ومنزلة عند الله تؤهلهم للتوسط بينه وبين خلقه.
وقد وردت مطالبة المشركين بهذا الدليل، والتشنيع عليهم لانتفاءه في آيات كثيرة من القرآن الكريم:

• قال الله تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾) [الحج: 71].

1- ينظر فتح القدير للشوكاني 4/.449

فعبادتهم لغير الله تعالى ليست مأخوذة عن دليل سمعي وهو المراد بقوله: " مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا " قال الطبري : « أي ما ليس لهم عليه حجّة في كتاب من كتب الله التي أنزلها على رسله »[1].

ولا عن دليل عقلي وهو المراد بقوله سبحانه " وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ".

• وقال الله تعالى: (أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾) [الأنبياء: 24].

قال الشوكاني: « أي هاتوا برهانكم على دعوى أنّها آلهة، أو على جواز اتخاذ آلهة سوى الله تعالى »[2].

ومعنى " هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى "أي هذا القرآن وهذه الكتب التي أنزلت قبلي فانظروا هل في واحد منها أنّ الله أمر باتّخاذ آلهة سواه[3] ؟.

وقال الزجاج: « قيل لهم هاتوا برهانكم بأنّ رسولاً من الرسل أنبأ أمّته بأنّ لهم إلها غير الله، فهل ذكر من معي وذكر من قبلي إلاّ توحيد الله؟»[4].

• وقال الله تعالى: (قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۚ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾) [فاطر: 40].

قال الطبري: « يقول الله تعالى ذكره: قل يا محمّد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: أرأيتم الآلهة والأوثان التي تعبدون: أروني أيّ شيء خلقوا من الأرض فيكون لكم بذلك في عبادتكم إيّاها حجّة، فإنّ من حجّتي على عبادتي إلهي وإقراري له الألوهة أنّه خلق الأرض كلّها، أم لآلهتكم التي تعبدونها شرك مع الله في السماوات فيكون لكم أيضًا بذلك حجّة في عبادتها فإنّ من حجّتي على إفراد العبادة لربّي أنّه المنفرد بخلق السماوات دون كلّ ما سواه.

"أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ": أي أم آتينا هؤلاء المشركين كتابًا أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله؛ فهم على برهان ممّا أمرتهم فيه من الإشراك بي ؟»[1]

2- تفسير الطبري 9/.188

3- فتح القدير للشوكاني 3/.403

1- ينظر التفسير الكبير الرازي 152/22و فتح القدير للشوكاني 3/.403

2- معاني القرآن واعرابه للزجاج 3/.316

• ومثل ذلك قوله تعالى: (قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤) [الأحقاف: 4].

- الثاني: أنّ هؤلاء الذين يزعمون استحقاقهم العبادة من الملائكة والأنبياء والصالحين هم أنفسهم عابدون لله تعالى، ساعون في مرضاته:

وهذه الحقيقة يسلّم بها هؤلاء المشركون، إذ لا ينكرون أنّ هؤلاء الذين يجعلونهم شفعاء لهم عند الله من أكثر خلق الله اجتهادًا في عبادته وسعيًا في تحصيل مرضاته، وهم لهذا عبدوهم.

وإذا كان كذلك فصرف شعائر التعبّد إليهم ظاهر البطلان، إذ كيف يؤلّه العبد عبدًا مثله، وكيف يكون إلهًا يُرجى منه جلب النفع ودفع الضرّ من هو نفسه مفتقر إلى خالقه و بارئه في تحصيل منافعه ودفع المضّار عنه؟ فهلاّ ملك تحقيق ذلك لنفسه قبل أن يُعتقد فيه تحصيل ذلك لغيره ؟

وإلى هذا المعنى أشار قوله تعالى : (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧) [الإسراء: 57].

قال ابن القيّم عند تفسير هذه الآية: « المعنى أنّ الذين تدعونهم من دون الله من الملائكة والأنبياء والصالحين يتقرّبون إلى ربهم ويخافونه ويرجونه. فهم عبيده كما أنّكم عبيده، فلماذا تعبدونهم من دونه وأنتم وهم عبيد له»[2].

وهذا الوجه في إبطال مزاعم المشركين، قد تقدّمت الإشارة إليه في المطلب السابق عند إيراد براهين بطلان ألوهية المسيح.[3]

- الثالث: أنّ هذا الزعم من المشركين يقتضي التسوية بين المملوك والمالك فيما هو من خصائص المالك سبحانه:

وهذا زيادة على أنّه تجنّ على المالك لا يستند المشركون فيه إلى دليل، فهو أيضًا انتقاص له حيث جوّزوا عليه ما لا يرضونه لأنفسهم.

3- تفسير الطبري 420/10 بتصرف.
1- الجامع لتفسير ابن القيّم 85./3
2- ينظر ص 166 من هذا البحث.

وإلى ذلك أشار قوله تعالى: (وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٧١﴾)

[النحل: 71].

فالله تعالى فضلّ بعض الناس على بعض في الرزق، فجعل بعضهم سادة مخوّلين وبعضهم عبيدا مملوكين، فإذا كان هؤلاء السادة لا يرضون بمشاركة عبيدهم ومملوكيهم لهم فيما يختّصون به من مال ومتاع، فكيف يرضى هو تعالى بمساواة عبيده له فيما هو ثابت له من الإلهية والتعظيم ؟[1]

قال الطاهر بن عاشور: « الغرض من هذا التمثيل تشنيع مقالتهم واستحالة صدقها بحسب العرف ثم زيادة التشنيع بأنّهم رضوا لله ما لا يرضونه لأنفسهم »[2].

• وقال الله تعالى: (ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾) [الروم: 28].

قال ابن كثير: « هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به، العابدين معه غيره، الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أنّ شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له، وملك له، كما كانوا في تلبيتهم يقولون: لبيّك لا شريك لك إلاّ شريكًا هو لك تملكه وما ملك »[3].

ومعنى "مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ" : أي مثلاً منتزعًا ومأخوذًا من أنفسكم فإنّها أقرب شيء منكم وأبين من غيرها عندكم، فإذا ضرب لكم المثل بها في بطلان الشرك كان أظهر دلالة وأعظم وضوحًا[4].

"هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ"أي هل ترضون لأنفسكم أن يساويكم عبيدكم في التصرّف فيما رزقناكم من الأموال ويشاركوكم فيها من غير فرق بينكم وبينهم؟والمراد إقامة الحجّة عليهم فإنّهم لا بدّ أن يقولوا لا نرضى بذلك. فيقال لهم: فكيف

3- ينظر التفسير الكبير للرازي 65/20 .
1- التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور 215/14
2- تفسير ابن كثير 357./5
3- فتح القدير للشوكاني 223/4.

تنزّهون أنفسكم عن مشاركة المملوكين لكم، وتجعلون عبيد الله شركاء له[1]؟هذا مع أنّكم تستوون مع عبيدكم في كونكم جميعًا بشرا مخلوقين في حين أنّ الله تعالى الخالق ومن تجعلونهم له شركاء خلق من خلقه، وملككم لعبيدكم طارئ قد يزول ببيع أو عتق بينما الله تعالى لا يخرج عبيده عن ملكه بحال من الأحوال، وملككم لعبيدكم هو بالاسم فقط وليس على الحقيقة لأنّهم من رزق الله تعالى لكم، بينما الله مالك عبيده وغيرهم ملكًا حقيقيًا بخلقه لهم[2].فمَن الأولى والأحق بالتنزيه عن مشاركة عبيده ومملوكيه له؟ وهل هذا إلاّ جور في القسمة وميل عن الحق ؟.

4- المصدر نفسه.
5- ينظر التفسير الكبير للرازي 25/.103

المبحث الثاني
براهين الإيمان
باليوم الآخر

المبحث الثاني
براهين الإيمان باليوم الآخر

قضيّة الإيمان بوجود حياة أخرى بعد الموت يحاسب فيها الناس على أعمالهم ويجازون بحسبها ليست إلاّ نتيجة حتمية لما مضى في المبحث السابق تقريره من مسائل عمومًا، ولمسألة اتصاف الله تعالى بصفات الكمال المطلق خصوصًا، حيث تعدّ صفات الكمال الثابتة له سبحانه كالحكمة والعدل والقدرة الأساس التي تقوم عليه براهين الإيمان باليوم الآخر في القرآن الكريم ، وسأحاول بيان ذلك من خلال مطلبين :

المطلب الأوّل: براهين إثبات اليوم الآخر.
المطلب الثاني: براهين تفنيد شبهة منكريه.

المطلب الأوّل
براهين إثبات اليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر يتضمّن الإيمان بمسائل غيبية كثيرة كما سبق بيانه في الفصل الأوّل من هذا البحث[1]، ولا يمكن إقامة البراهين المثبتة لجميع هذه المسائل مسألة مسألة؛ إذ إنّ أغلبها سمعي لا يمكن إثباته إلاّ بطريق الخبر الذي يستلزم إثبات صدق المخبر أوّلاً.
وعليه فالمقصود هنا الاستدلال على الأصل الذي جميع مسائل اليوم الآخر متفرّعة عنه وراجعة إليه، وهو ضرورة وجود حياة أخرى بعد الموت يجازى الناس فيها على ما أسلفوا في هذه الدنيا من أعمال.
وبراهين القرآن الكريم المستخدمة لتقرير هذا الأصل ترجع إلى مقتضى صفتين من صفات الكمال الثابتة لله سبحانه وتعالى:
الصفة الأولى: الحكمة المستلزمة تنزهه سبحانه عن العبث واللعب.
الصفة الثانية : العدل المستلزم تنزهه سبحانه عن الظلم.[2]
أمّا الحكمة فجاء مستدّلاً بها على ثبوت اليوم الآخر في آيات كثيرة منها:

1-قوله تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾)[المؤمنون: 115-116]

ووجه إنكار الله تعالى في هذه الآية على المشركين ما ظنّوه وحسبوه من عدم رجوع الناس إلى ربّهم ليلاقوا جزاء أعمالهم؛ أنّه مستلزم لئن يكون خلقُ النّاس وإيجادهم مجرّد عبث لا فائدة منه ولا طائل من وراءه، وهو ما يتنافى مع ما ثبت من كمال حكمة الله تعالى، لذلك نزّه سبحانه نفسه عن هذا الظنّ الفاسد فقال: "فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ " : أي تنزّه وتقدّس عن أن تكون أفعاله من جنس عبث السفهاء لا تنتهي إلى شيء ولا تفضي إلى غاية.[3]
وأيّ عبث أكبر من أن يُخلق الناس وقد سُخّر لهم هذا الكون سماؤه وأرضه، نجومه وكواكبه، نباته ودوّابه، ثمّ يُزوّدوا بوسائل الإدراك من عقل وسمع وبصر، ويودع في فطرهم ما يفرّقون به بين الخير والشر، والحسن والقبيح، والصالح والفاسد ثمّ لا يكون لهذا الخلق والاصطفاء بهذا الشكل الخاص والمتميّز عن باقي المخلوقات أي أثر أو مقتضى من أمر ونهي وثواب وعقاب؟؟

1- ينظر ص 79 وما بعدها من هذا البحث.
2- ينظر الأدلّة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد لسعود العريفي ص 579 .
3- ينظر تفسير ابن كثير 44/5 وتفسير القرطبي 104/12.

وأي فائدة إذن لهذا الذي أعطيه البشر من ممّيزات ما دامت حياتهم لا تختلف عن حياة البهائم، أكل وشرب ونكاح، ثمّ موت وفناء ؟
وإذا كان تخصيص فعل من الأفعال وتمييزه عن غيره، دون غاية وقصد من وراء هذا التخصيص والتمييز عبث يتنزّه عنه العقلاء من البشر، فكيف بربّ البشر ؟؟

وقد جاءت الإشارة إلى ذلك في سورة التين حيث قال سبحانه: (لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤) [التين: 4] ، أي في أحسن صورة وأعدل خلق.[1]

ثم أعقب سبحانه ذلك بقوله: (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧) [التين: 7] .

قال الفرّاء : « أي فمن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما تبيّن له من خلقنا الإنسان على ما وصفنا ؟ »[2].
وبالإضافة إلى دلالة هذا الذي خصّ به البشر من الصفات والمميّزات، فإنّ هناك دلالة أخرى تُستشّف من واقع حياتهم على هذه الأرض، المليء بالاختلافات والتناقضات، فبعضهم يقول إنّ لنا خالقًا أوجدنا له علينا واجب العبودية والطاعة، ويجحد ذلك آخرون.
ويعتقد بعضهم بأنّ وراء هذه الدنيا حياة أخرى أبدية لا تنقطع يرّدون فيها إلى خالقهم فيثابون أو يعاقبون، ويكذّب بذلك آخرون.
ويصدّق بعضهم من قالوا إنّهم رسل الله إلى خلقه ويتّبعوهم ويطيعوهم، ويكذّبهم آخرون ويناصبونهم العداء ويؤذوهم.
وأفضى ذلك كلّه إلى حروب وسجالات سفكت فيها دماء، وضاعت أموال، وهدمت بيوت، ولا يزال ذلك مستمّرًا في حياة البشر إلى الآن.
هذا ناهيك عن ما تفضي إليه تعاملات البشر فيما بينهم من نزاعات لا تنتهي، على الحقوق والأموال، كلّ طرف فيها يدّعي أنّه المظلوم المعتدى عليه، وغيره الظالم المعتدي الواجب القصاص منه.
أي عبث أكبر من أن ينتهي هذا كلّه إلى العدم المحض ويطوي الموت الجميع دون أن يتبيّن المحق من المبطل، والهدى من الضلال، والصدق من الكذب، والخير من الشر ؟
وأين الحكمة من خلق حياة تجرى أحداثها على هذا النحو ثمّ تنتهي دون حساب ؟
وأي نفس تشهد هذا كلّه ثمّ لا تتوق إلى يوم يرتفع فيه الإشكال ويحلّ فيه النزاع؟

1- قال ابن عباس في تفسيرها:« ليس شيء من الحيوان إلاّ وهو منكبّ على وجهه غير الإنسان .» ينظر تفسير الطبري 12/636-637.
2- معاني القرآن للفرّاء 3/ 277 نقلا عن كتاب الأدلّة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد لسعود العريفي ص 584 .

إنّ خلق البشر بتلك الصفات المميّزة لهم عن سائر المخلوقات، ثمّ ما دار بينهم من نزاعات واختلافات، لو قدّر أنّه كان موضوع قصّة أو رواية لما صدّق أحدٌ من قارئيها أنّ العدم المحض – على هذا النحو الذي يزعمه المنكرون لليوم الآخر- نهايتها، ولجزموا بأنّ لها فصولاً وأجزاء أخرى توضّح فيها مبهماتها وتحلّ فيها مشكلاتها ويوقف فيها على مراميها وأهدافها، وإلاّ نسبوا كاتبها ومؤلّفها لغاية السفه والحمق.[1]

وأشار إلى هذا الذي سبق ذكره قوله تعالى: (وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾) [النحل: 38-39].

قال ابن السيّد متحدّثا عن دلالة هذه الآية: « هذه الآية أحد ما تضمّنه القرآن العزيز من الأدلّة البرهانية على صحّة البعث، ووجه البرهان المنفّك من هذه الآية – التي لا يقدرها حق قدرها إلاّ العالمون، ولا ينتبه لغامض سرّها إلا المستبصرون –أنّ اختلاف الناس في الحق لا يوجب اختلاف الحقّ في نفسه، وإنّما تختلف الطرق الموصلة إليه، والقياسات المرّكبّة عليه، والحقّ في نفسه واحد، فلمّا ثبت أنّ ها هنا حقيقة موجودة لا محالة، وكان لا سبيل لنا في حياتنا هذه إلى الوقوف عليها وقوفًا يوجب لنا الائتلاف، ويرفع عنّا الاختلاف صحّ ضرورة أنّ لنا حياة أخرى غير هذه الحياة، فيها يرتفع الخلاف والعناد»[2] .

1- قال الشيخ البوطي في كتابه : كبرى اليقينيات الكونية : « إنّ من أجلى صفات الله أنّه حكيم في خلقه وعامّة أحكامه، وأنّه لا يتصوّر في حقّه العبث، وأي عبث أعبث من أن تكون هذه الأكوان المنسقة غاية التنسيق، ثمّ المسخرّة للإنسان غاية التسخير منتهية أخيرًا إلى لا شيء ومتصدّعة إلى غير غاية ! وهذا الإنسان الذي يعيش في وجود الله تعالى متألّها متجبّرًا، يطغى على أخيه الإنسان بالقتل والظلم وشتّى مظاهر الحيف والجور، وهذا الآخر الذي عاش مهيضًا مستضعفًا تحت سلطانه وبطشه، فلم يشعر من الدنيا إلا بما فيها من ضنك وبؤس، على حين لم يشعر الآخر إلاّ بما فيها من رفاهية ونعيم هل تنتهي قصّتهما بالوصول إلى غلاف الموت دون أن تأتي من وراء ذلك تتمّة تعيد الحقّ إلى نصابه وتكشف عن سيادة العدل على الظلم والجور؟

وهل رأى أحدٌ من النّاس مسرحية مثّلت أمام المشاهدين من فصل واحد، ثمّ أسدل الستار وانتهت القصّة وإنّ حوادثها لا تزال مجزّأة معلّقة، ولا تزال الأفكار متطلّعة منها إلى تفسير ما ظلّ مبهمًا وتتميم ما بتر مجزّءًا، ولا تزال الأعصاب مشدودة إلى معرفة المرمى والمغزى من القصة وكاتبها؟

إنّ طفلاً عاقلاً من الناس لا يؤلف في مدرسته مسرحية بهذا الشكل، أيقيم الله الحكيم الخبير قصّة كونه العظيم هذا على مثل هذا العبث العجيب الذي يتنزّه عنه الأطفال ؟» ينظر كتاب كبرى اليقينيات الكونية ص 179.

1- الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم. لإبن السيّد البطليوسي ص 27 نقلاً عن كتاب الأدلّة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد لسعود العريفي ص 585.

والفصل في النزاعات الدائرة بين البشر كما أنّه من مقتضيات حكمة الله تعالى فهو كذلك من مقتضيات عدله سبحانه، إذ التسوية بين المحسن والمسيء، والمصلح والمفسد ،والظالم والمظلوم، ظلم قبيح ينزّه عنه الله:

قال الله تعالى: (أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾) [الجاثية: 21].

وقال تعالى: (أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾) [القلم: 35-36].

وقال تعالى: (أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾) [ص: 28].

فكمال العدل يقتضي إثابة المحسن ومعاقبة المسيء، ونصرة المظلوم والانتصاف من الظالم، ومن المعلوم أنّ ذلك غير متحقق في الدنيا بشكل كامل إذ يعيش كثير من المحسنين في ضنك من العيش في حين يحوز كثير من المفسدين متع الدنيا ولذّاتها .

وكثير من الظالمين ظلوا على ظلمهم حتى الموت، لم يأخذ على أيديهم أحد، وكثير من المظلومين ظلوا مظلومين حتى آخر حياتهم، لم ينصفهم أحد.

ومن هنا فلا بدّ من وجود حياة أخرى يتجسّد فيها العدل الإلهي بإعطاء كلّ ذي حق حق ومجازاة كل عامل بعمله.

المطلب الثاني
براهين تفنيد شبهة منكري اليوم الآخر

لم يذكر القرآن الكريم أنّ المنكرين لليوم الآخر طعنوا في حكمة الله تعالى وعدله، ولا في اقتضاء ذلك الجزاء من ثواب وعقاب. بل أعرضوا عن مجابهة هذه الدلالة الصريحة القاطعة التي سبق بيانها، إلى شبهة ظلوا بها يجادلون وبحبلها يتمسّكون هي ما يزعمونه من استحالة أن يقدر أحد على إعادة إحياء أجساد فنيت وتمزّقت، ولم يعد بالإمكان تمييز أجزائها عن ذرّات التراب المدفونة فيه، وقد حكى القرآن الكريم هذه الشبهة عنهم في مواضع كثيرة:

- قال الله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾) [سبأ: 7].

أي خاطب الذين كفروا بعضهم بعضًا على جهة التعجّب والاستهزاء: هل نرشدكم إلى رجل - ويعنون بذلك محمّدًا صلى الله عليه و سلم - يخبركم بأمر عجيب

ونبأ غريب وهو أنّكم إذا مزّقتم كلّ ممزّق: أي إذا تفرّقتم كلّ تفريق وقطعتم كلّ تقطيع وصرتم بعد موتكم ترابًا، إنّكم لفي خلق جديد: أي تخلقون خلقًا جديدًا وتبعثون من قبوركم أحياء وتعودون إلى الصورة التي كنتم عليها.[1]

قال الطاهر بن عاشور عن قولهم: " إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ": « إنّ إعادة الحياة للأموات تكون بعد انعدام أجزاء الأجساد، وتكون بعد تفرّقها تفرّقًا قريبًا من العدم، وتكون بعد تفرّق ما، وتكون مع بقاء الأجساد على حالها، وهم أنكروا إعادة الحياة في سائر الأحوال، ولكنّهم خصّوا في كلامهم الإعادة بعد التمزّق كل ممزّق أي بعد اضمحلال الأجساد أو تفرّقها الشديد لقوّة استحالة إرجاع الحياة إليها بعدئذ»[2].

- وقال الله تعالى: (يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢) [النازعات: 10-12].

الحافرة عند العرب اسم لأوّل الشيء وابتداء الأمر، يقال رجع فلان على حافرته: أي على الطريق
الذي جاء منه، ويقال اقتتل القوم عند الحافرة أي عند أوّل ما التقوا .[3]

فقولهم" أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ": أي أنرّد إلى أوّل حالنا وابتداء أمرنا فنصير أحياء بعد موتنا؟[4]

ثمّ أكدّوا هذا الاستبعاد للبعث باستفهام ثان فقالوا: " أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً " : ومعنى نخرة أي بالية متفتتة[5].

" تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ": قال الحسن: أي كاذبة.[6]

• وقال الله تعالى: (بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣) [ق: 2-3].

1- ينظر تفسير ابن كثير 530/5 وروح المعاني للألوسي 109/22 وفتح القدير للشوكاني 413/4.
2- التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور149/22.
1- ينظر فتح القدير للشوكاني 537/4
2- المصدر نفسه .
3- ينظر تفسير الطبري 428/12 وتفسير ابن كثير 206/7 .
4- فتح القدير الشوكاني 375/5 وقال ابن زيد وغيره: معنى خاسرة: أي إن أحيينا بعد موتنا لنخسرنّ إذ سنرد النار لتكذيبنا محمّدًا ÕáÓ¤åÃÙ?¸ìáÕ.

ومعنى قولهم: ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٌ : أي بعثنا وإحياؤنا بعد أن نصير ترابًا بعيد عن العقول والأفهام، والعادة والإمكان.[1]
وقبل الخوض في تفاصيل ما سيق في القرآن الكريم من براهين إبطال هذه الشبهة، لابدّ أوّلا من توضيح مستندها:
إنّ أيّ إنسان يستبعد حصول أمر ما، أو يحكم باستحالته، لابدّ أن يكون مستندًا في حكمه إلى أحد مستندين:

- إمّا أن يكون هذا الأمر من جنس ما يحكم العقل باستحالته ضرورة كالحكم باستحالة اجتماع الضدين وارتفاعهما معًا.
- وإمّا أن يكون هذا الأمر خارجًا عن المعتاد والمألوف بحيث لم يسبق أن وقع، ولا نظيره.

ومن الواضح أنّ إنكار إمكان إحياء الموتى وإعادتهم على صورتهم التي كانوا عليها في الدنيا ليس من جنس ما يحكم العقل باستحالته، فلم يبق إذن كمستند للمكذّبين به إلاّ أنّه خارج عن المعتاد والمألوف من الأمور.
والبراهين التي سيقت في القرآن الكريم لإثبات البعث أبطلت هذا المستند من أساسه من خلال التنبيه إلى ثلاثة حقائق:
الحقيقة الأولى: خلق الإنسان
الحقيقة الثانية: إحياء الأرض الميّتة
الحقيقة الثالثة: خلق السماوات والأرض

أوّلاً: خلق الإنسان
وتكرّر الاستدلال بذلك على البعث في مواضع كثيرة من القرآن الكريم:
1-قال الله تعالى: (وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾) [مريم: 66-67].

أي أو لا يذكر هذا الإنسان الذي يستبعد قدرتنا على إعادة الحياة إلى جسده بعد أن يفنيه الموت أنّا خلقناه من العدم وأوجدناه بعد أن لم يكن ؟ أو ليس عجيبًا إقرار هذا الإنسان بقدرتنا على ابتداء خلقه ثمّ إنكاره قدرتنا على إعادة ذلك بعد موته ؟ وما الذي جعلنا عاجزين عن الثانية وقد قدرنا على الأولى ؟

5- المصدر السابق 71/5 وينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور280/62.

2- قال الله تعالى: (أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾) [يس: 77-79].

ابتدأ سبحانه هذه الآيات بتذكير الإنسان بأصل خلقته، وبأنّه لم يكن في البداية سوى نطفة في ماء مهين، ثم صارت هذه النطفة بقدرة الخالق جلّ في علاه إنسانا سوّيًا يتكلّم ويجادل ويخاصم[1].

ويا لها من نقلة بعيدة بين المنشأ والمصير يعلمها الإنسان من نفسه، ويشهدها في غيره ، وتتكرر ما

لا يحصى عدده من المرات أمام ناظره، ثم ينساها ويستعظم على الذي جعل النطفة بشرًا أن يعيد ذلك مرّة أخرى مع جسد أبلاه الموت.

" وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ "

إنّه لا يمكن أن يسأل هذا السؤال إلاّ إنسان نسي خلق نفسه – وما أعجبه من نسيان- وإلاّ فمجرّد تفكرّ الإنسان في كيفية خلقه كاف في أن يمسك عن مثل هذا السؤال[2].

ويجيء الجواب من الله تعالى مفحمًا أشد ما يكون من الإفحام (قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ) فاحتج بابتداء الخلق على إعادته وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى إذ كلّ عاقل يعلم علمًا ضروريًا أنّ من قدر على هذه قدر على هذه، وأنّه لو كان عاجزًا عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز.

ولمّا كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على مخلوقه وعلمه بتفاصيل خلقه أتبع ذلك بقوله : "وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ " فهو سبحانه عليم بالخلق الأوّل وتفاصيله وجزئياته ومواده وصورته، وهو أيضًا عليم بالخلق الثاني وتفاصيله ومواده وكيفية إنشائه.[3]

3- قال الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ

1- ينظر الكشاف للزمخشري 29/4.

1- ينظر الجامع لتفسير ابن القيّم 482/3

2- المصدر نفسه.

إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧) [الحج: 5-7].

قال ابن القيّم في تقرير دلالة هذه الآية: « يقول سبحانه : إن كنتم في ريب من البعث فلستم ترتابون في أنّكم مخلوقون ، ولستم ترتابون في مبدأ خلقكم من حال إلى حال إلى حين الموت، والبعث الذي وعدتم به نظير النشأة الأولى، فهما نظيران في الإمكان والوقوع، فإعادتكم بعد الموت خلقًا جديدًا كالنشأة الأولى التي لا ترتابون فيها، فكيف تنكرون إحدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها ؟ »[1].

ثانيًا: إحياء الأرض الميّتة

وهذا استدلال على البعث بنظيره، وقد تكرر في مواضع كثيرة من القرآن الكريم:

1- قال الله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧) [الأعراف: 57].

قال الرازي: « المعنى أنّه تعالى كما أحيا هذا البلد بعد خرابه، فأنبت فيه الشجر وجعل فيه الثمر فكذلك يحي الموتى، لأنّ من يقدر على إحداث الجسم، وخلق الرطوبة والطعم فيه، فهو أيضًا قادر على إحداث الحياة في بدن الميّت.

ثمّ قال تعالى : " لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ" أي أنّكم شاهدتم أنّ هذه الأرض كانت مزيّنة وقت الربيع والصيف بالأزهار والثمار، ثم صارت عند الشتاء ميّتة عارية عن تلك الزينة، ثم إنّه تعالى أحياها مرّة أخرى، فالقادر على إحيائها بعد موتها يجب أيضًا كونه قدرًا على إحياء الأجساد بعد موتها، ولمّا لم يمتنع هذا المعنى في إحدى الصورتين وجب ألاّ يمتنع في الأخرى ».[2]

1- الجامع لتفسير ابن القيم 205/3.
2- التفسير الكبير للرازي 128/14.

2- وقال تعالى: (وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾) [فصلت: 39].

قال ابن القيّم عن دلالة هذه الآية: « دلّ سبحانه بما أراهم من إحياء الأرض الميّتة الذي شاهدوه وتحققوه على إحياء الموتى الذي استبعدوه، وذلك قياس إحياء على إحياء ».[1]

ثالثًا: خلق السماوات والأرض

لمّا كان من المقرّر في بداهة العقول أنّ من قدر على خلق الأعظم فإنّه على خلق ما هو دونه في العظمة أقدر، فقد كثر في القرآن الكريم الاستدلال على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى بخلقه سبحانه السماوات والأرض الذي لا يماري أحد في أنّه أعظم من خلق الإنسان.

- قال الله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾) [الإسراء: 99].

- وقال تعالى: (أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾) [يس:81].

- وقال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾)[الأحقاف: 33].

فأخبر سبحانه في هذه الآيات أنّ الذي أبدع السماوات والأرض على جلالتهما وعظم شأنهما وكبر أجسامهما وسعتهما أقدر على أن يحي عظامًا صارت رميمًا فيردّها إلى حالتها الأولى.[2]

وبهذه الحقائق الثلاث التي أشار إليها القرآن الكريم فإنّه لا معنى أبدًا لاستبعاد بعث الموتى وإحيائهم من جديد – فضلاً عن الحكم باستحالته- وكيف يستبعد شيء وقع ما هو أعظم منه وهو خلق السماوات والأرض، ويتكرر مثله ونظيره في كلّ لحظة وحين من خلال خلق الإنسان وإحياء الأرض الميّتة ؟

3- الجامع لتفسير ابن القيم 104/4.

1- المصدر السابق 483/3.

المبحث الثالث
براهين الإيمان بنبوّة محمد صلى الله عليه و سلم

المبحث الثالث
براهين الإيمان بنبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم

تتميّز البراهين الواردة في القرآن الكريم لإثبات هذه المسألة عن غيرها من براهين المسائل السابقة في أنّها ذات دلالة مزدوجة، فهي زيادة على إثباتها لإحدى أهمّ مسائل الإيمان وهي نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم ، فإنّها أيضًا تعدُّ براهين إثبات لجميع المسائل السابق ذكرها، ذلك أنّه متى ثبتت نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم فقد وجب عقلا تصديقه ً في جميع ما أخبر به من أنّ الله تعالى خالق هذا الكون ومالكه والمتصرّف فيه، وأنّه سبحانه وحده المستحق العبادة والتأليه، وأنّه يبعث الناس من قبورهم أحياءًا ليلاقوا جزاء أعمالهم.
هذا فضلاً عن أنّ إثبات هذه المسألة يعدّ حدًّا فاصلاً بين الإسلام وغيره من الأديان الأخرى إذ المفترض أنّ الإيمان بالمسائل السابقة ممّا يشترك فيه – مع المسلمين- اليهود والنصارى.[1]
لهذا جاءت براهين إثبات نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم في القرآن الكريم كثيرة ومتنوّعة ربّما أكثر من غيرها من المسائل الإيمان الأخرى[2]، وهذه البراهين - فيما ظهر لي - قائمة على الاستدلال بثلاثة أمور:

1-الاستدلال بكمال صفات الله تعالى ونعوت جلاله.
2-الاستدلال بسيرته صلى الله عليه و سلم قبل مبعثه.
3-الاستدلال بالقرآن الكريم.
وسأحاول إن شاء الله تعالى بيان هذه الأمور الثلاثة مفردًا لكل واحد منها مطلبا مستقلاً.

المطلب الأوّل

1- أي من حيث التصوّر العام لوجود إله خالق ووجود بعث وجزاء بعد الموت، وإلاّ فمن حيث التفصيل فالتباين شديد بين المسلمين من جهة وبين اليهود والنصارى من جهة أخرى.
2- ينظر الأدلّة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد لسعود العريفي ص 450.

دلالة كمال صفات الله تعالى على نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم

تعدّ هذه الدلالة من أقوى البراهين الواردة في القرآن الكريم لإثبات نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم ، وأجلاها وأقطعها للنزاع، وجاء الاستدلال بها في القرآن الكريم من طريقين:
الطريق الأوّل: دلالة كمال صفات الله تعالى على إثبات جنس النبوّة.
الطريق الثاني: دلالة كمال صفات الله تعالى على إثبات نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم
وبخلاف ما قد يتطرّق إلى الذهن، فإنّ الطريق الأوّل ليس جزءًا من الطريق الثاني ولا مقدمّة له، بل لكلّ واحد منهما دلالته المستقلّة على إثبات نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم ، وبيان ذلك فيما يلي:

أوّلاً
دلالة كمال صفات الله تعالى على إثبات جنس النبوّة

ليس المقصود هنا بيان إمكان النبوّة في ذاتها وجوازها عقلاً، بل المقصود إثبات نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم على التعيين.
وسأذكر في البداية الآيات التي ورد فيها الاستدلال بكمال صفات الله تعالى على إثبات جنس النبوّة، ثمّ أثنّي ببيان وجه كون ذلك دالاً على نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم :

- قال الله تعالى:(مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ) [الأنعام: 91].

قال ابن عباس: « أي ما عظّموا الله حق تعظيمه حين قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ».
وقال أبو العالية: « ما وصفوه حقّ صفته »، وقال الأخفش: « أي ما عرفوه حقّ معرفته».[1]
قال الرازي في تقرير دلالة هذه الآية: « إعلم أنّ كلّ من أنكر النبوّة والرسالة فهو في الحقيقة ما عرف الله حقّ معرفته وتقريره من وجوه :
الأوّل: أنّ منكر البعثة والرسالة إمّا أن يقول: إنّه تعالى ما كلّف أحدًا من الخلق تكليفًا أصلاً، أو يقول إنّه تعالى كلّفهم التكاليف.
و الأوّل باطل لأنّ ذلك يقتضي أنّه تعالى أباح لهم جميع المنكرات والقبائح نحو شتم الله تعالى، ووصفه بما لا يليق به، والاستخفاف بالأنبياء والرسل وأهل الدين، والإعراض عن شكر النعم، ومقابلة الإنعام بالإساءة، ومعلوم أنّ كل ذلك باطل.

1- تنظر هذه الأقوال في التفسير الكبير للرازي 60/13.

وإمّا أن يسلّم أنّه تعالى كلّف الخلق بالأوامر والنواهي فهاهنا لابدّ من مبلّغ وشارع ومبيّن وما ذاك إلاّ الرسول.

الثاني: حدوث العالم يدلّ على أنّ إله العالم قادر عالم حكيم، وأنّ الخلق كلّهم عبيده وهو مالك لهم على الإطلاق وملك لهم على الإطلاق، والملك المطاع يجب أن يكون له أمر ونهي وتكليف على عباده، وأن يكون له وعد على الطاعة ووعيد على المعصية، وذلك لا يتمّ ولا يكمل إلاّ بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فكلّ من أنكر ذلك فقد طعن في كونه تعالى ملكًا مطاعًا، ومن اعتقد ذلك فهو ما قدر الله حقّ قدره».[1]

وذكر ابن القيّم أنّ إرسال الرسل من مقتضيات ألوهية الله تعالى وملكه ورحمته وحكمته:

« أمّا الألوهية فمستلزمة لكونه سبحانه معبودًا مطاعًا، ولا سبيل إلى معرفة ما يعبد به ويطاع إلاّ من جهة الرسل.

أمّا المُلك فإنّه يقتضي التصرف بالقول، كما أنّ المِلك يقتضي التصرّف بالفعل، فالمَلِك هو المتصرّف بأمره وقوله فتنفذ أوامره ومراسيمه حيث شاء.

والمالك هو المتصرّف في ملكه بفعله. والله له المُلك وله المِلك، فهو المتصرّف في خلقه بالقول والفعل. وإرسال الرسل موجب كمال ملكه وسلطانه، فهذا هو المَلِك المعقول في فطر الناس وعقولهم. فكلّ ملك لا تكون له رسل يبثّهم في أقطار مملكته فليس بملك.

ومن كمال رحمته أن يعرّف عباده نفسه وصفاته ويدلّهم على ما يقرّبهم إليه، وما يباعدهم عنه، ويثيبهم على طاعته ويجزيهم بالحسنى وذلك لا يتمّ إلاّ بالرسالة والنبوّة.

وكمال حكمته يأبى أن يترك عباده بمنزلة الأنعام السائمة لا يأمرهم ولا ينهاهم، ولا يرشدهم إلى ما ينفعهم ويحذّرهم ممّا يضرّهم ومن زعم ذلك فما قدره حقّ قدره ولا عرفه حق معرفته ولا عظّمه حق عظمته، بل نسبه إلى ما لا يليق به بل يتعالى ويتنزّه عنه إذ في ذلك إنكار دينه وإلهيته وحكمته ورحمته والظنّ السيئ به أنّه خلق خلقه عبثًا باطلاً وأنّه خلاّهم سدًى وهملاً »[2].

وقد مضى في المبحث السابق بيان اقتضاء حكمة الله تعالى وعدله الثواب والعقاب، ولا يخفى التلازم الوثيق بين الثواب والعقاب وبين إرسال الرسل إذ لا يتصوّر أبدًا وجود أحدهما دون الآخر، لهذا فُسّر قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: 36].

بالأمر والنهي: أي أيحسب الإنسان أن يترك هملاً لا يؤمر ولا ينهى

1- المصدر السابق 61/13.

1- مدارج السالكين لإبن القيّم 94/1 وينظر الجامع لتفسير ابن القيم 165./2

كما فسر بالثواب والعقاب: أي أيحسب الإنسان أن يترك دون ثواب وعقاب[1] .
والقولان واحد كما يقول ابن القيّم إذ الثواب والعقاب غاية الأمر والنهي، فهو سبحانه خلقهم للأمر والنهي في الدنيا وللثواب والعقاب في الآخرة.[2]
وعليه فكلّ ما سبق تقريره هناك من اقتضاء كمال صفات الله تعالى الثواب والعقاب صالح لأن يستدلّ به هنا على إثبات جنس الرسالة والنبوّة.
فوجود الأمر والنهي مستلزم حتمًا الثواب والعقاب وإلاّ كان عبثا.
ولا يمكن أن يكون هناك تواب وعقاب إلاّ مسبوقًا بأمر ونهي وإلاّ كان ظلمًا.
لهذا قال الله تعالى مخبرًا عن عدله في خلقه: (وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾) [الشعراء: 208-209].
أي لم نهلك قرية من القرى إلاّ بعد إرسالنا إليهم رسلاً ينذرونهم بأسنا على كفرهم تذكرة لهم وتنبيها على ما فيه نجاتهم[3] .
وقوله سبحانه " وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ": أي لم نظلمهم بتعذيبنا لهم فقد قدّمنا الحجّة إليهم وأنذرناهم وأعذرنا إليهم.[4]
وقال تعالى: (ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾) [الأنعام: 131].
أي أنّه سبحانه لا يهلكهم قبل إرسال الرسل إليهم فيكون قد ظلمهم، إذ العقاب والإهلاك مترتب على الذنب، وإنّما يكون مذنبًا من خالف أمر الله تعالى ونهيه وذلك إنّما يُعلم بالرسل.[5]
قال الطاهر بن عاشور عند تفسير هذه الآية: « هذا شأن عظيم من شؤون الله تعالى وهو شأن عدله ورحمته ورضاه لعباده الخير والصلاح، وكراهيته سوء أعمالهم، وإظهاره أثر ربوبيته إيّاهم بهدايتهم إلى سبيل الخير، وعدم مباغتتهم بالهلاك قبل التقدّم إليهم بالإنذار والتنبيه»[6].

وباستعراض هذا كلّه يتضح جلّيا أنّه لا يمكن لأحد إنكار إرسال الله تعالى الرسل إلاّ إذا أمكنه الطعن في كمال صفات الله تعالى ونعوت جلاله وهو ما تقدّم بيان بطلانه وامتناعه.

2- ينظر تفسير القرطبي 76/19 وفتح القدير للشوكاني 342./5
3- الجامع لتفسير ابن القيّم 89/5 وينظر تفسير ابن كثير 174/7.
4- ينظر تفسير الطبري 479/9 وتفسير ابن كثير 208/5 .
5- ينظر تفسير القرطبي 95/13 وفتح القدير للشوكاني 119/4.
1- ينظر الجامع لتفسير ابن القيم 183/2.
2- التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور 81/8.

والقرآن الكريم بإقامته البراهين المثبتة لجنس النبوّة يكون قد أقام براهين نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم بأيسر طريق وأوضحه ذلك أنّه ما من أحد يقرّ بجنس النبوّة إلاّ ويلزمه أحد أمرين:
- إمّا أن يقول إنّ الله تعالى لم يرسل أحدًا من الرسل بعد.

- وإمّا أن يقرّ لواحد على الأقلّ من الرسل الذين عرفتهم البشرية بأنّه رسول من الله حقًّا.
أمّا الأوّل فباطل حتمًا إذ يمتنع إثبات جنس النبوّة بمقتضى صفات الكمال الثابتة لله سبحانه وتعالى، ثمّ القول إنّ الله ترك عباده هذه الآلاف من السنين التي مضت منذ خلقهم دون أن يرسل إليهم رسولاً يبصّرهم بالهدى والضلال، والحقّ والباطل، والخير والشر،والصلاح والفساد، مع شدّة الاختلاف بينهم حول تحديد هذه الأمور وحاجتهم الماسّة لمن يأتيهم بالقول الفصل فيها.

وأمّا الثاني فيلزم عنه حتمًا الإقرار بنبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم ذلك أنّه ما من دليل يمكن أن يقام على نبوّة نبي من الأنبياء إلاّ وهو في حق نبيّنا محمّد صلى الله عليه و سلم أقوى وأظهر.

فمن يؤمن بنبوّة موسى إن استدلّ على نبوّته بما ظهر على يديه من المعجزات كانقلاب العصا إلى ثعبان وانفلاق البحر وتفجّر الماء من الصخر،لزمه بناءًا على ذلك الإقرار بنبوّة

محمد صلى الله عليه و سلم. إذ له مثل هذه المعجزات وأكثر، فقد انشق له القمر[1]. ونبع الماء بين أصابعه[2] وكثر القليل من الطعام ببركته حتى كفى الفئام من الناس[3]،

1- روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك « أنّ أهل مكّة سألوا رسول الله ÕìáÜ?ßáÓ¢åÜ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر» وعن عبد الله بن مسعود قال :« انشق القمر على عهد رسول الله ÕìáÜ? شقتين فقال النبي ÕìáÜ?ßáÓ¢åÜ: اشهدوا» صحيح البخاري **كتاب** المناقب **باب** سؤال المشركين أن يريهم النبي ÕìáÜ?ßáÓ¢åÜ آية فأراهم انشقاق القمر 551/4 رقم 3637 و 3636 وذكر الله تعالى ذلك في كتابه فقال: (ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝)[القمر: 1] ينظر تفسير الطبري 11/ .544

2- أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: « كنّا مع رسول الله ÕìáÜ?ßáÓ¢åÜ في سفر فقلّ الماء فقال : اطلبوا فضلة من ماء فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثمّ قال حيّ على الطهور المبارك والبركة من الله. فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ÕìáÜ?ßáÓ¢åÜ » البخاري **كتاب** المناقب **باب** علامات النبوّة في الإسلام 533/4 رقم 3579.

3- البخاري **كتاب** المناقب **باب** علامات النبوّة في الإسلام 532/4 رقم 3578 ومسلم **كتاب** الأشربة **باب** جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك 1282/3 رقم 2040

وحنّ له جذع النخل[1]،إلى غير ذلك من المعجـزات الحسيّة التي تواتر نقلها عنه.[2]
ومثل ذلك يقال أيضًا لمن يثبت نبوّة عيسى استدلالا بمعجزاته من إحياء الموتى وإبراء المرضى.
وإن استدلّ من يؤمن بنبوّة موسى بنصر الله تعالى له وإهلاكه لأعدائه، قيل له: ومحمّد صلى الله عليه و سلم أظفره الله تعالى بأعدائه ومكّن لدينه وأتباعه بما لم يتحقق مثله لأحد قبله ولا بعده.
وهكذا ما من دليل يمكن أن يقام على نبوّة نبيّ من الأنبياء إلاّ ولمحمّد صلى الله عليه و سلم مثله في الدلالة أو أقوى منه.
وعليه فيلزم كلّ من أقرّ لنبي من الأنبياء السابقين بالنبوّة والرسالة أن يقرّ بنبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم وإلاّ كان هذا تناقضًا منه ،وتحكمًا، وتفريقًا بين المتماثلين لا دليل عليه[3] .
و إلى هذا الإلزام الذي لا يمكن لأحد أقرّ بنبوّة نبيّ من الأنبياء السابقين أن يحيد عنه أشار قوله تعالى مخاطبًا نبيّه صلى الله عليه و سلم: (قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ) [الأحقاف: 9] .
والبدع من كلّ شيء المبدأ، أي ما أنا بأوّل رسول فتعجبون من دعوتي[4] بل قد سبقني رسلٌ كثيرون دعوا إلى مثل ما دعوت إليه، وأُيّدوا بجنس المعجزات التي أيّدت بها، وكانوا بشرًا يأكلون ويمشون في الأسواق ليس فيهم مَلَك ولا من نزل معه مَلَك، فما وجه التصديق بهم والتكذيب برسالتي ؟[5]
وأمر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم في هذه الآية بأن يستدلّ عليهم بأنّه ليس بأوّل رسول يُلزمهم بأحد أمرين:
- إمّا أن ينكروا أن يكون قد سبقه رسول فيقولوا ما أنزل الله على بشر من شيء وقد تقدّم بيان بطلانه.

4- عن جابر بن عبد الله « أنّ النبي ﷺ كان يخطب إلى جذع، فلمّا بني المنبر حنّ الجذع فاحتضنه النبي ﷺ فسكن» ينظر دلائل النبوّة لأبي نعيم ص 399 وأصل الحديث في البخاري **كتاب** المناقب **باب** علامات النبوّة في الإسلام 535/4 رقم 3582.

5- تنظر هذه المعجزات في كتاب دلائل النبوّة لأبي نعيم الأصبهاني وكتاب دلائل النبوّة للبيهقي ولا مجال هنا لاعتراض اليهودي أو النصراني بالقول بأنّ هذه المعجزات لا يعتمد عليها لأنّهالم تثبت إلاّ بنقل المسلمين لها، ذلك أنّ معجزات موسى وعيسى عليهما السلام أيضًا ثابتة بالنقل، فلو جاز الشك في معجزات محمّد ﷺ لكان الشك في معجزات موسى وعيسى عليهما السلام أولى إذ منهج المسلمين في النقل لا يضاهيه أبدًا ما عند اليهود والنصارى الذين لا يملكون سندًا واحدًا متصلاً إلى أنبيائهم، ويكفي المسلمين أنّهم حافظوا على القرآن طيلة هذه القرون سالمًا من أي تحريف أو تغيير في حين عجز اليهود والنصارى عن الحفاظ على التوراة و الإنجيل .

6- ينظر كتاب هداية الحيارى في أجوبة لليهود والنصارى لابن القيم ص 270.

1- ينظر فتح القدير للشوكاني 15/5 والتحرير و التنوير للطاهر بن عاشور17/26.

2- ينظر التفسير الكبير للرازي 7/28.

- وإمّا أن يقرّوا بأنّه قد سبقه رسل فيُطالبوا بوجه التفريق بينه وبينهم الذي جعلهم يصدّقون بدعوتهم ويكذّبون برسالته. وهذا ما لا سبيل لهم إليه ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

ثانيًا
دلالة كمال صفات الله تعالى على نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم

يمكن القول عن هذه الدلالة – لشدّة قوتها وظهورها- أنّها شهادة صريحة من ربّ العالمين على صدق نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم ، وتقرير هذه الشهادة في الآيات التالية:

• قال الله تعالى: (قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ) [الأنعام: 19].

ورد في سبب نزول هذه الآية أنّ كفّار مكّة قالوا لرسول الله صلى الله عليه و سلم : يا محمّد أما وجد الله تعالى رسولاً غيرك، ما نرى أحدًا يصدّقك فيما تقول، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنّه لا ذكر لك عندهم بالنبوّة فأرنا من يشهد أنّك رسول الله: فنزلت هذه الآية[1]، وقد ضمّنها الله تعالى أمره لنبيه صلى الله عليه و سلم بأن يحتجّ لنبوّته بشهادة الله تعالى له بها، أي قل يا محمّد أي شيء أكبر شهادة من الله حتى تعترفوا بالنبوّة فإنّ أكبر الأشياء شهادة هو الله سبحانه وتعالى، فإذا اعترفوا بذلك فقل إنّ الله شهيد لي بالنبوّة.[2]

وقال الله تعالى في آية أخرى : (وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾) [الرعد: 43].

أي كفى بالله شاهدًا بصدقي وكذبكم[3] .

وطرق العلم بشهادة الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه و سلم بالنبوّة جاء موّضحًا في آيات أخرى:

• قال الله تعالى: (أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾)[الأحقاف: 8].

3- المصدر السابق 151/12 والتحرير و التنوير للطاهر ابن عاشور166/7 .
1- ينظر التفسير الكبير للرازي 151/12.
2- ينظر تفسير الطبري 409/7.

ففي هذه الآية أمر من الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه و سلم أن يجيب عن زعمهم أنّه افترى القرآن من عنده بالقول " إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا " أي لو أنّي كنت مفتريا هذا القرآن لعاجلني الله بعقوبة الافتراء عليه سبحانه فلا تقدرون على كفّه عزّ وجلّ عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه عنّي.[1]

قال الطاهر بن عاشور في تقرير دلالة هذه الآية: « وجه الملازمة بين الشرط وجوابه في قوله : " إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا " أنّ الله تعالى لا يقرّ أحدًا على أن يبلّغ إلى الناس شيئًا عن الله لم يأمره بتبليغه. وحكمة ذلك أنّ التقوّل على الله يفضي إلى فساد عظيم يختل به نظام الخلق، والله تعالى يغار على مخلوقاته. وليس ذلك كغيره من المعاصي التي تجلبها المظالم والعبث في الأرض لأنّ ذلك إقدام على ما هو معلوم الفساد لا يخفى على الناس فهم يدفعونه بما يستطيعون من حول وقوّة، أو حيلة و مصانعة، وأمّا التقوّل على الله فيوقع الناس في حيرة بماذا يتلقّونه لذلك يزيله الله تعالى ولا يقرّه».[2]

• وقال الله تعالى في آية أخرى : (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾) [الحاقة:44-47].

والتقوّل: نسبة قول لمن لم يقله والمعنى : لو كذب علينا فنسب إلينا ما لم نقل ولو كان بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين[3]

والأقاويل: جمع أقوال الذي هو جمع قول، وجيء بصيغة جمع الجمع للدلالة على كثرة هذه الأقوال، فيكون المعنى: لو نسب إلينا قليلاً ممّا لم نقل من جملة أقوال كثيرة صدق في نسبتها إلينا لأخذنا منه باليمين[4].

وذكر الرازي في معنى قوله: " لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ " ثلاثة أقوال:

الأوّل : معناه لأخذنا بيده ثم لضربنا رقبته، وهذا على سبيل التمثيل بما يفعله الملوك بمن يتكذّب عليهم فإنّهم لا يمهلونه بل يضربون رقبته في الحال.

الثاني: أنّ اليمين بمعنى القوّة والقدرة فمعنى " لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ " أي لسلبنا عنه القوّة.

3- ينظر الكشاف للزمخشري 289/4 وروح المعاني للألوسي 8/26 .
4- التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور15/26.
1- ينظر المصدر السابق 145/29
2- ينظر المصدر نفسه

الثالث: أنّ اليمين بمعنى الحق كما جاء في قوله تعالى (قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾) [الصافات: 28]، أي من قبل الحق، فمعنى " لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ " أي لانتقمنا منه بالحق.[1]

والوتين: عرق يتعلّق به القلب إذا انقطع مات صاحبه فمعنى " لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ " أي لأهلكناه[2]. " فما مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ " أي فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئًا من ذلك.[3]

قال الرازي في تقرير دلالة هذه الآية: « لو نسب محمّد صلى الله عليه و سلم إلينا قولاً لم نقله لمنعناه عن ذلك:

- إمّا بواسطة إقامة الحجّة فنقيّض له من يعارضه فيه وحينئذ يظهر للناس كذبه فيكون ذلك

إبطالاً لدعواه وهدمًا لكلامه.

- وإمّا بأن نسلب عنه القدرة على التكلّم بذلك القول.

وهذا هو الواجب في حكمة الله تعالى لئلا يشتبه الصادق بالكاذب»[4].

وقال الطاهر بن عاشور عن هذه الآية: « هذا استدلال بما هو مقرّر في الأذهان من أنّ الله واسع القدرة وأنّه عليم فلا يقرّ أحدًا على أن يقول عنه كلامًا لم يقله، أي لو لم يكن القرآن منزّلاً من عندنا ومحمّد ادعى أنّه منزّل من قبلنا لما أقررناه على ذلك ولعجّلنا بإهلاكه. فعدم هلاكه صلى الله عليه و سلم دليل على أنّه لم يتقوّله على الله»[5]

● وقال الله تعالى : (أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾) [الشورى: 24].

قال الطاهر بن عاشور في معنى هذه الآية: « أي كيف يكون منك الافتراء على الله والله لا يقرّ أحدًا أن يكذب عليه ؟ فلو شاء لختم على قلبك أي سلبك العقل فتفحم عن الكلام فلا تستطيع أن تتقوّل عليه، ولا حائل يحول دون مشيئة الله ذلك لو افتريت عليه»[6] .

3- التفسير الكبير للرازي109/30
4- ينظر تفسير القرطبي 179/18
5- ينظر تفسير ابن كثير 109/7
1- التفسير الكبير للرازي 30 /109
2- التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور 144/29
3- المصدر السابق86/25

وقال الرازي: « معنى قوله تعالى: " وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦٓ " أنّ من عادة الله تعالى إبطال الباطل وتقرير الحقّ فلو كان محمّد صلى الله عليه و سلم مبطلاً كذّابًا لفضحه الله ولكشف عن باطله ولما أيّده بالقوّة والنصرة، ولمّا لم يكن الأمر كذلك علمنا أنّه ليس من الكاذبين المفترين على الله»[1].

فهذه الآيات كلّها قرّرت بأقوى حجّة وأبلغ برهان أنّ إنكار نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم من أبطل الباطل، إذ يمتنع في حكمة الله تعالى وعدله وعزّته وقدرته أن يترك محمّدًا صلى الله عليه و سلم يكذب عليه ويُضلّ العباد بزعمه أنّه رسول –بل ويجعل أقوى حججه على مخالفيه أنّ الله تعالى شاهد بصدقه- دون أن يعاجله بالعقوبة أو يظهر دلائل كذبه وافتراءه[2].

فلمّا لم يحصل هذا مع محمّد صلى الله عليه و سلم بل حصل نقيضه من نصره وإظهار حجّته وإهلاك مكذّبيه والتمكين لدينه وأتباعه عُلم قطعًا أنّه مرسلٌ من ربّ العالمين.

وقد أفاض ابن القيم في مناظرة جرت له مع أحد اليهود في تقرير هذه الدلالة بما لا مزيد عليه فقال: « جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة فقلت له في أثناء الكلام: أنتم بتكذيبكم محمّدًا صلى الله عليه و سلم قد شتمتم الله أعظم شتيمة أقبح تنقص فكان الكلام معكم في الرسول، والكلام الآن في تنزيه الربّ تعالى. فقال كيف تقول مثل هذا الكلام ؟ فقلت له: اسمع الآن تقريره: أنتم تزعمون أنّه لم يكن رسولاً، وإنّما كان ملكا قاهرًا قهر الناس بسيفه حتى دانوا له، ومكث ثلاثًا وعشرين سنة يكذب على الله ويقول: أوحي إليّ ولم يوح إليه، وأمرني الله تعالى ولم يأمره، ونهاني ولم ينهه، وقال الله كذا ولم يقل ذلك، وأحلّ كذا وحرّم كذا، وأوجب كذا وكره كذا، ولم يحلّ الله ذلك ولا حرّمه ولا أوجبه، بل هو فعل ذلك من تلقاء نفسه كاذبًا مفتريًا على الله وعلى أنبيائه، ثم مكث من ذلك ثلاث عشرة سنة يستعرض عباد الله : يسفك دماءهم، ويأخذ أموالهم ويسترّق نساءهم وأبناءهم، ولا ذنب لهم إلاّ الردّ عليه ومخالفته، وهو في ذلك كلّه يقول: الله أباح لي سبي ذراري من كذّبني وخالفني ، ونساءهم، وغنيمة أموالهم، وقتل رجالهم، في حين أن الله تعالى ما أمره بذلك ولا أباحه له، وهو مع ذلك ساع في تبديل أديان الرسل، ونسخ شرائعهم ومعاداة أممهم، فهذه حاله عندكم، فلا يخلو:

-إمّا أن يكون الربّ تعالى عالمًا بذلك مطلعًا عليه من حاله أم لا.

4- التفسير الكبير للرازي 149/27

5- قال ابن تيمية في كتاب النبوّات « العدل وضع الأشياء مواضعها فمن عدله سبحانه أن يجعل الصادق عليه المبلّغ لرسالته حيث يصلح من كرامته ونصره، وأن يجعل الكاذب عليه حيث يليق به من إهانته وذلّه» النبوّات لابن تيمية ص 295.

فإن قلتم إنّ ذلك جميعه غائب عن الله لم يعلم به ، قدحتم في الربّ تعالى ونسبتموه إلى الجهل المفرط، إذ لم يطّلع على هذا الحادث العظيم ولا علمه ولا رآه.
وإن قلتم: بل كان ذلك بعلمه واطّلاعه ومشاهدته، قيل لكم: فهل كان قادرًا على أن يغيّر ذلك ويأخذ على يده ويحول بينه وبينه أم لا ؟
فإن قلتم: ليس قادرًا على ذلك نسبتموه إلى العجز المنافي للربوبية وكان محمّد صلى الله عليه و سلم وأتباعه أقدر منه على تنفيذ إراداتهم.
وإن قلتم بل كان قادرًا، ولكن مكّنه ونصره وسلّطه على الخلق نسبتموه إلى أعظم السفه والظلم والإخلال بالحكمة. هذا لو كان مخلى بينه وبين ما فعله، فكيف وهو في ذلك كلّه ناصره ومؤيده، ومجيب دعواته ومهلك من خالفه وكذّبه ومصدّقه بأنواع التصديق ومظهر الآيات على يديه التي لو اجتمع أهل الأرض كلّهم على أن يأتوا بواحدة منها لما أمكنهم ولعجزوا عن ذلك. فمن أعظم المحال، وأبطل الباطل، وأبين البهتان أن يجوز على أحكم الحاكمين وربّ العالمين أن يفعل ذلك بالكاذب المفتري عليه الذي هو شرّ الخلق على الإطلاق، ومن جوّز على الله أن يفعل هذا فما آمن بالله قطعًا ولا عرفه ولا هذا هو ربّ العالمين ولا يحسن نسبة ذلك إلى من له مسكة من عقل وحكمة وحجى، ومن فعل ذلك فقد أزرى بنفسه ونادى على جهله»[1].

1- الجامع لتفسير ابن القيم 10/5 وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص .140

المطلب الثاني
دلالة سيرة محمّد صلى الله عليه و سلم قبل البعثة على نبوّته

من المتّفق عليه بين العقلاء أنّ التصديق بخبر أو تكذيبه يعتمد بنسبة كبيرة على حال المخبر به، فليس الخبر الذي ينقله من عرف بالكذب والخداع كالخبر الذي ينقله من عرف عنه الصدق والأمانة، وليس الخبر الذي ينقله الأحمق السفيه كالخبر الذي ينقله العاقل الحليم ، وليس من ينقل خبرًا يحقّق له أغراضًا ومكاسب كمن ينقل خبرًا لا غرض ولا مكسب له فيه ، بل ربّما تعرّض بسببه للأذى والعذاب.

وبالجملة فللنظر في سيرة المخبر وأحواله والبيئة المحيطة به الدور الأكبر في الحكم بصدق أو كذب ما ينقل أو يدّعي، وهذا منهج لا خلاف فيه، وما من أحد إلاّ وهو معتمد عليه ولاجئ إليه في حكمه على كلّ ما يصل إليه من أخبار وحوادث.

وإلى هذا المنهج حاكم القرآن الكريم المنكرين لنبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم فدعاهم إلى النظر في سيرته والتأمّل في أحواله ليقفوا من خلال ذلك على براهين قاطعة تشهد بصدق نبوّته:

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦﴾ [يونس: 16].

فقوله " فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓ" احتجاج عليهم بحاله صلى الله عليه و سلم قبل البعثة، فالهاء في قوله: " مِّن قَبۡلِهِۦٓ" عائدة إلى القرآن ، والمعنى: قد أقمت فيكم قبل نزول القرآن مدّة مديدة قدرها أربعون سنة تحفظون تفاصيل أحوالي وتحيطون خبرًا بأقوالي وأفعالي " أَفَلَا تَعۡقِلُونَ " أي : أفلا يكون لما عرفتم من سيرتي ما يجعلكم تعقلون أنّي لم آت بهذا القرآن من قبل نفسي.[1]

وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٦٩﴾ [المؤمنون: 68-69].

ومعنى " أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ" أي: أكان محمّد صلى الله عليه و سلم غريبا عنهم ومجهولاً عندهم فأنكروا نبوّته وشكّوا في حاله ؟ أو ليس قد عاشروه

1- ينظر روح المعاني للألوسي 86/11 وفتح القدير للشوكاني 431/2.

أربعين سنة وعرفوا من أخلاقه وسيرته ما يجعلون يثقون بخبره ويصدّقون بنبوّته ؟[1]

قال ابن القيم في تقرير دلالة هذه الآية : « دعا الله سبحانه إلى تدّبر القول، وتأمّل حال القائل، فإنّ كون القول كذبًا وزورًا يُعلم من نفس القول تارة وتناقضه واضطرابه وظهور شواهد الكذب عليه، ويُعرف من حال القائل تارة فإنّ المعروف بالكذب والفجور والخداع لا تكون أقواله إلاّ مناسبة لأفعاله، ولا يتأتّى منه من القول والفعل ما يتأتّى من البار الصادق المبرّأ من كلّ فاحشة وغدر وكذب وفجور. بل قلب هذا وقصده وقوله وعمله يشبه بعضه بعضًا، وقلب ذاك وقوله وعمله وقصده يشبه بعضه بعضًا فدعاهم سبحانه إلى تدبرّ القول وتأمّل سيرة القائل وأحواله، وحينئذ تتبيّن لهم حقيقة الأمر، وأنّ ما جاء به أعلى مراتب الصدق»[2] .

وما يلفت النظر ويستدعي التأمّل هو استشهاد الآيتين على نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم بمجمل سيرته قبل البعثة، فلم يرد فيهما تخصيص خُلق دون خلق، ولا فترة من العمر دون أخرى أي أنّ مضمون خطاب الآيتين هو أنّه ليس في كامل الأربعين سنة التي سبقت البعثة أدنى موقف أو حادث أو تصرّف يخدش فيما يليق بالأنبياء من حسن الأخلاق وكريم السجايا، كما ليس فيها أيضًا ما يستدعي الريبة والشك في مصدر ما جاء به محمّد صلى الله عليه و سلم فلم يكن النبي صلى الله عليه و سلم من المطّلعين على سيرة من سبقه من النبيين، ولا عُرف عنه مخالطة أهل الكتاب أو الأخذ عن علمائهم.

وفي هاتين الآيتين إقامة الحجّة على المعاصرين لمحمّد صلى الله عليه و سلم وعلى كلّ من يأتي بعدهم إلى يوم الدين:

أمّا على المعاصرين له فواضح، وأمّا من يأتي بعدهم فمن وجهين :

الأوّل: أنّ مجرّد وجود هاتين الآيتين دليل كاف على كمال أخلاقه ونقاء سيرته صلى الله عليه و سلم إذ لو يكن الأمر كذلك لكان محمّد صلى الله عليه و سلم بهاتين الآيتين قد أقام الحجّة على نفسه وأظهر دليل كذبه وادّعاءه، إذ ليس من المعقول أن يقول من عرف عنه كذب أو خيانة أو غش أو غدر أو تدليس: انظروا إلى ما سبق من سيرتي فإنّه دليل صدقي في أني رسول من عند الله تعالى. ولو فعل والحال هذه لكان بذلك قد سلّط أعداءه عليه ومكّنهم من حجّة يطعنون بها فيه إذ سيقولون: كذبت في يوم كذا وغدرت في يوم كذا وغششت في يوم كذا، بل لو فعل لأدى ذلك إلى أن يتفرّق عنه من آمن به من قومه إذ ليسوا مجانين حتى يبقوا على تصديقهم له وهو يدّعي كذبًا وزورًا نقاء السيرة وحسن الخلق.

1- ينظر الكشاف للزمخشري 189/3 والتفسير الكبير للرازي 103/23.

2- الجامع لتفسير ابن القيم 233/3.

الثاني: أنّ ما نقل إلينا من سيرته صلى الله عليه و سلم قبل البعثة ومن بعض المواقف بعدها كاف في أن نعرف عنه مثل الذي عرف قومه وأن نقف من كمال أخلاقه على مثل الذي وقفوا ،ولا مجال هنا للتعرّض لجميع جوانب ما نقل من سيرته وأحواله قبل بعثته - صلى الله عليه و سلم - لذا سأكتفي بذكر جانبين مهمّين يعتبر كلّ واحد منهما برهانًا قائمًا بذاته على صدق نبوّته صلى الله عليه و سلم :

-الجانب الأوّل: ما عرف عنه من الصدق قبل البعثة:

ففي الصحيح عن عبد الله بن عباس قال: « لمّا نزلت (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾) [الشعراء: 214] . صعد النبي صلى الله عليه و سلم على الصفا فجعل ينادي، يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرّجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو. فجاء أبو لهب وقريش. فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدّقي؟ قالوا: نعم ما جرّبنا عليك إلاّ صدقا [وفي رواية مسلم: ما جرّبنا عليك كذبا] قال : فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت:(تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾) [المسد :1-2]. »[1].

فلهذا الموقف دلالة كبيرة إذ هو أوّلا شهادة صريحة من قومه مجتمعين بأنّه ما عرفوا عنه إلاّ الصدق.

وثانيًا: أنّ هذا الموقف كان بعد البعثة، والهمم والدواعي متوافرة على تكذيبه والتشنيع عليه ومع ذلك لم يستطع قومه إلاّ أن يشهدوا بصدقه.

فيا سبحان الله كيف يصدق رجل مع الناس أربعين سنة إلى حدّ لا يستطيع معه أن يزعم أحدٌ أنّه كذب ولو لمرّة واحدة، ثم يكذب هذه الكذبة الكبيرة ويفتري هذه الفرية العظيمة فيزعم أنّه نبي مرسلٌ من الله تعالى؟

وهل كان كرم طبعه وحسن خلقه مانعًا له من الكذب على الناس ولو لمرّة واحدة في أربعين سنة، ثم غاب عنه هذا الطبع وهذه الأخلاق بين عشيّة وضحاها ودون سابق مقدّمات فكذب على الله؟

وأيّ عقل يستطيع أن يجمع بين هاذين المتناقضين اللّذين لا يمكن أن يجتمعا: رجلٌ يستمر على الصدق أربعين سنة لا يؤثر عنه كذبٌ قط، ثم يكذب وأيّ كذب ،يزعم أنّه رسول من الله ، أوحي إليه بشريعة ناسخة للشرائع قبلها وقاضية عليها؟

1- البخاري **كتاب** تفسير القرآن **باب: (و لا تخزني يوم يبعثون)** 214/6رقم 4770 و مسلم **كتاب** الإيمان **باب** في قوله تعالى:(وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ) 1/ 164 رقم 208.

الجانب الثاني: أنّه صلى الله عليه و سلم **كان أميّا لا يقرأ ولا يكتب :**

وقد ورد التنصيص على هذا الجانب والاحتجاج به على من أنكر نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم في قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: 48].

أي أنّك قبل أن تأتي قومك بهذا القرآن كنت أميّا لا تحسن القراءة ولا الكتابة، فكيف أمكنهم الارتياب في أنّ هذا القرآن الذي حوى من العلوم وتواريخ الرسل والأمم السابقة ما أعجز علماء أهل الكتاب، وحي من الله إليك؟[1]

وتتأكدّ قطعية دلالة أميّة محمّد صلى الله عليه و سلم على نبوّته بالوقوف على بعض ما ورد في القرآن الكريم من الأمور التي تجعل من المستحيل أن يكون صادرا من رجل أميّ لا يقرأ ولا يكتب، وهو ما يأتي بيانه في المطلب الآتي بإذن الله تعالى.

المطلب الثالث

1- ينظر الكشاف للزمخشري 443/3 .

دلالة القرآن على نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم

تعدُّ دلالة القرآن الكريم أوسع الدلالات على نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم وأكثرها تنوّعًا، إذ القرآن الكريم حجّة من الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه و سلم على الخلق عربهم وعجمهم، وعالمهم وجاهلهم، ومتقدّمهم ومتأخرّهم، فلا عجب أن تنوّعت أوجه دلالته بما تقوم به الحجّة على جميع هؤلاء على اختلاف أزمانهم وتفاوت مداركهم ومستوياتهم.

ولو لم يكن في القرآن الكريم إلاّ احتواؤه لما سبق ذكره في المطلبين السابقين من البراهين القاطعة التي لا يملك أحدٌ نقضها لكفى به حجّة على الخلق، فكيف وهو يضيف إلى ذلك كلّه أوجهًا من الدلالة مازال العلماء منذ أربعة عشر قرنا يقفون منها كلّ مرّة على ما يبهر العقول ويأخذ بالألباب ويلجئ إلى الإقرار بأنّ هذا القرآن لا يمكن أبدًا أن يكون من تأليف بشر وأنّه ليس إلاّ وحيًا إلهيًا خالصًا.

وكثرة أوجه دلالة ما في القرآن على مصدره الإلهي يجعل من الصعوبة التطرق إليها كلّها، كما أنّ دلالة بعض هذه الأوجه لا يدركها حقّ إدراكها إلاّ أهل التخصص فيها المتبحرين في علومها لذا فإنّي سأقتصر على وجهين مهمّين أحسب أنّهما كافيان أعظم الكفاية في الدلالة على المصدر الإلهي للقرآن الكريم أوّلاً ثمّ إنّ الوقوف عليهما وإدراك دلالتهما سهل ميسور لكلّ أحد ثانيًا:

الوجه الأوّل: إعجاز القرآن الناس عن الإتيان بمثله.

الوجه الثاني: إخبار القرآن الكريم بالأمور المغيّبة.

أوّلاً
إعجاز القرآن الناس عن الإتيان بمثله

لا يمكن لأحد قرأ القرآن بتدبّر وتمعّن ألا تستوقفه تلك الآيات المنادية باستحالة أن يقدر الناس – ولو اجتمعوا- على أن يأتوا بمثل هذا القرآن :

قال الله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾) [الطور: 33-34].

وقال سبحانه: (قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾) [الإسراء: 88].

وليس القرآن كاملاً فحسب، بل ولا حتى بعشر سور من مثله :

قال الله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾) [هود: 13-14].

بل أكثر من ذلك، ولا حتى سورة من مثله، مع العلم أنّ عدد آيات بعض سوره لا يتعدى الثلاث آيات:

قال الله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾) [يونس: 38].

وواضح أنّ هذه الآيات تضمّنت ردًا على اتهام مشركي قريش لمحمّد صلى الله عليه و سلم بأنّه يفتري هذا القرآن من عنده، ومحتوى هذا الرد خطاب لهؤلاء المشركين يقول: إنّ هذا القرآن لا يستطيع أن يقوله بشر من عنده، لا محمّد صلى الله عليه و سلم ولا غيره ، ودليل ذلك أنّه لو اجتمع إنسكم وجنّكم، وبلغاؤكم وفصحاؤكم فلن يستطيعوا أن يؤلفوا سورة واحدة من مثل هذا القرآن.

ومجرّد صدور هذا التحدي بهذا الأسلوب وبهذه الدرجة من القطع كاف في الدلالة على أنّ هذا القرآن كلام الله تعالى، إذ لا يمكن لإنسان عاقل أن يؤلف كلامًا من عنده ثمّ يورّط نفسه بمثل هذا الإلزام الخطير فيقول لأعدائه المتربصين به الذين لا يتركون فرصة يشنّعون بها عليه وينتقمون بها منه ويقضون من خلالها على دعوته إلاّ انتهزوها: إن استطعتم أن تأتوا بجزء يسير من مثل كلامي فقد ظهرت حجّتكم عليّ وبان كذبي وادّعائي، ولكم في هذا السبيل أن تستعينوا بمن شئتم من بلغاء العرب وشعرائهم وفصحائهم[1].

إنّ مثل هذا التحدّي وبهذا الشكل لا يمكن أبدًا أن يصدر عن بشر إلاّ أن يكون مجنونًا، خاصة و قد اقترن بهذا التحدّي جملة أمور أعطت لدلالته بعدًا آخر جعلها في غاية القوّة والظهور:

1- يقول الشيخ محمّد عبده: « إنّ مثل هذا التحدي لا يمكن أن يصدر عن بشر، فإن بلاد العرب واسعة وسكّانها متوافرون وأطرافها متباعدة، وقد انتشرت الدعوة الإسلامية على لسان الوافدين إلى مكّة إلى جميع الأرجاء، ومن المعلوم أنّ محمّدًا ãáÕ¤åãÁ?¦ìáÕ = لم يسبق له السياحة في نواحي البلاد والتعرّف على رجالها والعلم البشري قاصر عن الإحاطة بما أودع في قوى أمّة عظيمة كالأمّة العربية، ومن المتعذر أن يصدر عن عاقل التزام كالذي التزمه، وشرط كالذي شرطه على نفسه، لغلبة الظنّ عند من له شيء من العقل أنّ الأرض لا تخلو من صاحب قوة مثل قوته، فهذا القضاء الحاسم منه بأنّ البشر لا يستطيعون أن يأتوا بشيء من مثل ما تحدّاهم به ليس قضاءًا بشريًا ». ينظر رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص 148 نقلا عن كتاب مباحث في إعجاز القرآن للدكتور مصطفى مسلم ص 294 .

الأمر الأوّل: أنّ هذا القرآن المتحدى به يتألف من نفس الحروف والكلمات التي يتحدث بها هؤلاء المكذّبون فيما بينهم وينظمون بها قصائدهم وأشعارهم.
الأمر الثاني: أن من تتحدّاهم هذه الآيات حازوا من ضروب التفنّن في الكلام والقدرة على التصرّف فيه القدح المعلى، فهم في هذا الميدان فرسان البلاغة وأرباب البيان.
الأمر الثالث: أنّ من يتلو عليهم هذا التحدّي الذي يزعمون أنّه أتى به من قبل نفسه رجل أميّ لا يقرأ ولا يكتب، وعاش بينهم أربعين سنة لم يكن فيها من جملة البلغاء الذين تتداول أقوالهم وتتناقل قصائدهم وأشعارهم.
الأمر الرابع: أنّ هذا التحدّي ظل يقرع آذان المشككين في مصدر القرآن عشرين سنة، أزرى فيها النبي صلى الله عليه و سلم على أديانهم وسفّه آراءهم وأحلامهم حتى اضطرهم ذلك إلى أن يخوضوا ضدّه حربًا هلكت فيها الأنفس وقطعّت الأرحام وذهبت الأموال ومع هذا كلّه إلاّ أنّ أحدًا من العرب قاطبة لم يستطع أن يأتي ولو بثلاث جمل من مثل آيات القرآن يظهر بها كذب محمّد صلى الله عليه و سلم ويبطل بها نبوّته.
بل لا يزال هذا التحدي قائمًا منذ أربعة عشر قرنا لم يستطع أحدٌ من العرب على اختلاف أديانهم ومللهم ومذاهبهم أن يأتي بمثل هذا القرآن ، بل كلّهم مجمعون على أنّه ليس في كلام العرب قبل الإسلام ولا بعده كلام يشبه هذا القرآن إذ هو نسيج وحده ، فلا هو بالشعر ولا بالنثر.
ولا يمكن أن يوجد تفسير مقبول لهذا العجز المستمر طيلة هذه القرون سوى أنّ هذا القرآن كلام الخالق الذي لا يشبهه ولا يجاريه كلام المخلوقين.

ثانيًا
إخبار القرآن الكريم بالأمور المغيّبة

تنقسم المغيبات التي أخبر عنها القرآن الكريم إلى قسمين: غيوب ماضية وغيوب مستقبلة أمّا الغيوب الماضية فالمقصود بها قصص السابقين من الرسل والأمم من لدن آدم إلى عيسى عليهما السلام، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر هذه القصص والأخبار بتفاصيلها في شهادة واضحة وصريحة على نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم ، إذ إنّ هذه القصص والأخبار كانت مجهولة تمامًا عند أهل مكّة وسائر المشركين من العرب بدليل ورودها في سياق الاحتجاج بها على نبوّة محمد صلى الله عليه و سلم ، كما قال تعالى بعد ذكر قصة نوح (تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾) [هود: 49].

ولم يكن ممكنًا أن يعلمها محمّد صلى الله عليه و سلم إلاّ من أحد طريقين:
-إما أن يقع في يديه كتاب من كتب اليهود أو النصارى فيقرأه ويعلم هذه القصص منه، وهذا منتف لكونه صلى الله عليه و سلم أميّا لا يقرأ.
-وإمّا أن يلازم أهل الكتاب العارفين بهذه القصص فيتعلّم ذلك منهم وهذا أيضًا منتف إذ إنّ مثل هذه التعلّم يحتاج إلى وقت طويل لا يمكن فيه إخفاء خبره عن قومه، وقد أكثر صلى الله عليه و سلم من إيراد هذه القصص والأخبار في سياق الاحتجاج بها لنبوّته فلم يقل أحد من قومه إنّك لازمت فلانا وفلانا فدرست ذلك عليهم، بل حتّى أهل الكتاب على شدة عدواتهم لمحمد صلى الله عليه و سلم لم يقل واحد منهم أنّ محمدا صلى الله عليه و سلم أخذ مافي القرآن عنّا و درسه على علمائنا.
و حتى لو أمكن للمشككين إثارة الشبهات و الشكوك حول مصدر ما ورد في القرآن الكريم من الغيوب الماضية لكونها غيبا نسبيا يخفى على بعض الناس دون بعض، فلن يمكنهم التشكيك فيما ورد في القرآن الكريم من الغيوب المستقبلة التي تعدّ غيبا مطلقا لا يمكن أن يطّلع عليه بشر ، و هي في القرآن كثيرة جدّا أقتصر منها على ما يلي:

قال الله تعالى:(الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ) [الروم: 1-5].

فما تضمّنته هذه الآيات من الإخبار عن انتصار مقبل للروم على من هزمهم لا يمكن أن يقدم عليه إلاّ من يأتيه الخبر بذلك من الله تعالى ، إذ ما يدري محمد صلى الله عليه و سلم أنّ الروم لن يهزموا المرّة القادمة كما هزموا هذه المرّة ، و ماذا لو تكررت هزيمتهم ؟ أليس سينفضّ الناس من حوله و ينتهي أمر دعوته؟ و هل كان محمد من السفه بحيث يقدم على مثل هذا الإخبار الذي لا يمكن لأحد الجزم بحصوله من عدمه ، لا و بل أكثر من ذلك لا يخبر به إخبارا مطلقا بل يقيّده بقوله " فِي بِضۡعِ سِنِينَ" و البضع عند العرب ما دون العشر[1]، أي أنّ مرور تسع سنين دون أن يحقّق الروم نصرا كان كافيا لإظهار كذب محمد صلى الله عليه و سلم و إنهاء دعوته دون أن يتحمّل أعداؤه في سبيل ذلك أدنى مشقّة أوتعب .
و ليس المرء بحاجة إلى أن يراجع كتب التاريخ ، إذ يكفي النصر الذي تحقّق لمحمد صلى الله عليه و سلم و دخول العرب الذين كانوا يعرفون جيّدا معنى " فِي بِضۡعِ سِنِينَ" في دينه فرادى و جماعات دليلا على أنّ ما أخبرت به هذه الآيات قد تحقّق.

1- ينظر تفسير الطبري 163./10

قال الله تعالى:(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩) [الحجر: 9].

و معلوم أنّ هذا الإخبار قد تحقق و حفظ القرآن من أي تبديل أو تغيير طيلة هذه القرون ، وكثير من عوام المسلمين بما فيهم الأطفال فضلا عن علمائهم يحفظونه عن ظهر قلب بل و يستطيعون التعرّف على أدنى خلل يرتكب في كيفية النطق بحروف القرآن و كلماته فضلا عن تغيير بنية هذه الكلمات بحذفها أو استبدالها.

قال الله تعالى: (وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝٢٤) [البقرة:23-24].

فأخبرت هذه الآيات أن أحدا لن يستطيع أن يأتي بمثل هذا القرآن، و حدث هذا فعلا و مرّت حتى الآن أربعة عشر قرنا لم يستطع فيها أحد أن يأتي بكلام يشهد له به العرب أنّه يقارب بلاغة القرآن فضلا عن أن يساويها أو يفوقها.

قال الله تعالى:(قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧) [الجمعة 6-7].

و لو لم يكن في القرآن إلاّ هذه الآية لكفته ، فهي تحد صريح لليهود بأنّهم لن يتمنوا الموت أبدا ، و قد كان كافيا لليهود الذين حاربهم محمد صلى الله عليه و سلم و أخرجهم من ديارهم و ملئت آيات القرآن الذي يتلوه على أصحابه بذمّهم و التشنيع عليهم أن يقولوا : " نتمنّى الموت " فقط هذه الكلمة كانت كافية لأن ينهوا بها دعوة محمد صلى الله عليه و سلم لكنّهم لم يقولوها ، و صدق إخبار القرآن الكريم بأنّهم لن يتمنوا الموت أبدا فهل أكبر من هذا دليلا على أنّ هذا القرآن كلام الله تعالى ؟

إنّ هذه الأوجه من دلالة القرآن على أنّه وحي من الله تعالى إضافة إلى ما احتواه من البراهين القاطعة التي سبق ذكرها تجعله آية على صدق محمد صلى الله عليه و سلم تتضاءل دونها كلّ الآيات الحسيّة التي أكثر المشركون من طلبها لهذا كان جواب الله تعالى على طلبهم المتكرر لآيات خارقة يستدلون بها على أنّ محمدا صلى الله عليه

و سلم رسول من الله تعالى هو توجيههم إلى تدبر هذا القرآن و التأمل فيه فهو أعظم برهان لمن طلب الحق بعيدا عن التعصب و الهوى .

• قال الله تعالى : (وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ)
[العنكبوت 50-51].
فتضمنت هذه الآية الإشارة إلى أنّ في هذا القرآن أعظم الكفاية في الدلالة عل صدق محمد صلى الله عليه و سلم .
ومن لم يكفه هذا القرآن بكلّ ما تضمّنه من الحجج و البراهين ليؤمن ، فلن يؤمن و لو تنزلت عليه الملائكة وكلمه الموتى وحشر عليه كل شيء قبلا، ذلك أنّ عدم إيمانه في هذه الحال ليس بسبب خفاء البراهين أو ضعف الأدلة وإنما هو محض الهوى والعناد و الاستكبار .

ولا بّد في ختام هذا الفصل من الإشارة إلى أمرين مهمين يمكن استخلاصهما عند التأمل في مجموع ما ورد في القرآن الكريم من البراهين:
- **الأمر الأوّل**: اقتصار البراهين الواردة في القرآن الكريم على إثبات ثلاثة مسائل هي الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بنبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم ذلك أنّ من استبانت له صحة هذه المسائل الثلاث فليس في حاجة إلى أن يساق له برهان عقلي لكلّ أمر أو نهي يرد من الله تعالى..
ومن هنا فعلى من يريد أن يسلك منهج القرآن في دعوة النّاس إلى الإيمان أن لا يتعدّى هذه المسائل إلى غيرها عند المناظرة أو الجدال، ذلك أنّ كثيرًا من أهل الزيغ والعناد يحيد عمّا يشهد لهذه المسائل الثلاث من البراهين القاطعة إلى المجادلة في فروع وجزئيات من أحكام الشريعة[1] مطالبًا بالبراهين القاطعة الدالّة على صحّتها وجدواها[2]، والمؤسف أن ينساق كثير من الدعاة إلى جدال عقيم يحاولون من خلاله إثبات قضايا جزئية لأناس من غير المسلمين يرفضون

1- من مثل إباحة تعدّد الزوجات، واشتراط الوليّ للمرأة في النكاح، وتحريم الربّا وغير ذلك من المسائل.

2- لا شكّ أنّ وراء كلّ أمر ونهي يرد في شريعة الله تعالى حكمه ومصلحة يذعن لها أولو العقول والألباب، والمؤمن مطالب ببذل الجهد و استفراغ الوسع لإدراك الحكم والمصالح من كلّ أمر ونهي، فإن ظفر بها كانت زيادة في إيمانه وطمأنينة قلبه، وإلا امتثل هذه الأوامر والنواهي في تسليم تام وانقياد كامل موقنًا بأنّ لها حكمًا ومصالح قصر عقله عن إدراكها، والبون في هذه الحال شاسع بينه وبين من يجعل من إدراك هذه الحكم والمصالح شرطًا في امتثاله لها وانقياده لمقتضاها.

التسليم – أو حتى الخوض- فيما ساقه القرآن الكريم من براهين قاطعة لإثبات الأصول والقضايا الكلّية[1].

- **الأمر الثاني**: البراهين الواردة في القرآن الكريم سهلة الإدراك ليس بينها وبين العقل حاجز يحتاج إلى تكلّف في اختراقه أو مسافة طويلة تحتاج إلى جهد في قطعها، إذ إنّها تعتمد على مقدمات فطرية وبديهية يسلّم لها كلّ أحد، فتجئ نتائجها مفحمة لا يمكن إنكارها ولا التملّص من دلالتها، وعليه فالحجّة قائمة بها على كلّ من بلغتهم مهما اختلفت مداركهم وتفاوتت مستوياتهم.
ورغم أنّ هذه البراهين من المفترض أن تشكلّ بحدّ ذاتها سببا كافيا يجعل المرء ينقاد ويخضع لمقتضيات ما دلّت عليه من المسائل ما دام أدّه الحق، إلاّ أنّ الله تعالى – رحمة منه وفضلاً- ضمّن كتابه الكريم ما يرغّب النّاس في سلوك طريق الإيمان ويرهّبهم من النكوص عنها وذلك بذكر ما يترّتب على الإيمان من الآثار والعواقب المحمودة في الدنيا والآخرة وهي التي أحاول بيانها في الفصل الآتي بإذن الله تعالى.

3- يقول الشيخ البوطي موّجهًا كلامه لمن يستشكل مسألة زواج النبي ÕáÓ¤åÃÚ?¢ìáÕ بتسعة نسوة ويريد أن يجعل من ذلك وسيلة للطعن في نبوّته ما نصّه: « إن كنت لم تفرغ بعد من الإيمان بالله عزّ وجلّ، والإيمان بنبوّة محمّد ÕáÓ¤åÃÚ?¢ìáÕ وبأنّ القرآن كلام الله المنزّل عليه، فلا ينبغي أن تبحث في هذه المسألة الفرعية وأنت لم تفرغ من فهم أصولها بعد، ويجب أن تعلم أنّ المشكلة التي في رأسك ليست في الحقيقة مسألة زواج النبي ÕáÓ¤åÃÚ?¢ìáÕ ، ولكنّها مشكلة عدم الإيمان بوجود الله و بنبوّة محمّد ÕáÓ¤åÃÚ?¢ìáÕ وبأنّ هذا القرآن كلام الله. وخير لك ألا تغالط نفسك فتطوي مشكلتك الكبرى عن النظر والبحث وتذهب تسأل في هذا الأمر الفرعي الذي لو ظللت تسأل عنه مدّة حياتك كلّها لما أقنعك فيه أيّ جواب، بل عد إلى النظر في وجود الخالق ثم في دلائل نبوّة محمّد ÕáÓ¤åÃÚ?¢ìáÕ ، فإذا فرغت من ذلك فلن تجد عندئذ في قصة زواجه أيّ مشكلة تحتاج إلى بحث ». ينظر كتاب كبرى اليقينيات الكونية للشيخ البوطي ص 206 .

الفصل الثالث
آثار الإيمان
في
القرآن الكريم

المقصود من هذا الفصل بيان ما ورد في القرآن الكريم من الآثار والنتائج المترّتبة على الإيمان إذ من رحمة الله تعالى بعباده وتفضّله عليهم أن جعل لإيمانهم جزاءًا وثوابًا وإلاّ فالمفترض أنّ خضوع الخلق لخالقهم واستجابتهم لدعوته يعدّ من الواجبات المفترضة على الخلق ولو لم يكن لهذه الاستجابة جزاء أو ثواب

وما ذكر من آثار للإيمان في القرآن الكريم على قسمين:

-آثار تترتب على الإيمان في الدنيا

-وآثار تترّتب على الإيمان في الآخرة

ومن هنا فإنّ هذا الفصل يشتمل على مبحثين:

-المبحث الأوّل: الآثار الدنيوية للإيمان

-المبحث الثاني: الآثار الأخروية للإيمان

المبحث الأول
الآثار الدنيوية

يمكن إجمال ما ذكر الله تعالى في كتابه الكريم من الآثار المترتّبة على الإيمان في الدنيا في الأمور التالية:

أوّلا : الهداية

الهداية تأتي في القرآن الكريم على معنيين : عام وخاص

- أمّا العام فالمقصود به تبيين الحق وتمييزه من الباطل بأدلّته وشواهده وأعلامه وهذا النوع من الهداية حجّة الله تعالى على خلقه التي أقامها عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: 17].

فمعنى هديناهم هنا: أي بيّنا لهم سبيل الحق وطريق الرشد[1].

وقال سبحانه مخاطبًا نبيّه صلى الله عليه و سلم : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: 52].

أي ببيانك الحق للناس ودلالتهم عليهم وإرشادهم إليه[2].

- وأمّا المعنى الخاص للهداية فهو الجامع لأمرين:

- **الأمر الأوّل**: البصيرة النافذة التي يميّز بها الإنسان الحق من الباطل والصالح من الفاسد.

- **الأمر الثاني**: الإعانة والتوفيق لسلوك طريق الحق والصلاح واجتناب سبل الباطل والفساد.

وهذا النوع الثاني من الهداية هو مناط الفلاح والنجاح إذ الإنسان مفتقر في كلّ لحظة وحين إلى معرفة ما فيه صلاح دنياه وأخراه أوّلاً، ثم هو مفتقر إلى الإعانة على فعل ما علم أنّ فيه الصلاح ثانيًا.

وما فاتت على الناس المصالح وحصلت لهم أضدادها من المفاسد إلاّ من جهة جهلهم بطرق تحصيل الخير والصلاح، أو عجزهم عن سلوك هذه الطرق لضعف هممهم وعزائمهم، وغلبة أهوائهم وشهواتهم.

ومن هنا كانت الهداية بالمعنى الخاص من أجلّ ما تفضّل الله به على عباده المؤمنين:

- قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: 82].

1- ينظر تفسير الطبري 97/11 وأضواء البيان للشنقيطي 125/7

2- ينظر تفسير القرطبي 40/16

• وقال سبحانه: (وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ) [التغابن: 11].

• وقال سبحانه: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨) [الحديد: 28].

قال ابن كثير: « معنى قوله" نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ " أي هدى يتبصّر به من العمى والجهالة»[1].

• وقال سبحانه: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩) [الأنفال: 29].

قال الطاهر بن عاشور: « " المراد بـ" **الفرقان**" هنا كلّ ما فيه مخرج لهم ونجاة من التباس الأحوال وارتباك الأمور وانبهام المقاصد»[2].

ونصيب المؤمنين من هذه الهداية متفاوت تفاوت إيمانهم، فمن كان إيمانه أكمل كان نصيبه من الهداية أتمّ.

1- تفسير ابن كثير 570./6

2- التحرير و التنوير الطاهر بن عاشور 326/9.

ثانيًا: الأمن

لا يكاد يختلف اثنان على أنّ الحياة لا تطيب ولا تسعد إلاّ بالأمن، وأنّه لا قيمة لأن يحوز المرء متع الدنيا ولذّاتها إذا كان يعيش في خوف وتوجس، يتوقع شرًّا أو مصيبة كلّ لحظة وحين.

وقد نصّ الله في كتابه الكريم على أنّ الأمن نصيب عباده المؤمنين وحظّهم دون غيرهم.

فقال سبحانه: (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾) [الأنعام: 82].

فأفاد تقديم الضمير في قوله:" لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ" اختصاصهم به وانتفاءه عمّن عداهم، وقد قال الله تعالى في آية أخرى عن غير المؤمنين: (سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ) [آل عمران: 151].

وكما أنّ الأمن هبة من الله تعالى يمنحها عباده المؤمنين في صورة سكينة تتنزّل على قلوبهم وطمأنينة تعمر أفئدتهم خاصة عند مواطن الشدائد والكروب:

- كما قال تعالى: (لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾) [التوبة:25-26].

- و قال تعالى: (إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٢٦﴾) [الفتح : 26].

فإنّه أيضًا – أي الأمن- نتاج طبيعي للتصوّرات والقيم التي يحملها المؤمنون في ضمائرهم ويجسدونها واقعًا في حياتهم، ويتّضح ذلك بتأمل أسباب الخوف ودواعيه عند الناس والتي يمكن إجمالها في الأمور التالية:

- إمّا الخوف من عدوّ يتهدّد بإلحاق الأذى.

- أو الخوف من فوات الرزق.
- أو الخوف من الموت.

وكلّ واحد من هذه الأمور منتف في حقّ المؤمن، أمّا الأوّل فإنّ من أجلى التصوّرات المغروسة في قلب المؤمن أنّ النفع والضر بيد الله تعالى لا يملك أحد سواه منه شيئًا، ونواصي الخلق كلّهم بيده سبحانه يصرّفهم كيف شاء، وهذا التصوّر كفيل بأنّ يزيل من قلب المؤمن كلّ خوف إلاّ الخوف من الله تعالى.

يضاف إلى ذلك أنّ التخلّق بأخلاق أهل الإيمان يجعل الإنسان في مأمن من أن يكون له عدوّ من الناس أصلاً، إذ هو لا يعتدي ولا يظلم ولا يجور، بل على العكس يرى من الطاعة لربّه والتقرّب له الإحسان إلى الناس والتودد لهم والبرّ بهم والمواساة لهم بالمال والجهد.

- وأمّا الخوف على الرزق: فإنّ يقين المؤمن بأنّ أرزاق الخلائق بيد الله تعالى ينزّلها بقدر معلوم يجعله آمنًا على رزقه مطمئنا إلى أنّ ما قسم له منه واصلٌ إليه لا محالة لا يملك أحدٌ منعه ولا قطعه.

-وأمّا الموت فلولا أنّ المؤمنين يرون في الحياة نعمة من الله تستحق أن تصان، وفرصة للاستكثار من الطاعات و القربات، لما كان شيء أشهى إلى نفوسهم من وقوعه ولا أطيب عندهم من لقاءه، وذلك لما يرجون من الكرامة والنعيم الذي وعدهم به ربّهم سبحانه جزاء ما قدّموا في الدنيا من الإيمان والعمل الصالح.
وها هنا أيضًا ينبغي التنبيه إلى أنّ الأمن يحصل للنّاس بقدر إيمانهم فأقواهم إيمانًا أكثرهم أمنًا.

ثالثًا : الرزق والسعة

يتوّهم كثير من الناس أن طرق تحصيل الرزق لا علاقة لها بالإيمان، وأنّها مقتصرة على ما يعرفون من الوسائل والأسباب المادية، بل ربّما توهموا أنّ الإيمان وتحقيق السعة والرخاء في هذه الدنيا نقيضان لا يجتمعان وأنّ من حصّل أحدهما فاته الآخر ولابدّ.

في حين أنّ القرآن الكريم يقرّر أنّ الإيمان الحقّ من أعظم وسائل تحقيق ما ينشده الناس من سعة ورخاء:

• قال الله تعالى:(فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٥٠) [الحج: 50].

• وقال سبحانه: (وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ) [الطلاق:2- 3].

• وقال سبحانه:(وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٦٥ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ۝٦٦) [المائدة: 65-66].

يقول سيّد قطب عند تفسيره لهذه الآية: « إنّ الله سبحانه يقول لأهل الكتاب- ويصدق القول وينطبق على كل أهل الكتاب- إنّهم لو كانوا آمنوا واتقوا لكفّر عنهم سيئاتهم ولأدخلهم جنّات النعيم، وهذا جزاء الآخرة.

وإنّهم لو كانوا حققوا في حياتهم الدنيا منهج الله الممثل في التوراة والإنجيل وما أنزله الله إليهم من التعاليم- كما أنزلها الله بدون تحريف ولا تبديل- لصلحت حياتهم الدنيا، ونمت وفاضت عليهم الأرزاق، ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم من فيض الرزق، ووفرة النتاج وحسن التوزيع، وصلاح أمر الحياة»[1].

• وقال سبحانه في آية أخرى: (وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٩٦) [الأعراف: 96].

1- في ظلال القرآن 930/2 بتصرّف.

يقول سيّد قطب: « فلو أن أهل القرى آمنوا بدل التكذيب، واتقوا بدل الاستهتار؛ لفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض.. هكذا.. " بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ "

.

والبركات التي يعد الله بها الذين يؤمنون ويتقون، في توكيد ويقين، ألوان شتى لا يفصلها النص ولا يحدّدها وإيحاء النص القرآني يصور الفيض الهابط من كل مكان، النابع من كل مكان، بلا تحديد ولا تفصيل ولا بيان. فهي البركات بكل أنواعها وألوانها، وبكل صورها وأشكالها، ما يعهده الناس وما يتخيلونه، وما لم يتهيأ لهم في واقع ولا خيال!

إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى، بركات في الأشياء، وبركات في النفوس، وبركات في المشاعر، وبركات في طيبات الحياة، بركات تنمي الحياة وترفعها في آن، وقد تكون مع القليل إذا أحسن الانتفاع به، وكان معه الصلاح والأمن والرضى والارتياح، وليست مجرد وفرة مع الشقوة والتردي والانحلال.
فكم من أمة غنية قوية ولكنها تعيش في شقوة، مهددة في أمنها، مقطعة الأواصر بينها، يسود الناس فيها القلق وينتظرها الانحلال. فهي قوة بلا أمن، وهو متاع بلا رضى، وهي وفرة بلا صلاح، وهو حاضر زاهٍ يترقبه مستقبل نكد، وهو الابتلاء الذي يعقبه النكال»[1].
وهذا الذي وُعد به المؤمنون من سعة ورخاء زيادة على أنّه وعد من الله تعالى الذي بيده أرزاق الخلائق ينزّل منها بقدر ما يشاء، فإنّه له أيضًا ما يفسّره من الأسباب والوسائل التي يستطيع البشر إدراكها وربط تحقق السعة والرخاء بحصولها
وهذه الأسباب والوسائل نابعة في الأساس من التصوّر المغروس في قلوب المؤمنين والذي يجعل من وظيفة المؤمن القيام بكل عمل صالح بما في ذلك العمل الدنيوي المنتج المثمر الذي يحقق الرخاء باستخدام مقدّرات الأرض وخاماتها ومواردها.
فالمؤمن لا يساق إلى العمل الدنيوي بضغط من سلطة أو رقابة تشهر عليه سيف التهديد بالجوع والحرمان، وإنّما يندفع إلى العمل الدنيوي بحافز من نفسه وباعث من ذاته.

ذلك الباعث هو الإيمان بالله وبمهمة الإنسان في عمارة الأرض والسيادة على الكون ، والمؤمن لا يكتفي بالاندفاع الذاتي إلى العمل، بل يهمّه أن يجوّده ويتقنّه، ويبذل جهده لإحسانه وإحكامه لشعوره العميق واعتقاده الجازم أنّ الله يرقبه في

1- المصدر السابق 1338/3 و 1339 و 932/2 بتصرّف.

عمله، ويراه في مصنعه أو مزرعته أو في أيّ حال من أحواله، وأنّه لا يرضى من العبد إلاّ أن يقوم بعمله في صورة كاملة متقنة[1].

رابعًا: العزّة والنصرة

تكرّر الوعد بإعزاز المؤمنين ونصرهم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم: فمن ذلك قوله تعالى: (وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) [المنافقون:8].

وقوله تعالى: (مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ) [فاطر: 10].

فقوله: " مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ " ، أي من كان يريد العزّة ويطلبها فليطلبها من الله فللّه العزّة جميعًا، ليس لغيره منها شيء.

وقوله: " إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ " إشارة وبيان لطريق طلب العزّة من الله تعالى، وأنّ ذلك يكون بالقول الطيب والعمل الصالح.

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: « أي من يحب أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة فليزم طاعة الله تعالى»[2].

وقال الطاهر بن عاشور« المعنى : من كان يريد العزّة فانصرف عن دعوة الله إبقاءًا على ما يخاله لنفسه من عزّة فهو مخطئ إذ لا عزّة له، والعزّة الحقّ لله تعالى. وعزّته سبحانه ينال حزبه وأولياءه حظٌّ منها، فلو اتّبعوا أمر الله فالتحقوا بحزبه صارت لهم عزّة الله وهي العزّة الدائمة، فإنّ عزّة المشركين يعقبها ذلّ الانهزام والقتل والأسر في الدنيا، وذلّ الخزي والعذاب في الآخرة، وعزّة المؤمنين في تزايد في الدنيا ولها درجات كمال في الآخرة»[3].

ويقول سيّد قطب عن معنى هذه الآية: « إن العزة كلها لله ،وليس شيء منها عند أحد سواه . فمن كان يريد العزة فليطلبها من مصدرها الذي ليس لها مصدر غيره

1- ينظر في ظلال القرآن للسيد قطب 1338/3. وكتاب الإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوي ص 294 ومابعدها.

1- تفسير ابن كثير 571/5.

2- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 271/22.

؛ ليطلبها عند الله , فهو واجدها هناك وليس بواجدها عند أحد , ولا في أي كذف , ولا بأي سبب، والعزة الصحيحة حقيقة تستقر في القلب قبل أن يكون لها مظهر في دنيا الناس؛ حقيقة تستقر في القلب فيستعلي بها على كل أسباب الذلة والانحناء لغير الله ، حقيقة يستعلي بها على نفسه أول ما يستعلي ، يستعلي بها على شهواته المذلة , ورغائبه القاهرة ، ومخاوفه ومطامعه من الناس وغير الناس . ومتى استعلى على هذه فلن يملك أحد وسيلة لإذلاله وإخضاعه . فإنما تُذل الناس شهواتهم ورغباتهم , ومخاوفهم ومطامعهم . ومن استعلى عليها فقد استعلى على كل وضع وعلى كل شيء وعلى كل إنسان . وهذه هي العزة الحقيقية ذات القوة والاستعلاء والسلطان»[1] .

• وقال الله تعالى: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾) [غافر: 51].

فهذا وعد من الله تعالى لرسله وأتباعهم من المؤمنين بأنّه ناصرهم في الدنيا والآخرة: أمّا في الدنيا فهو المراد بقوله تعالى: " فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا " وأمّا في الآخرة فهو المراد بقوله: " وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ " والأشهاد هم الرسل والملائكة الحفظة والمؤمنون من هذه الأمة ولهذا النصر الذي وُعد به المؤمنون صورٌ شتّى ومظاهر متعدّدة:

قال الرازي: « اعلم أنّ نصرة الله للمحقّين تحصل بوجوه:

أحدها: النصرة بالحجّة، وقد سمّى الله الحجّة سلطانا في غير موضع، وهذه النصرة عامة للمحقين أجمع، ونعم ما سمّى الله هذه النصرة سلطانًا، لأنّ السلطنة في الدنيا قد تبطل، وقد تتبدّل بالفقر والذلّة والحاجة والفتور، أمّا السلطنة الحاصلة بالحجّة فإنّها تبقى أبد الآباد ويمتنع تطرّق الخلل والفتور إليها.

و**ثانيها**: أنّهم منصورون بالمدح والتعظيم، فإنّ الظلمة وإن قهروا شخصًا من المحقين إلاّ أنّهم لا يقدرون على إسقاط مدحه عن ألسنة الناس.

و**ثالثها**: أنّهم منصورون بسبب أنّ بواطنهم مملوءة من أنوار الحجّة وقوّة اليقين، فإنّهم إنّما ينظرون إلى الظلمة والجهال كما تنظر ملائكة السموات إلى أخس الأشياء.

1- في ظلال القرآن 2930/5 بتصرّف.

و**رابعها**: أنّ المبطلين وإن كان يحصل لهم استيلاء على المحقّين، ففي الغالب أنّ ذلك لا يدوم بل يكشف للناس أنّ ذلك كان أمرًا وقع على خلاف الواجب ونقيض الحق.

و**خامسها**: أنّ الظلمة والمبطلين كما يموتون تموت آثارهم ولا يبقى لهم في الدنيا أثر ولا خبر. وأمّا المحقون فإنّ آثارهم باقية على وجه الدهر، والناس يقتدون في أعمال البرّ والخير »[1].

وقال سيّد قطب: « أمّا النصر في الآخرة فقد لا يجادل أحد من المؤمنين بالآخرة فيه، ولا يجد ما يدعوه إلى المجادلة ، وأمّا النصر في الحياة الدنيا فقد يكون في حاجة إلى جلاء وبيان :

إن وعد الله قاطع جازم:" إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا" بينما يشاهد الناس أن الرسل منهم من يقتل ومنهم من يهاجر من أرضه وقومه مكذباً مطروداً ، وأن المؤمنين فيهم من يسام العذاب , وفيهم من يلقى في الأخدود , وفيهم من يستشهد ، وفيهم من يعيش في كرب وشدة واضطهاد ، فأين وعد الله لهم بالنصر في الحياة الدنيا ? ويدخل الشيطان إلى النفوس من هذا المدخل , ويفعل بها الأفاعيل !

ولكن الناس يقيسون بظواهر الأمور ، ويغفلون عن قيم وحقائق كثيرة في التقدير .

إن الناس يقيسون بفترة قصيرة من الزمان , وحيز محدود من المكان . وهي مقاييس بشرية صغيرة فأما المقياس الشامل فيعرض القضية في الرقعة الفسيحة من الزمان والمكان , ولا يضع الحدود بين عصر وعصر، ولا بين مكان ومكان ،ولو نظرنا إلى قضية الاعتقاد والإيمان في هذا المجال لرأيناها تنتصر من غير شك .وانتصار قضية الاعتقاد هو انتصار أصحابها، فليس لأصحاب هذه القضية وجود ذاتي خارج وجودها ، وأول ما يطلبه منهم الإيمان أن يفنوا فيها، ويختفوا هم ويبرزوها !

والناس كذلك يقصرون معنى النصر على صور معينة معهودة لهم , قريبة الرؤية لأعينهم . ولكن صور النصر شتى وقد يتلبس بعضها بصور الهزيمة عند النظرة القصيرة . . إبراهيم وهو يلقى في النار فلا يرجع عن عقيدته ولا عن الدعوة إليها ، أكان في موقف نصر أم في موقف هزيمة ? ما من شك - في منطق العقيدة - أنه كان في قمة النصر وهو يلقى في النار ، كما أنه انتصر مرة

1- التفسير الكبير للرازي 69/27

أخرى وهو ينجو من النار . هذه صورة وتلك صورة . وهما في الظاهر بعيد من بعيد . فأما في الحقيقة فهما قريب من قريب .

وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام , كما نصرها باستشهاده . وما كان يملك أن يودع القلوب من المعاني الكبيرة , ويحفز الألوف إلى الأعمال الكبيرة , بخطبة مثل خطبته الأخيرة التي يكتبها بدمه , فتبقى حافزاً محركاً للأبناء والأحفاد . وربما كانت حافزاً محركاً لخطى التاريخ كله على مدى أجيال »[1] .

خامسًا: السعادة

السعادة في الدنيا مطلب يشترك فيه الناس جميعًا، إلاّ أنّهم يختلفون في طرق تحصيل هذه السعادة ووسائل تحقيقها، وقد نصّ الله تعالى في كتابه الكريم على أنّه لا سعادة لأحد في هذه الدنيا إلاّ بالإيمان فقال سبحانه: (**مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴿٩٧﴾) [النحل: 97].

قال ابن كثير: « هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا و هو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه و سلم من ذكر أو أنثى من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله وإنّ هذا العمل المأمور به مشروع عند الله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عملهُ في الدّار الآخرة والحياة الطيّبة تشتمل وجوه الرّاحة من أيّ جهة كانت»[2].

وقال الرازي: « اعلم أن عيش المؤمن في الدنيا أطيب من عيش الكافر لوجوه:

الأوّل : أنّه لمّا عرف أنّ رزقه إنّما حصل بتدبير الله تعالى، وعرف أنّه تعالى محسن كريم لا يفعل إلاّ الصواب كان راضيا بكلّ ما قضاه وقدّره، وعلم أنّ مصلحته في ذلك، أمّا الجاهل فلا يعرف هذه الأصول فكان أبدًا في الحزن والشقاء.

و**ثانيها**: أنّ المؤمن أبدًا يستحضر في عقله أنواع المصائب والمحن ويقدّر وقوعها وعلى تقدير وقوعها يرضى بها، فعند وقوعها لا يستعظمها بخلاف

1- في ظلال القرآن 3085/5بتصرف.
1- تفسير ابن كثير 234./4

الجاهل فإنّه يكون غافلاً عن تلك المعارف فعند وقوع المصائب يعظم تأثيرها في قلبه.

و**ثالثها**: أنّ قلب المؤمن منشرح بنور معرفة الله تعالى، والقلب إذا كان مملوءًا من هذه المعارف لم يتسع للأحزان الواقعة بسبب أحوال الدنيا، أمّا قلب الجاهل فإنّه خال عن معرفة الله تعالى فلا جرم يصير مملوءًا من الأحزان الواقعة بسبب مصائب الدنيا.

و**رابعها**: أنّ المؤمن عارف بأنّ خيرات الحياة الجسمانية خسيسة فلا يعظم فرحه بوجدانها وغمّه
بفقدانها، أمّا الجاهل فإنّه لا يعرف سعادة أخرى تغايرها فلا جرم يعظم فرحه بوجدانها وغمّه بفقدانها »[1].
ويقول سيّد قطب: « العمل الصالح مع الإيمان جزاؤه حياة طيبة في هذه الأرض . لا يهم أن تكون ناعمة رغدة ثرية بالمال ، فقد تكون به , وقد لا يكون معها . وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة في حدود الكفاية :فيها الاتصال بالله والثقة به والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه . وفيها الصحة والهدوء والرضى والبركة , وسكن البيوت ومودات القلوب . وفيها الفرح بالعمل الصالح وآثاره في الضمير وآثاره في الحياة . . وليس المال إلا عنصرا واحدا يكفي منه القليل , حين يتصل القلب بما هو أعظم وأزكى وأبقى عند الله »[2].

ويقول سبحانه: (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾)
[طه: 123-124].
فنفى سبحانه في هذه الآية عمّن اتبع هداه أن يضل أو أن يشقى، وهذا شامل للدنيا والآخرة.
وأخبر أنّ من أعرض عن دين الله فإنّ له معيشة ضنكى، والضنك: الضيق يقال مكان ضنك أي ضيق.

قال الطاهر بن عاشور: « الضنك في الآية معناه عسر الحال من اضطراب البال وتبلبله»[3].

1- التفسير الكبير للرازي 92/20.
2- في ظلال القرآن 2193./4
3- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 331/16.

وقال الألوسي: « وجه ضيق معيشة الكافر في الدنيا أنّه شديد الحرص على الدنيا متهالك على ازديادها خائف من انتقاصها غالب عليه الشح بها حيث لا غرض له سواها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة »[1].

وقال سيّد قطب: « الشقاء ثمرة الضلال ولو كان صاحبه غارقا في المتاع، فهذا المتاع ذاته شقوة؛ شقوة في الدنيا وشقوة في الآخرة. وما من متاع حرام , إلا وله غصة تعقبه وعقابيل تتبعه وما يضل الإنسان عن هدى الله إلا ويتخبط في القلق والحيرة والاندفاع من طرف إلى طرف لا يستقر ولا يتوازن في خطاه ، والشقاء قرين التخبط ولو كان في المرتع الممرع, فما يشعر القلب بطمأنينة الاستقرار إلا في رحاب الله ، وما يحس راحة الثقة إلا وهو مستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها . فطمأنينة الإيمان تضاعف الحياة طولا وعرضا وعمقا وسعة , والحرمان منه شقوة لا تعدلها شقوة الفقر والحرمان »[2].

- هذه فيما ظهر لي - جملة الآثار الدنيوية التي ذكرت للإيمان في القرآن الكريم، وأهمّ ما يمكن ملاحظته عند تأمّلها هو أنّها تعتبر أهم ما يصبو الناس جميعًا إلى تحقيقه في هذه الدنيا مهما اختلفت مذاهبهم وأديانهم، ولا يمكن أن تجد أحدًا إلاّ وهو ساع في تحصيل جميع هذه الأمور، بل يرى من أعظم الفلاح أن يتحقق له جزء منها، وإنمّا يختلفون في ما يتعاطون من الأسباب والوسائل لتحقيقها.
وعليه فمن سلك طريق الإيمان فلن يفوته شيء ممّا ينشده الناس في هذه الدنيا بل يناله كاملاً موفورًا من الطريق الذي شرعه الله تعالى، ثمّ هو فوق ذلك موعود بجزاء أعظم وحظ أوفر في الآخرة بيانه في المبحث الآتي بإذن الله تعالى.

4- روح المعاني للألوسي 16/. 277.
1- في ظلال القرآن 2355/4 بتصرف.

المبحث الثاني
الآثار
الأخروية

المبحث الثاني
الآثار الأخروية

النصوص القرآنية متواترة على أنّ الإنسان في الآخرة يؤول إلى أحد مصيرين: إمّا النعيم في الجنّة، وإمّا العذاب في النار.

و أهل الإيمان في الدنيا، موعودون في الآخرة بدخول الجنّة والنجاة من النار وهما أمران- وإن كانا مرتبطين واقعًا بحيث أنّ النصوص دالة على أنّ كلّ من نجا من النار دخل الجنّة، وكل من دخل الجنّة فقد نجا من النار- إلاّ أنهما في ميزان الربح والخسارة أمران منفصلان ذلك أنّ النّجاة من النار تعدّ بحد ذاتها فوزًا ولو قدّر ألاّ يقترن بها دخول الجنّة، وعدم دخول الجنّة يعدّ خسارة كبرى ولو قدّر ألاّ يقترن بذلك العذاب في النار.

ويتضح ذلك باستعراض حقيقة كل واحد من هذين الأمرين على التفصيل الذي ورد في القرآن الكريم.

أوّلاً: النجاة من النار

المؤمنون باعتبار نجاتهم في الآخرة من النار على قسمين:

1- القسم الأوّل: ينجون من النار نجاة مطلقة بحيث لا يدخلونها أبدًا ولا يجدون عذابها.

قال الله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾) [الأنبياء: 101-102].

أي أنّ من سبقت لهم من الله السعادة بأن وفّقوا في الدنيا للإيمان والعمل الصالح. أولئك مبعدون عن نار جهنّم بعدًا شديدًا بحيث لا يلفحهم حرّها، ولا يروعهم منظرها ولا يتألمون بسماع أصواتها[1].

والحسيس: الصوت الذي يبلغ الحس أي الصوت الذي يسمع من بعيد[2].

وجملة " لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ " بيان لمعنى " مُبۡعَدُونَ" [3]

وقال الله تعالى: (وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦١﴾) [الزمر: 61].

ومعنى " بِمَفَازَتِهِمۡ" أي بفلاحهم، يقال فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده منه[4].

ثم فسّرت هذه المفازة بقوله " لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ " كأنّه قيل ما مفازتهم؟ فقيل " لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ " أي ينجّي الله الذي اتقوه في الدنيا ففعلوا ما أمرهم به واجتنبوا ما نهاهم عنه، من عذاب جهنّم فلا يمسهم من أذاها شيء ولا هم يحزنون على ما فاتهم من آراب الدنيا إذ صاروا إلى كرامة الله ونعيم الجنان[5].

1- ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 156/17.
2- المصدر نفسه.
3- المصدر نفسه.
4- ينظر الكشاف للزمخشري 135/4.
5- ينظر تفسير الطبري 21/11 والكشاف للزمخشري 135/4.

وقال الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١) [الصف: 10-11].

وأهل النجاة المطلقة من النار هم أهل الإيمان الكامل الذين صدّقوا بما جاء عن الله تعالى و امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، أو قصّروا في شيء من ذلك ففرّطوا في بعض الأوامر وارتكبوا بعض المحظورات، لكنّ حسناتهم أكثر من سيئاتهم، فترجح كفّتها في الميزان يوم القيامة فيدخلون الجنّة دون أن يمسّهم من العذاب شيء.

كما قال الله تعالى: (وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ۝٩) [الأعراف: 8-9].

أي أنّ من ثقلت كفّة حسناته في الميزان على كفّة سيئاته كان من المفلحين الذين يدخلون الجنّة، ومن ثقلت كفّة سيئاته دخل النار.

ومثل ذلك قوله تعالى: (فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١) [القارعة: 6-11].

فإن قيل: فما وجه الجمع بين ما دلّت عليه هذه الآيات من نجاة المؤمنين في الآخرة من دخول النار، وبين قوله تعالى: (وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ۝٧٢) [مريم: 71-72] ، الدال على أنّ النّاس كلّهم يردون النار يوم القيامة، ثمّ ينجّى المؤمنون ويترك الظالمون؟ فالجواب أن يقال: إنّ أئمّة التفسير اختلفوا في معنى الورود المذكور في الآية، وحاصل ما ذكروا من الأقوال فيه ما يلي[1]:

1- تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري 364/8 وتفسير ابن كثير 476/4 والتفسير الكبير للرازي 220/21 وزاد المسير لإبن الجوزي 177./5

- **القول الأوّل**: أنّ المقصود بورود النار المذكور في هذه الآية دخولها بدليل قوله تعالى في الكفّار: (إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾) [الأنبياء: 98].

وقال سبحانه عن فرعون: (يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴿٩٨﴾) [هود: 98].

وذهب أصحاب هذا القول إلى أنّ النّاس كلّهم يدخلون النار إلاّ أنّها تكون بردًا وسلامًا على المؤمنين فلا يجدون عذابها واستدلوا لذلك بما رُوي عن جابر τ قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : **« الورود الدخول، لا يبقى برّ ولا فاجر إلاّ دخلها، فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم حتّى إنّ للنّار ضجيجًا من بردهم، ثمّ ينّجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا»**[1] .

- **القول الثاني**: أنّ ورود النار المذكور في الآية لا يستلزم دخولها، بل معناه الإشراف والاطلاّع، وذلك أنّ النّاس جميعًا يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنّم فيرونها وينظرون إليها، ثم ينّجي الله الذين اتقوا ممّا نظروا إليه ويصار بهم إلى الجنّة ويؤمر بالظالمين إلى النار.
واحتج أصحاب هذا القول على أنّ الورود لا يعني الدخول بقوله تعالى عن موسى υ :(وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ) [القصص: 23] ، أي أشرف عليه لا أنّه دخل فيه. ويقال وردت القافلة البلدة وإن لم تدخلها.
- **القول الثالث**: أن قوله تعالى: " وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ " خطاب للكفّار لا يدخل فيه المؤمنون والدليل على ذلك السياق الذي وردت فيه هذه الآية، حيث سبقت بقوله تعالى عن الكفّار: (فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾) [مريم: 68-70].

1- رواه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان **باب** في أنّ دار المؤمنين ومآبهم الجنة 572/1 وقال اسناده حسن والحاكم في المستدرك كتاب الأهوال 630/4 رقم 8744 وصححه ووافقه الذهبي وعزاه ابن كثير في تفسيره للإمام أحمد وقال حديث غريب وضعفه الألباني كما في السلسلة الضعيفة 304/10 رقم 4761.

وعليه فالكاف في قوله :" وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا " راجعة إلى الهاء في قوله :" فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ، وقد رُوي أنّ ابن عباس كان يقرأ هذه الآية " **وإن منهم إلاّ واردها** " بالهاء.

وقد ورد مثل هذا الرجوع بالكاف إلى الهاء في قوله تعالى: (عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾) [الإنسان: 21-22].

والمعنى: إنّ هذا كان لهم جزاءًا وكان سعيهم مشكورًا.

قال الطاهر بن عاشور منتصرًا لهذا القول: « ليس الخطاب في قوله:" وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا " لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم بحيث يقتضي أنّ المؤمنين يردون النار مع الكافرين ثمّ ينجون من عذابها، لأنّ هذا معنى ثقيل ينبو عنه السياق، إذ لا مناسبة بينه وبين سياق الآيات السابقة، ولأنّ فضل الله على المؤمنين بالجنّة وتشريفهم بالمنازل الرفيعة ينافي أن يسوقهم مع المشركين مساقًا واحدًا، وقد قال تعالى: (يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾) [مريم: 85-86] ، وهو صريح في اختلاف حشر الفريقين.

فموقع هذه الآية هنا كموقع قوله تعالى: (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾)[الحجر: 43]. عقب قوله:(إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾) [الحجر: 42].

فلا يتوهم أنّ جهنّم موعد عباد الله المخلصين مع تقدم ذكره لأنّه ينبو عنه مقام الثناء »[1].

- **القول الرابع**: أنّ الورود هنا لا يعني الدخول، وإنّما المراد به المرور على الصراط وهو الجسر الذي ينصب فوق جهنّم يوم القيامة، فيجتازه المؤمنون إلى الجنّة سالمين، وتتخطّف الكلاليب التي حوله من يستحق العذاب من أصحاب الذنوب والمنافقين.

1- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 150./16

فعن أبي سعيد الخذري τ قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « **يضرب الجسر على جهنّم وتحلّ الشفاعة، قيل يا رسول الله: وما الجسر؟ قال : دحض مزّلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمرّ المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلّم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنّم** »[1].

هذا حاصل ما ذكر في تفسير هذه الآية من الأقوال، وهي على اختلافها مجمعة على أنّ المؤمنين لا يصيبهم من عذاب النار شيء، وعليه فلا تعارض بين ما تضمّنته هذه الآية وبين ما سبق تقريره في الآيات السابقة من نجاة المؤمنين من عذاب النار في الآخرة.

2- القسم الثاني : من المؤمنين لا ينجون من دخول النار، ولكن ينجون من الخلود فيها وهؤلاء هم من كان معهم أصل الإيمان، لكن يأتون يوم القيامة بذنوب ومعاصٍ كثيرة ترجح بها كفّة السيئات في الميزان على كفّة الحسنات، فيعذبون في النار بقدر هذه الذنوب الزائدة، ثم يخرجون ويدخلون الجنّة.

قال الله تعالى: (رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢) [الحجر:2].

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « إذا كان يوم القيامة، واجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة ألستم مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فسمع الله ما قالوا: فأمر بكلّ من كان أهل القبلة في النار فأخرجوا، فقال من في النار من الكفار: يا ليتنا كنّا مسلمين ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم : (الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢) [الحجر:1-2] »[2].

- وقال الله تعالى: (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ۝١٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٧)[هود:106-107].

1- البخاري **كتاب** التوحيد **باب** قول الله تعالى:(وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣) [القيامة: 22-23]. 540/8 رقم 7439 ومسلم **كتاب** الإيمان **باب** معرفة طريق الرؤية 145/1 رقم.183

2- سبق تخريجه ص 24 هامش 2 .

فالاستثناء في قوله:" إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ " عائد على العصّاة من الوّحدين، أي أنّهم مستثنون من الخلود في النار الذي دلّ عليه قوله تعالى: " خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ" .

والقول بعودة الاستثناء على العصّاة من الموّحدين هو قول ابن عباس والحسن وقتادة والضحّاك، واختاره أكثر المفسرين[1].

ويشهد لصحّة هذا التفسير أحاديث كثيرة وردت عن النبي صلى الله عليه و سلم تفيد بأنّ العصاة من المؤمنين يخرجون من النار ولا يخلدون فيها:

فعن أنس τ قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : **« يخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله وفي قلبه وزن برّة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»**[2] .

وعن أبي سعيد الخذري قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : **« يدخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسوّدوا فيلقون في نهر الحيا أو الحياة – شكّ مالك[3]- فينبتون كما تنبت الحبّة في جانب السيل»**[4].

وللوقوف على عظم منّة الله تعالى على أهل الإيمان بإنجائهم في الآخرة من دخول النار أو من الخلود فيها، لابدّ من استعراض بعض ما جاء في القرآن الكريم من صفة هذه النار وما تحويه من مختلف أنواع العذاب والنّكال، ومن ذلك:

- قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦) [التحريم: 6].

1- كما نصّ على ذلك ابن كثير في التفسير 578/3.

2- البخاري **كتاب** الإيمان **باب** زيادة الإيمان ونقصانه 20/1 رقم 44 ومسلم **كتاب** الإيمان **باب** أدنى أهل الجنّة منزلة فيها 155/1 رقم 193.

3- هو الإمام مالك ابن أنس أحد روات هذا الحديث.

4- البخاري **كتاب** الإيمان **باب** تفاضل أهل الإيمان في الأعمال 13/1 رقم 22 .ومسلم **كتاب** الإيمان **باب** إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار 147/1 رقم 184.

4- البخاري **كتاب** الإيمان **باب** تفاضل أهل الإيمان في الأعمال 13/1 رقم 22 .ومسلم **كتاب** الإيمان **باب** إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار 147/1 رقم 184.

ومعنى " وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ " أي حطبها الذي يلقي فيها جثث بني آدم والحجارة، وعن ابن مسعود : أنّ هذه الحجارة من الكبريت الأسود.

قال القرطبي: « خصّت بكونها من الكبريت الأسود لأنّها تزيد على جميع الأحجار بخمسة أنواع من العذاب: سرعة الاتقّاد، ونتن الرائحة، وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوّة حرّها إذا حميت»[1].

ومعنى " عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ " أي أنّ الملائكة الموكلين بتعذيب أهل النار غلاظ القلوب لا يرحمون إذا استرحموا، شداد الأجسام[2]، قال ابن عباس: "ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة، وقوّة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنّم"[3].

- وقال الله تعالى: (وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾) [الواقعة: 41-44].

والسموم: الريح الحارّة التي تدخل في مسامّ البدن[4].
والحميم: الماء الحارّ الذي قد انتهى حرّهُ[5].

قال القرطبي: « إذا أحرقت النار أكبادهم وأجسامهم فزعوا إلى الحميم، كالذي يفزع من النار إلى الماء ليطفئ به الحرّ، فيجده حميمًا حارًا في نهاية الحرارة والغليان »[6].

ومعنى " وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ " أي ظل من دخان جهنّم أسودًا شديد السواد[7].

" لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ " أي ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر[8].

1- تفسير القرطبي 164/1.
2- ينظر فتح القدير للشوكاني 253/5.
3- ينظر تفسير القرطبي 128/18.
4- ينظر تفسير للنسفي 263/4.
5- المصدر نفسه.
6- تفسير القرطبي 138/17.
1- ينظر معالم التنزيل للبغوي 260/4.
2- المصدر نفسه.

- وقال الله تعالى: (بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴿١٣﴾) [الفرقان: 11-13].

عن ابن عباس ψ قال: "إنّ العبد ليجرّ إلى النار، فتشهق إليه شهقة البغلة إلى الشعير، ثم تزفر زفرة لا يبقى أحدٌ إلاّ خاف"[1].

ومعنى" وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا " أي أنّ دخول أهل النار النار يشبه الدخول في مكان في غاية الضيق، عن عبد الله بن عمر: قال:" مثل الزجّ في الرمح"[2].

ومعنى " مُّقَرَّنِينَ" أي مكتفين، وقيل مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال[3].

- وقال تعالى: (وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴿٨﴾) [الملك: 6-8].

ومعنى " سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا " أي صياحًا من الحنق عليهم[4].

ومعنى " تَفُور" أي تغلي بهم كما يغلي الحبّ القليل في الماء الكثير[5].

" تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ " أي تكاد ينفصل بعضها من بعض، من شدّة غيظها عليهم وحنقها بهم[6].

- وقال تعالى: (إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾) [المزمل: 12-13].

و"**الأنكال**" : القيود، والجحيم: النار المؤججّة[7].

3- ينظر تفسير ابن كثير 138/5.
4- ينظر الدرّ المنثور للسيوطي 144/11.
5- ينظر تفسير ابن كثير 138/5 وتفسير القرطبي 8./13
6- ينظر تفسير ابن كثير 70/7.
7- المصدر نفسه.
1- المصدر نفسه.
2- ينظر تفسير الطبري 288/12.

ومعنى " **وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ** " أي طعامًا ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج[1].

- وقال الله تعالى: (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧**) [الغاشية: 2-7].

" **الضريع** ": نبت ذو شوك لاصق بالأرض يسمّى الشبرق إذا كان رطبًا، فإذا يبس فهو الضريع، لا تقربه دابّة ولا بهيمة ولا ترعاه، وهو أخبث الطعام وأشنعه[2].

وقيل: " **الضريع**" طعام يضرعون عنده ويذّلون، ويتضرعون إلى الله تعالى طلبًا للخلاص منه، وسمّي بذلك لأنّ آكله يضرع في أن يعفى منه لكراهته وخشونته[3].

وخشونته[3].

- وقال تعالى: (**ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٥٣**) [الواقعة: 51-53].

والزقّوم مشتقة من التزقم وهو البلع على جهد لكراهتها ونتنها[4].

وقد جاء وصف هذه الشجرة في آية أخرى حيث قال تعالى: (**أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥**) [الصافات: 62-65].

وشبهت ثمار هذه الشجرة برؤوس الشياطين إظهارًا لقبحها إذ يقال لكل قبيح هو كصورة الشيطان.

وعن ابن عباس أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: **« لو أنّ قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه »**[5].

3- ينظر تفسير النسفي 4/.371

4- ينظر تفسير القرطبي 21/20.

5- المصدر السابق 22/20.

6- المصدر السابق 58/15.

1- الترمذي **كتاب** صفة جهنّم عن رسول الله ÕéÌ?¢ åÜÑÈ?¢ åÓ¢ **باب** ما جاء في صفة شراب أهل النار 609/4 رقم 2585. وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه **كتاب** الزهد **باب** صفة النار 1446/2 رقم 4325 .والحاكم في المستدرك **كتاب** التفسير – سورة البقرة - 322/2 رقم 3158 وصححه ووافقه الذهبي.

- وقال الله تعالى : (وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾) [إبراهيم: 15-17].

قال ابن عباس: الصديد ما يسيل بين جلد الكافر ولحمه[1].

ومعنى " يَتَجَرَّعُهُ" أي يتحساه جرعًا لا مرّة واحدة لمرارته وحرارته[2] .

" وَلَا يَكَادُ يُسِيغُه " أي لا يكاد يبتلعه[3].

ومعنى" وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ" أي تأتيه أسباب الموت من كلّ جهة عن يمينه وشماله، ومن فوقه وتحته، ومن قدّامه وخلفه، وكل نوع من أنواع العذاب يأتيه يقتضي أن يموت منه لشدّته إلاّ أنّه لا يموت[4].

" وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ " أي وله من بعد هذه الحال عذاب آخر أغلظ من الذي قبله وأدهى وأمرّ[5].

- وقال الله تعالى: (هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾) [الحج: 19-22].

معنى " قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ " أي سويت وفصّلت لهم ثياب من نار، وعن سعيد بن جبير أنّها من نحاس وهو أشدّ الأشياء حرارة إذا حمي[6].

" يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ " أي أنّ الحميم وهو الماء الحار إذا صُبّ فوق رؤوسهم أذاب ما في بطونهم من الشحم والأمعاء.

2- ينظر الدرّ المنثور للسيوطي 8/.503
3- ينظر تفسير القرطبي 9/.231
4- المصدر نفسه.
5- ينظر تفسير ابن كثير 116/4.
1- المصدر نفسه.
2- ينظر تفسير القرطبي 19/12.

عن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : **« إنّ الحميم ليصبّ على رؤوسهم فينفد الحميم حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر، ثم يعاد كما كان»[1].**

" وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ " أي مطارق يضربون بها ويدفعون[2].

" كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا" قال زيد بن أسلم في قوله " مِنۡ غَمٍّ" بلغني أن أهل النار في النار لا يتنفسون[3].

وقال الفضيل بن عياض: **«** والله ما طمعوا في الخروج، إنّ الأرجل لمقيّدة، وإنّ الأيدي لموثّقة، ولكن يرفعهم لهبها وتردهم مقامعها**»[4].**

" وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ" " أي أنّهم يهانون بالعذاب قولاً وفعلاً [5].

- وقال الله تعالى: (إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾) [الزخرف: 74-75]

ومعنى " لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ " أي لا يخفّف عنهم ذلك العذاب ولو لساعة واحدة.

ومعنى " وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ " أي آيسون من كلّ خير أو رحمة [6].

- ومثل ذلك قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾) [فاطر: 36] .

وسأقتصر على ما ذكرت من الآيات في وصف النار إذ استيعاب جميع ما ورد في القرآن الكريم من ذلك يطول جدًا، وأحسب أنّ هذا الذي ذكر كاف في الدلالة على أنّ النجاة من دخول النار أو حتى من الخلود فيها بعدّ بحدّ ذاته من أعظم

3- الترمذي **كتاب** صفة جهنم عن رسول الله ρ **باب** ما جاء في شراب أهل النار 607/4 رقم 2582. وقال حسن صحيح غريب وحسنّه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 3470.

4- ينظر الدرّ المنثور للسيوطي 444/10.

5- المصدر السابق 445./10

1- المصدر نفسه.

2- ينظر تفسير ابن كثير 626/4.

3- ينظر تفسير الطبري 212./11

الفوز والفلاح فكيف إذا اقترن ذلك بدخول الجنّة التي ذكر في القرآن الكريم من صفتها ما يبهر العقول ويأخذ بالألباب أحاول بيان شيء منه فيما يلي.

ثانيا : دخول الجنة

أخبر الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه الكريم أن جزاء عباده المؤمنين أن يدخلهم الجنّة يوم القيامة:

- قال الله تعالى: (وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ) [البقرة: 25].

- وقال تعالى: (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢) [النساء:122].

- وقال تعالى: (وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ١٢٤) [النساء: 124].

- وقال تعالى: (وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣) [النساء:13].

وما تحويه الجنّة من ألوان النعيم مفصّل في آيات كثيرة تدلّ بمجموعها على أنّ دخول الجنّة هو أكبر وأعظم جزاء يمكن أن يحصل عليه إنسان، وأنّ أي حياة للمرء على هذه الأرض إن لم يعقبها دخول الجنّة فهي أكبر الحرمان والخسران.

وقد جاء بيان القرآن الكريم لصفة الجنّة على قسمين: مجمل ومفصّل:
فمن المجمل:

1- ما أخبر به سبحانه من أنّ ما في الآخرة أفضل من الدنيا:

قال الله تعالى: (بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧) [الأعلى: 16-17].

أي أنّ الآخرة خير من الدنيا في نوعها، وأبقى منها في أمدها[1].

وقال تعالى: (فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٣٨﴾) [التوبة: 38].

أي فما الذي يستمتع به المتمتعون في الدنيا من عيشها ولذاتها في مقابل نعيم الآخرة إلاّ يسير[2].

وفي الصحيح أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: « **والله ما الدنيا في الآخرة إلاّ مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه – وأشار بالسبابة- في اليم فلينظر بم ترجع** »[3].

2-ما أخبر به سبحانه من أنّ لأهل الجنّة جميع ما تشتهي أنفسهم:

- قال الله تعالى: (جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾) [النحل:31].

- وقال سبحانه: (لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ﴿١٦﴾) [الفرقان: 16].

- وقال سبحانه: (يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾) [الزخرف: 71].

وفي الصحيح أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: « **إنّي لأعرف آخر أهل النار خروجًا من النار، رجل يخرج منها زحفًا فيقال له: انطلق فادخل الجنّة. قال فيذهب فيدخل الجنّة فيجد النّاس قد أخذوا المنازل فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول نعم. فيقال له تمنّ فيتمنى ويذكره الله سل كذا وكذا. فإذا انقطعت به الأماني قال الله هو لك وعشرة أمثاله**»[4].

وعن بريدة بن الحصيب:« **أنّ رجلاً سأل النبي** صلى الله عليه و سلم **: هل في الجنّة من خيل؟ قال: إن الله أدخلك الجنّة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك في الجنّة حيث شئت. قال وسأل رجل فقال يا رسول الله هل في**

1- في ظلال القرآن لسيّد قطب 3894./6

1- ينظر تفسير الطبري 372/6.

2- مسلم **كتاب** الجنّة وصفة نعيمها وأهلها **باب** فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة 1738/4 رقم 2858.

3- مسلم **كتاب** الإيمان **باب** آخر أهل النار خروجًا 149/1 رقم 186 و**باب** أدنى أهل الجنّة منزلة فيها 150/1رقم 188 .

الجنّة من إبل قال فلم يقل له مثل ما قال لصاحبه. قال إن يدخلك الله الجنّة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذّت عينك »[1].

3- ما أخبر به سبحانه من سلامة الجنّة من الآفات والمصائب وأنّ أهلها لا ينصبون فيها ولا يحزنون:

- قال الله تعالى: (وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾) [يونس: 25].

ودار السلام هي الجنّة، وسميت كذلك لسلامتها من كلّ بلية وآفة ومكروه[2].

وقال سبحانه: (إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾) [الدخان: 51].

والمقام الأمين هو الجنّة ذلك أنّ أهلها آمنون فيها من كلّ مكروه[3].

- وقال سبحانه عن أهل الجنّة: (وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾) [فاطر: 34-35].

والنصب: المشقّة والتعب، واللغوب: الإعياء والعناء[4].

وفي الصحيح أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: **« ينادي منادٍ: إنّ لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا فذلك قوله Y : (وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾) [الأعراف: 43] »[5].**

4-ما أخبر به سبحانه من اتساع الجنّة وعظم ملك أهلها فيها:

- قال الله تعالى: (وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾) [آل عمران: 133].

4- الترمذي **كتاب** صفة الجنّة عن رسول الله ãáÓæåãÚ?¦ìáÕ **باب** ما جاء في صفة خيل الجنّة 588/4 رقم 2543. وقال الألباني: له شواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن على أقلّ تقدير. ينظر السلسلة الصحيحة 5/7 رقم 3001.

1- ينظر كتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص 98.

2- المصدر السابق ص 102.

3- ينظر تفسير الطبري 417/10.

4- مسلم **كتاب** الجنّة وصفة نعيمها وأهلها **باب** في دوام نعيم أهل الجنّة 1730/4 رقم 2837.

-وقال تعـالى: (سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ) [الحديد: 21].

-وقال سبحانه عن الجنّة: (وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾) [الإنسان: 20].

وفي الصحيح أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: « **سأل موسى ربّه: ما أدنى أهل الجنّة منزلة قال هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنّة الجنّة فيقال له: أدخل الجنّة فيقول: أي ربّ كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخداتهم فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا فيقول رضيت ربّ فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت ربّ فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك**»[1].

- وأما تفصيل ما ورد في القرآن الكريم من وصف الجنّة فيمكن عرضه من خلال ما يلي:

1- مساكن أهل الجنّة

- قال الله تعالى: (لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾) [الزمر:20].

وعن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « **إنّ في الجنّة لغرفًا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها** »[2].

- وقال الله تعالى: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ) [التوبة:72].

وعن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم سئل عن الجنّة ما بناؤها؟ فقال :« **لبنة من فضة ولبنة من**

ذهب وملا طها المسك الأظفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران »[1].

1- مسلم **كتاب** الإيمان **باب** أدنى أهل الجنّة منزلة فيها 151/1 رقم 189.

2- الترمذي **كتاب** صفة الجنّة عن رسول الله ﷺ **باب** ما جاء في صفة غرف الجنّة 581/4 رقم 2527.وقال حديث غريب والحاكم في المستدرك **كتاب** الإيمان 153/1 رقم 270 وصححه ووافقه الذهبي وحسنّه الألباني كما في صحيح الترمذي 7/3 رقم 2527.

والملاط: الطين الذي يجعل بين اللبنتين في البناء[2].
والحصباء: الحصى الصغير[3].

- وقال الله تعالى: (حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾) [الرحمان:72].

وفي الصحيح أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال : « **إنّ للمؤمن في الجنّة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوّفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا** »[4].

2- لباس أهل الجنّة وحليّهم

- قال الله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾) [الكهف:30-31].

والأساور جمع سوار، والمذكور في هذه الآية أنّه من ذهب
وقد قال الله في آية أخرى: (جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ) [فاطر:33] ، وفي آية أخرى قال سبحانه : (وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾) [الإنسان:21].

قال سعيد بن جبير: « على كلّ واحد ثلاثة أسورة واحد من ذهب، وواحد من ورق، وواجد من لؤلؤ »[5].
وقد قال صلى الله عليه و سلم : « **لو أنّ رجلاً من أهل الجنّة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم** »[1] .

1- الترمذي **كتاب** صفة الجنّة عن رسول الله ÕáÕ¼åÃ?¦ ìáÕ **باب** ما جاء في صفة الجنّة ونعيمها 580/4 رقم 2526 وقال ليس إسناده بذاك القوي وحسنّه المنذري كما في الترغيب والترهيب 271/4 رقم 5466 وصحّحه الألباني كما في صحيح الترمذي 6/3 رقم 2526.
2- النهاية في غريب الحديث لإبن الأثير 4/.304
3- المصدر السابق 1/.378
4- البخاري **كتاب** تفسير القرآن **باب** [**حورٌ مقصورات في الخيام**] 361/6 رقم 4879.ومسلم **كتاب** الجنّة وصفة نعيمها وأهلها **باب** صفة خيام الجنّة وما للمؤمن فيها من الأهلين 1730/4 رقم .2838
1- ينظر تفسير القرطبي 257/10.

أمّا السندس فهو ما رقّ من الديباج أي الحرير، والإستبرق ما غلظ منه[2].
قال ابن القيّم: « أحسن الألوان الأخضر وألين الملابس الحرير ، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به، وبين نعومته والتذاذ الجسم به »[3].
وقال ρ : **« لنصيف امرأة من الجنّة[4] خير من الدنيا وما فيها»[5].**

3- طعام أهل الجنّة وشرابهم

- قال الله تعالى عن أهل الجنّة: (وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾) [الطور:22].
أي من جميع ما يشتهون من أنواع الفواكه واللحوم.

-وقال سبحانه :(وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾)[الواقعة:20-21].

وقال صلى الله عليه و سلم : **« إنّ طير الجنّة كأمثال البخت ترعى في شجر الجنّة »[6].**
والبخت جمال طوال الأعناق[7].

- وقال الله تعالى: (وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾) [الواقعة:27-33].

والمخضود: الذي قد نزع شوكه وقطع فلا شوك فيه[8].

عن أبي أمامة τ قال : **« كان أصحاب رسول الله** صلى الله عليه و سلم **يقولون : إنّ الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، أقبل أعرابيّ يومًا فقال: يا رسول الله ذكر الله في الجنّة شجرة مؤذية، وما كنت أرى أنّ في الجنّة شجرة تؤذي صاحبها قال**

2- الترمذي **كتاب** الجنّة عن رسول الله ÃâÜÓ¢åÃÜ?¦ ìáÕ **باب** ما جاء في صفة أهل الجنّة 585/4 رقم 2538 وقال حديث غريب. وصحّحه الألباني كما في صحيح الترمذي 11/3 رقم 2538 والسلسلة الصحيحة 1173/7 رقم 3396.
3- ينظر معالم التنزيل للبغوي 133/3.
4- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيّم ص 199.
5- أي خمارها.
6- البخاري **كتاب** الرقاق **باب** صفة الجنّة والنار 260/7 رقم 6568.
7- أحم د 145/11 رق م 13244 وق ال عن ه المن ذري إس ناده جي د.ينظ ر الترغي ب والترهي ب للمنذري283/4.
8- ينظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير 101/1.
1- ينظر تفسير ابن كثير 518./6

رسول الله صلى الله عليه و سلم **: وما هي؟ قال: السدر فإنّ له شوكًا مؤذيًا. قال رسول الله** صلى الله عليه و سلم **: أليس الله يقول: (فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾) [الواقعة:28] ؟ خضد الله شوكه فجعل مكان كلّ شوكة ثمرة »[1].**

وورد مثل ذلك عن النبي صلى الله عليه و سلم في الطلح فإنّه أيضًا من شجر البوادي الكثير الشوك.

ومعنى منضود في قوله: " وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ" : أي متراكم الثمر[2].

ومعنى: " لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ": أي لا ينقطع عنهم ما أرادوه منها في وقت من الأوقات كما تنقطع فواكه الشتاء في الصيف أو فواكه الصيف في الشتاء .

ولا يمنعهم منها بعدها أو الشوك على أشجارها كما تمتنع فواكه الدنيا عن كثير ممّن أرادها، بل إذا اشتهى أحدٌ من أهل الجنّة شيئًا من الفاكهة دنت منه حتى يتناولها بيده كما قال تعالى: (قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴿٢٣﴾) [الحاقة:23].

أي قريبة ممّن يتناولها فيأخذها كيف شاء قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا[3].

- وقال الله تعالى: (مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾) [محمد:15].

قال ابن القيّم: « ذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كلّ واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها وآفة العسل عدم تصفيته»[4].

2- الحاكم في المستدرك **كتاب** التفسير – سورة الواقعة - 518/2 رقم 3778 وصحّحه ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب 514/3 رقم .3743

3- ينظر تفسير ابن كثير 519./6

4- المصدر السابق 523/6 وينظر تفسير الطبري 218./12

1- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص 180.

- وقال سبحانه: (يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾) [الصافات:45-47].

ومعنى: "بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ": أي كأس من خمر[1].

" بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ " : أي لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء من حمرة أو سواد أو اصفرار، وطعمها طيب كلونها، وطيب الطعم دليل على طيب الريح بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك[2].

" لا فِيهَا غَوْلٌ": قيل الغول وجع البطن وقيل صداع الرأس[3].

" وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ": أي لا تذهب عقولهم فيسكرون[4].

4- صفة خدم أهل الجنة

قال الله تعالى: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾) [الإنسان:19].

ومعنى " مُّخَلَّدُون" أي لا يموتون ولا يعرض لهم الكبر والهرم[5].

قال ابن القيّم: « شبّهوا باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلق، وفي كونه منثورًا فائدتان:

إحداهما : الدلالة على أنّهم غير معطلين، بل مبثوثون في خدمتهم وحوائجهم.

و**الثانية**: أنّ اللؤلؤ إذا كان منثورًا، ولا سيما على بساط من ذهب أو حرير، كان أحسن لمنظره، وأبهى من كونه مجموعًا في مكان واحد»[6].

- وقال سبحانه: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾) [الطور:24].

وإذا كان هذا وصف الخدم فكيف بالمخدومين؟؟

5- صفة أزواج أهل الجنّة

- قال الله تعالى عن أهل الجنّة: (وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾)[الدخان:54].

2- ينظر تفسير القرطبي 53/15.
3- ينظر تفسير ابن كثير 11/6.
4- المصدر نفسه.
5- المصدر نفسه.
1- ينظر تفسير الطبري 369./12
2- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لإبن القيّم ص 216.

والحور جمع حوراء وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين ومعنى " عِين" حسان الأعين[1].

وقد ذكرت بعض أوصاف الحور العين في آيات أخرى منها:
قوله تعالى: (وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥)[البقرة :25].

والمطهرة: التي طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكلّ أذى يكون من نساء الدنيا، وطهر باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ[2].
وقال الله تعالى:(فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٥٦)[الرحمان: 56].
ومعنى " قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ" أي قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم.
وقيل: قصرت طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن، أن ينظروا إلى غيرهن[3].

ومعنى " لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ" أي لم يمسهنّ ولم يطأهنّ قبل أهل الجنّة أحد[4].

- وقال سبحانه: (إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابًا ٣٧ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٣٨) [الواقعة: 35-38].

و" عُرُبًا" جمع عروب وهي المطيعة لزوجها المتحببة إليه الحسنة التبعل[5].

3- المصدر السابق ص 220/.221
4- المصدر السابق ص .219
1- ينظر تفسير ابن كثير 499/6 وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص 222.
2- ينظر تفسير الطبري 606/11.
3- المصدر السابق 641/11 والدرّ المنثور للسيوطي201/14 .

- وقال سبحانه: (فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴿٧٠﴾) [الرحمان: 70].

أي خيرات الصفات والأخلاق حسان الوجوه، فجمع لهنّ بين حسن الصورة وحسن العشرة وهذا غاية ما يطلب من النساء[1].

- وقال سبحانه: (وَحُورٌ عِينٞ ﴿٢٢﴾ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ﴿٢٣﴾) [الواقعة: 22-23] .

والمراد ب " ٱلۡمَكۡنُون" المخفي المصان الذي لم يغيّر صفاء لونه ضوء الشمس ولا عبث الأيدي فهو أشدّ ما يكون صفاءًا و تلؤلؤا[2].

- وقال سبحانه: (كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾) [الرحمان:58] .

أي أنهنّ في صفاء الياقوت وبياض المرجان[3].

وفي الصحيح أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: « **لو اطّلعت امرأة من نساء أهل الجنّة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا، ولأضاءت ما بينهما، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**»[4].

وقال صلى الله عليه و سلم : « **أوّل زمرة تدخل الجنّة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشدّ كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم، لكلّ امرئ منهم زوجتان كلّ واحد منهما يرى مخّ ساقها من وراء لحمها من الحسن**»[5].

وفي رواية : « **لكلّ رجل منهم زوجتان على كلّ زوجة سبعون حلّة يرى مخّ ساقها من وراءها** »[6].

6- نظر أهل الجنّة إلى وجه الله الكريم ورضوانه سبحانه عليهم.

وهذا أعظم وأجلّ ما في الجنّة، وهو أفضل من كلّ ما سبق ذكره من ألوان النعيم

4- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيّم ص 226 و .229

5- ينظر تفسير القرطبي 17/.133

6- ينظر الدرّ المنثور للسيوطي 147/14.

1- سبق تخريجه ص 257 هامش6.

2- البخاري **كتاب** بدء الخلق **باب** ما جاء في صفة الجنّة وأنّها مخلوقة 425/4 رقم 3245 .ومسلم **كتاب** الجنّة وصفة نعيمها وأهلها **باب أول** زمرة تدخل الجنّة على صورة القمر ليلة البدر 1727/4 رقم 2834.

3- الترمذي **كتاب** صفة الجنّة عن رسول الله ﷺ **باب** في صفة نساء أهل الجنّة 584/4 رقم 2535 .وقال حديث حسن وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة 315/4 رقم 1736.

- قال الله تعالى: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾) [التوبة: 72].

ومعنى " وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ " أي أنّ رضى الله تعالى على أهل الجنّة أكبر من كلّ ما في الجنّة[1].

وفي الصحيح أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: « **إنّ الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنّة: يا أهل الجنّة فيقولون لبيك ربّنا وسعديك فيقول هل رضيتم؟ فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك. فيقول: أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**»[2].

- وقال الله تعالى: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ) [يونس: 26].

والمقصود بـ " ٱلْحُسْنَىٰ" الجنّة و" **الزيادة**" هي النظر إلى وجه الله الكريم[3].

وفي الصحيح أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: « **إذا دخل أهل الجنّة الجنّة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنّة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحبّ إليهم من النظر إلى ربّهم Y ثم تلا رسول الله** صلى الله عليه و سلم **هذه الآية: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ)**»[4].

- وقال الله تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾) [القيامة: 22-23].

أي أنّ وجوه أهل الجنّة ناضرة من البهاء والحسن، ناظرة إلى وجه الله [5].

قال الحسن: « نظرت إلى ربّها تبارك وتعالى فنضرت بنوره »[6].

4- ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 265/10.

5- البخاري **كتاب** الرقاق **باب** صفة الجنّة والنار 256/7 رقم 6549 .ومسلم **كتاب** الجنّة وصفة نعيمها وأهلها **باب** إحلال الرضوان على أهل الجنّة فلا يسخط عليهم أبدًا 1726/4 رقم 2829 .

1- ينظر تفسير الطبري 549/6 وتفسير القرطبي 210./8.

2- مسلم **كتاب** الإيمان **باب** إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربّهم سبحانه 142/1 رقم 181.

3- ينظر تفسير ابن كثير 170./7

4- ينظر الدرّ المنثور للسيوطي 111/15.

ولابدّ من التنبيه أخيرًا إلى أنّ ما ذكر في القرآن الكريم من ألوان النعيم الموجود في الجنّة ليس إلاّ تقريبًا للفهم بذكر الأشباه والنظائر الموجودة في الدنيا، وإلاّ فما في الجنّة من النعيم فوق ما يقدر البشر على تصوّره أو إدراكه.

قال الله تعالى عن أهل الجنّة: (**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴿١٧﴾) [السجدة:17].

وفي الصحيح أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: « **يقول الله : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر دخرًا بله ما اطلعتم عليه ثم قرأ قوله : (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) »**[1].

وفي ختام هذا الفصل الذي حاولت من خلاله إبراز ما ذكر في القرآن الكريم من الآثار المترّتبة على الإيمان لابدّ من الإشارة إلى أمرين مهمين ينبغي الوقوف عندهما:

- **الأمر الأوّل**: أنّ ما يترّتب على الإيمان من الآثار والعواقب المحمودة شامل للدنيا والآخرة ممّا يعني أن في سلوك طريق الإيمان جمعًا بين العمل للدنيا والعمل للآخرة في توافق وتناسق لا يفوّت على الإنسان دنياه لينال آخرته، ولا يفوّت عليه آخرته لينال دنياه.

- **الأمر الثاني**: توسع القرآن الكريم في عرض الآثار المترّتبة على الإيمان بأدقّ تفاصيلها خاصة ما تعلّق من ذلك بالجانب الأخروي، ولاشك أنّ لهذا الأمر أهميته البالغة في ترسيخ الإيمان لما جبلت عليه النفوس من الرغبة في تحصيل المنافع والمصالح، واجتناب المضارّ والمفاسد.
ولئن كانت طبيعة هذا البحث اقتضت الفصل بين الآيات المقرّرة لحقيقة الإيمان، والآيات المبيّنة للآثار المترّتبة عليه، إلاّ أنّ الأمر في القرآن الكريم ليس كذلك بل الغالب اقتران الآيات الداعية للإيمان بالله والخضوع له بما يترتب على هذا الإيمان والخضوع من آثار دنيوية وأخروية، وفي هذا إشارة إلى ضرورة مراعاة هذا الجانب عند دعوة الناس إلى الإيمان وفق ما جاء في القرآن الكريم.

5-البخاري **كتاب** تفسير القرآن **باب** قوله: (**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم**) 320/6 رقم 4780 .مسلم **كتاب** الجنّة و صفة نعيمها وأهلها 1724/4 رقم 2824.

الخاتمة

قد تمّ بحمد الله ما قصدت إليه من محاولة دراسة الإيمان في القرآن الكريم دراسة موضوعية تستهدف بيان حقيقته، وتجلية براهينه، والتعريف بآثاره ويمكن إجمال أهمّ ما توّصلت إليه فيما يلي:

• يختلف المراد بلفظ الإيمان في القرآن الكريم على حسب سياق الآيات التي يرد فيها ومقامات خطابها:

فيراد بالإيمان جميع ما أوجبه الله تعالى من الاعتقادات والأقوال والأعمال عند وروده في سياق الآيات الداعية إليه والمرّغبة فيه والمثنية على المتصفين به.

ويراد به أصل الدين الذي يتحقق به الانتساب لأمّة الإسلام عند وروده في مقابل الكفر، أو كشرط لقبول الأعمال أو في سياق تقرير الأحكام التي لا يمكن أن تبنى إلاّ على الظاهر.

ويكون المراد منه محتملاً للمعنيين عند وروده مقترنًا بالإسلام أو بالبّر أو بالتقوى أو بالعمل الصالح

• الإيمان بحسب ما ورد في القرآن الكريم قائم على ركنيين لا غنى بأحدهما عن الآخر:

الأوّل: التصديق بجميع ما أخبر به الله تعالى في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم .

الثاني: الانقياد لجميع ما أمر الله تعالى به في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم.

ومن هنا فإنّ الإيمان كما ورد في القرآن الكريم ليس مجرّد أفكار ونظريات يستوي في الواقع العملي المؤمن بها والكافر، وإنّما هو منهج حياة متكامل يجعل من شرع الله تعالى مصدرًا للاعتقادات والتصوّرات، وحاكمًا على الأفعال والتصرّفات.

ولكلّ من ركني الإيمان قدر يتحقق به أصل الإيمان بحيث لا يتصور وجوده بدونه، وقدر يتحقق به كمال الإيمان هو مجال الزيادة فيه والنقص عنه.

• اقترن بيان حقيقة الإيمان في القرآن الكريم بذكر أربعة أمور مهمّة يمكن اعتبارها معالم تكشف عن طبيعة طريق الإيمان وتبعات السير فيه:

1- أن إيمان الخلق معلّق بمشيئة الله تعالى فلا يؤمن أحدٌ من الناس إلاّ بتوفيق الله تعالى وإعانته، ممّا يعني ضرورة اللجأ إليه سبحانه والانطراح بين يديه طلبا للتوفيق والإعانة.

2- أنّ من سلك سبيل الإيمان فلابدّ من أن يواجه من الإبتلاء و الإمتحان ما يتميّز به صدق إيمانه والإبتلاء قد يكون بالمحبوبات ليظهر من يشكر ممّن يكفر، و قد يكون بالمكاره ليتبين من يسخط ممّن يصبر.
3- أن حكمة الله اقتضت أن يكون السالكون لسبيل الإيمان قلّة من الناس وهذا كما أنّه صورة من صور الابتلاء الملازم للإيمان، فهو كذلك تنبيه إلى ضرورة جعل شريعة الله تعالى حاكمة على العقائد والأعمال دون اعتبار لكثرة أو قلّة.
4- أنّ الفرصة المتاحة أمام الإنسان ليسلك سبيل الإيمان مؤقتة بعمر الإنسان المحدود على هذه الأرض فإذا نزل الموت وانقضى الأجل فقد فاتت الفرصة فوائًا لا يمكن تداركه بأي حال من الأحوال.
• تضمن القرآن الكريم من البراهين القاطعة ما يزيل كلّ شك وريب حيال صحة ما دعا إليه من الإيمان والحجة بهذه البراهين قائمة على كلّ من بلغته مهما كان عصره وأيًا كان مستواه، إذ إنّها تعتمد على مقدمات فطرية و مسلّمة يحكم العقل البشري بصحتها ويصل بيسر وسهولة إلى نتائجها.
• اقتصرت براهين القرآن الكريم على إثبات ثلاث مسائل تعتبر الأصول التي ينبني على إثباتها الحكم بصحة جميع ما يترتّب عليها و يتفرّع عنها و هذه المسائل هي:

1- الإيمان بالله تعالى : و البراهين المسوقة لإثبات هذه المسألة تتمحور حول إثبات صفات الكمال المطلق لله تعالى و استحقاقه سبحانه العبادة و التأليه ، بينما لم تحتلّ مسألة إثبات وجود الله تعالى و أنّه خالق هذا الكون و مالكه و المتصرّف فيه مكانة بارزة ضمن براهين القرآن الكريم وذلك لتسليم أغلب الناس بها أوّلا و لظهورها و فطريتها ثانيا.

2- الإيمان باليوم الآخر: و قد سارت البراهين المثبتة لهذه المسألة في اتجاهين:
الأوّل: بيان أنّ وجود اليوم الآخر يعدّ من مقتضى صفتين من صفات الكمال الثابتة لله تعالى هما الحكمة و العدل.
الثاني: تفنيد ما اعتمد عليه المشكّكون في اليوم الآخر من شبهة استحالة قدرة أحد على إحياء الأجساد التي أصابها التمزق و البلى بالتنبيه إلى قدرة الله تعالى على ما هو أعظم من ذلك كخلق السماوات و الأرض و إيجاد الإنسان من العدم.

3- **الإيمان بنبوة محمد** صلى الله عليه و سلم **:** و براهين هذه المسألة في القرآن الكريم قائمة على :
- بيان أنّ الطعن في نبوّته صلى الله عليه و سلم مناقض لما ثبت لله تعالى من صفات الكمال المطلق.
- بيان أنّ سيرته و أحواله قبل البعثة شاهدة بصدق نبوّته.

- الاستدلال بعجز الناس جميعا عن الإتيان بمثل ما جاء به محمد صلى الله عليه و سلم من القرآن و بإخبار القرآن الكريم بكثير من المغيبات على أنّ القرآن الكريم لا يمكن أن يكون كلام بشر بل هو كلام رب البشر.

• تضمّن القرآن الكريم بيان ما يترتب على الإيمان من الآثار و العواقب المحمودة ، و هذه الآثار تشمل الدنيا و الآخرة.
أمّا الآثار في الدنيا فتتلخّص في حصول الهداية و الأمن و الرخاء و العزّة و النصرة و السعادة للمؤمنين، و هذه الأمور هي ما يسعى البشر جميعا لتحقيقه ومن هنا فإنّ القرآن الكريم دالٌّ على أنّ الإيمان لا يفوّت على الناس شيئا من الدنيا بل يحصلّها لهم بالطريق المشروع الخالي من المفاسد
وأمّا الآثار الأخروية للإيمان فتتمثل في:

أوّلا :النجاة من النار
إمّا نجاة مطلقة بعدم دخولها أصلا و هذا لأهل الإيمان الكامل ، و إمّا بالنجاة من الخلود فيها بعد دخولها و هذا لمن كان معهم أصل الإيمان و اقترفوا من الذنوب ما اقتضى أن يعذبوا في النار بحسبها.
ثانيا : دخول الجنّة
و قد تميّز عرض آثار الإيمان في القرآن الكريم بكثير من التفصيل خاصة ما تعلّق من ذلك بالآثار الأخروية في إشارة إلى ضرورة مراعاة جاذب الترغيب و الترهيب عند دعوة الناس إلى الإيمان.

و أخيرا فإنّي قد حرصت على أن أعطي هذا الموضوع ما استطعت من جهد و أن أستنفد في إنجازه كامل المدّة المسموح بها و رغم ذلك فأنا على يقين من أدّي لم أوفّه حقّه ليس لما يعتري أيّ عمل بشري من الخلل و القصور فحسب ، و إنّما أيضا لكبر الموضوع و تشعّب مسائله إلى درجة يصعب معها الإحاطة بجميع جوانبه ، إذ ممّا لا شكّ فيه أنّ في القرآن الكريم الكثير من جوانب هذا الموضوع التي قصرت قدراتي عن إدراكها أو التنبّه لها.

و لا أملك في الختام إلاّ أن أحمد ربّي على أن وفقني لإتمام هذا البحث و أسأله سبحانه بأسمائه الحسنى و صفاته العلى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم و أن يغفر لي ما كان فيه من زلل و تقصير
و أن يجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال و لا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم
و صلى الله على نبيّنا محمد و على آله و صحبه و الحمد لله ربّ العالمين.

تراجم الأعلام

تراجم الأعلام

أ

- إبراهيم النخعي

إبراهيم بن يزيد النخعي أبو عمران، من أكابر التابعين صلاحًا وصدقًا و روايةً وحفظًا،فقيه العراق كان إمامًا مجتهدًا، توفي سنة 96 هـ.

ينظر الأعلام للزركلي: (8/1).

- أسامة بن زيد

أبو محمّد أسامة بن زيد بن حارثة، صحابي جليل ولد بمكة ونشأ على الإسلام وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يحبه حبًّا جمًّا، له في كتب الحديث 128 حديثا، توفي بالمدينة سنة 54 هـ.

ينظر الإصابة (202/1).

- الأعمش

سليمان بن مهران الأسدي أبو محمد. كان عالمًا بالقرآن والحديث والفرائض، توفي سنة 148 هـ.

ينظر الأعلام للزركلي (135/3).

- الألوسي

محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي شهاب الدّين ،مفسّر محدّثٌ أديب من المجددّين من أهل بغداد، توفي سنة 1270 هـ .

ينظر: الأعلام للزركلي (176/7).

- أبو أمامة

اسمه صُدَّى بن عجلان، سكن مصر ثم انتقل منها إلى حمص فسنكها ومات بها وكان من المكثرين في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه و سلم توفي سنة81 هـ.

ينظر الاستيعاب (165/4).

- أنس بن مالك

أبو حمزة أنس بن مالك بن النّضر الأنصاري الخزرجي البصري ، خادم رسول الله صلى الله عليه و سلم توفي سنة 93 هـ.

ينظر الاستيعاب (198/1).

ب

- البخاري
محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري أبو عبد الله، حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم ، صاحب الجامع الصحيح، وتوفي سنة 256 هـ.
ينظر الأعلام للزركلي (34/6).

- البراء بن عازب
البراء بن عازب بن حارث بن الخزرج الأنصاري أبو عمارة، شهد مع علي الجمل وصفّين ثم نزل الكوفة ومات بها أيام مصعب بن الزبير .
ينظر الاستيعاب (239/1).

- بريدة بن الحصيب
بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي أبو عبد الله، أسلم قبل بدر وكان ممّن بايع بيعة الرّضوان كان من ساكني المدينة ثم تحوَّل إلى البصرة ثم خرج منها إلى خراسان غازيًا فمات بمَرْو في إمارة يزيد بن معاوية .
ينظر الاستيعاب (263/1).

- البغوي
أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء فقيه محدث مفسر من كتبه :شرح السنّة، و معالم النزيل ، توفي سنة 510 هـ.
ينظر الأعلام للزركلي (259/2).

- البقاعي
إبراهيم بن عُمَر بن حسن الرُباط البقاعي أبو الحسن برهان الدّين، أصله من البقاع في سورية، توفي في دمشق سنة 885 هـ.
ينظر الأعلام للزركلي (56/1).

ت

- ابن تيمية
أبو العبّاس تقي الدّين: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرَّاني الدمشقي الحنبلي ، شيخ الإسلام، ولد في حرّان وتحوّل به أبُوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، كان آية في التفسير والأصول. توفي سنة 728 هـ.
ينظر الدرر الكامنة لابن حجر (154/1). و الأعلام للزركلي (144/1).

ج

- جابر

جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري السلمي، أبو عبد الرحمن كان من المكثرين الحفاظ توفي سنة 74 هـ.

ينظر الاستيعاب(292/1).

- ابن جريج

عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج أبو الوليد، فقيهة الحرم المكي، كان إمام أهل الحجاز في عصره وهو أوّل من صنّف التصانيف في العلم بمكة توفي سنة 150 هـ. ينظر الأعلام للزركلي للزركلي (160/4)..

- أبو جهل

عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أشدّ النّاس عداوة للنبي ρ ، قتل يوم بدر.

ينظر الأعلام للزركلي (87/5).

- ابن الجوزي

عبد الرحمن بن علي بن محمّد ابن الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج علاّمة عصره في التاريخ والحديث توفي ببغداد (597 هـ) .

ينظر الأعلام للزركلي (316/3).

- أبو حاتم

عبد الرحمن ابن محمّد التيمي الرَّازي أبو محمّد، حافظ الحديث له تصانيف منها الجرح التعديل، التفسير، توفي سنة 327 هـ. ينظر الأعلام للزركلي (324/3).

ح

- ابن حجر

أحمد بن علي: بن محمّد الكنّاني العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدّين، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان توفي بالقاهرة 852 هـ.

ينظر الأعلام للزركلي (178/1).

- حذيفة بن اليمان

أبو عبد الله العبسي القطيعي من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ، صاحب سرّه ، توفي سنة 36 هـ.

ينظر الاستيعاب (393/1).

- الحسن البصري

هو الحسن بن يسار البصري، كان إمام أهل البصرة ، وهو أحد العلماء الفقهاء

الزهاد، ولد بالمدينة وسكن البصرة.
ينظر الوفيات لابن خّلكان (69/2). الأعلام للزركلي (272/2).

- حمزة

حمزة بن حبيب بن عمارة التيمي الزيّـات، أحـد القرّاء السبعة، مات بحلوان سنة 156 هـ.
ينظر الأعلام للزركلي (277/2).

ذ

- أبو ذرّ الغفاري

جندب بن جنادة، كان من كبار الصحابة و من أول من أسلم ، توفي بالرّبذة سنة 31 هـ وصلى عليه ابن مسعود.
ينظر الاستيعاب (217/4).

ر

- الرَّازي

فخر الدّين: محمّد بن عمر التيمي، الإمام المفسّر أحد الأئمة المشاهير، رحل إلى خراسان وما وراء النّهر. من كتبه التفسير الكبير، المحصول من علم الأصول، توفي سنة 606 هـ.
يُنظر البداية والنهاية لابن كثير (54/13) ، الأعلام للزركلي (313/6).

- الرّاغب الأصفهاني

أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالرّاغب ، من أهل أصبهان و سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه الذريعة إلى مكارم الشريعة، جامع التفاسير ، المفردات في غريب القرآن، توفي سنة 502 هـ.
ينظر الأعلام للزركلي (255/2).

ز

- الزَّجاج

إبراهيم بن السدّي بن سهل، أبو إسحاق الزّجاج، عالم بالنّحو واللغة ولد ومات ببغداد، من كتبه معاني القرآن، الاشتقاق، و الأمالي.
ينظر إنباء الرواة (194/1)، الأعلام للزركلي (40/1).

- الزمخشري

أبو القاسم جار الله : محمود بن عمر بن محمّد الخوارزمي الزمخشري، كان عالما باللغة والأدب، وكان معتزليا مجاهرًا ، من كتبه الكشاف وأساس البلاغة،

توفي سنة 538هـ.
ينظر وفيات الأعيان لابن خّلكان (168/5). الأعلام للزركلي (978/7).

- الزهري

محمّد بن مسلم بن شهاب الزهري أبو بكر، تابعي، أوّل من دوَّن الحديث، أحد كبار الحفاظ والفقهاء، مات سنة 124 هـ.
ينظر الأعلام للزركلي (97/7).

- ابن زيد

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني ، كان صاحب قرآن وتفسير جمع تفسيرا في مجلد و كتابا في الناسخ و المنسوخ توفي سنة 182 هـ.
ينظر طبقات المفسرين للأدرنوي ص 11.

س

- السّدي

إسماعيل بن عبد الرّحمن السُّدي، تابعي حجازي الأصل سكن الكوفة، من أصحاب التفسير و المغازي والسّير، وكان إمامًا عارفًا بالوقائع وأيّام النّاس، توفي سنة 128 هـ.
ينظر الأعلام للزركلي (317/1).

- سعد بن أبي وقاص

مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي أبو إسحاق من كبار الصحابة، أسلم وهو ابن 17سنة ، فتح العراق ومدائن كسرى ، كان يقال له فارس الإسلام، له في كتب الحديث 271 حديثا. توفي قرب المدينة عام 55 هـ.
ينظر الإصابة (61/3) .

- أبو سعيد الخدري

سعد بن سنات بن ثعلبة الأنصاري الحدري، كان من الحفاظ المكثرين ،خرج مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في غزوة بني المصطلق وهو ابن خمس عشرة سنة ومات سنة 74هـ .
ينظر الاستيعاب (235/4).

- سعيد بن المسيّب

سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمّد ، سيّد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة جمع بين الحديث والفقه والزهد توفي سنة 94 هـ.
ينظر الأعلام للزركلي (102/3).

- سعيد بن جبير

أبو عبد الله الأسدي الكوفي تابعي. كان أعلم التابعين على الإطلاق، وهو حبشي الأصل أخذ العلم عن ابن عبّاس وابن عمر وقتله الحجّاج بواسط.

ينظر الوفيات لابن خلّكان (371/2).

- سودة بنت زمعة

سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشي، إحدى أمهات المؤمنين، تزوجها النبي صلى الله عليه و سلم بعد خديجة وتوفيت بالمدينة سنة 54 هـ . ينظر الإصابة (196/8).

- ابن السيّد

عبد الله بن محمد بن السيّد البطليوسي ، من العلماء باللغة والأدب ولد ونشأ في بطليوس في الأندلس وتوفي بها سنة 521هـ. من كتبه: الإقتضاب، المسائل والأجوبة.

ينظر الأعلام للزركلي (123/4).

- سيّد قطب

سيّد قطب إبراهيم مفكّر إسلامي عصري من مواليد قرية " موشا" في أسيوط، توفي سنة 1387هـ. من كتبه: معالم في الطريق ،في ظلال القرآن.

ينظر الأعلام للزركلي (147/3).

- ابن سيرين

محمّد بن سيرين البصري الأنصاري أبو بكر، تابعي ،إمام وقته في علوم الدّين مولده ووفاته في البصرة سنة 110 هـ.

ينظر الأعلام للزركلي (154/6) .

ش

- الشاطبي

أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الإمام العلامة الشهير، كان ثبتًا ورعًا صالحًا وفاته سنة 790 هـ.

ينظر نيل الابتهاج (33/1)، و شجرة النور الزكية (332/1) .

- الشوكاني

أبو عبد الله : محمّد بن علي الشوكاني، فقيه أصولي محدِّثٌ مفسّرٌ من كبار علماء اليمن ، له أكثر من مائة كتاب منها : فتح القدير ، نيل الأوطار وغيرها كثير، نشأ بصنعاء ووليّ قضاءها ومات بها توفي سنة 1250 هـ.

ينظر معجم المفسّرين (593/2).

ض

- الضّحاك

الضّحاك بن مزاحم الخراساني أبو القاسم ، صاحب التفسير وكان من أوعية العلم حدث عن ابن عباس و ابن عمر وأنس ابن مالك و طائفة ، توفي سنة 105 هـ.
ينظر الأعلام للزركلي (215/3).

ط

- أبو طالب

أبو طالب: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم ، والد علي وعم النبي صلى الله عليه و سلم كان من أبطال بني هاشم ورؤوسهم.
ينظر الأعلام للزركلي (166/4).

- الطاهر ابن عاشور

محمّد الطاهر ابن عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة، مولده ووفاته بها، له مصنفات مطبوعة من أشهرها مقاصد الشريعة، أصول النظام الإجتماعي في الإسلام، التحرير والتنوير. توفي سنة 1973م.
ينظر الأعلام للزركلي (174/6).

- الطبري

أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد الطبري، من مشاهير المؤرخين والمفسّرين وأئمة العلماء، استوطن في بغداد، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحدٌ من أهل عصْره، توفي سنة 310 هـ. من كتبه جامع البيان في تفسير القرآن.
ينظر معجم المفسرين (508/2).

ع

- عائشة

عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبي صلى الله عليه و سلم ، تزوجها رسول الله بمكة قبل الهجرة بسنتين، ، توفيت سنة 57 هـ وصلى عليها أبو هريرة.
ينظر الاستيعاب (435/4) .

- عاصم

بن أبي النجود الكوفي الأسدي، أبو بكر، أحد القرّاء السبعة تابعي من أهل الكوفة ووفاته بها سنة 127 هـ.
الأعلام للزركلي (148/3).

- ابن عامر

عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي الشامي، أحد القرّاء السبعة، ولد في البلقاء

بدمشق وتوفي فيها سنة 118 هـ.
ينظر الأعلام للزركلي (95/4).

- ابن عبّاس

عبد الله بن عبّاس القرشي الهاشمي، أبو العبَّاس الصحابي الجليل، حبر الأمة وترجمان القرآن ولد بمكة وروى عن النبي صلى الله عليه و سلم نحو 1660 حديثا.
ينظر الاستيعاب (66/3).

- عبد الله بن رواحة

عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري أبو محمد ، شهد العقبة وبدْرًا وأحُدًا والمشاهد كلّها إلا الفتح، أحد الشعراء الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم .
ينظر الاستيعاب (33/3).

- عبْد بن زمعة

عبْد بن زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشي العامري، أخو سودة أم المؤمنين. كان من سادات الصحابة.
ينظر الاستيعاب (322/4).

- عتبة بن أبي وقاص

عتبة بن مالك بن عبد مناف القرشي،انتقل إلى المدينة وعاش فيها، حتى توفي بها في حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم.
ينظر تهذيب التهذيب لابن حجر (68/4).

- عديّ بن حاتم

عديّ بن حاتم بن عبد الله الطائي، كان سيّدًا شريفًا في قومه، نزل الكوفة وسكنها ومات بها سنة 68 هـ.
ينظر الاستيعاب (169/3).

- عروة بن الزبير

عروة بن الزبير بن العوّام الأسدي القرشي أبو عبد الله، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، توفي سنة 93 هـ.
ينظر تهذيب التهذيب(117/4).

- ابن عساكر

أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي المؤرخ الحافظ الرّحالة، كان محدِّث الديار الشامية ،مولده ووفاته في دمشق، من كتبه تاريخ دمشق الكبير، معجم الصحابة وغيرها، توفي سنة 571 هـ.
ينظر الأعلام للزركلي (273/4).

- عطاء بن أبي رباح

أبو محمّد عطاء بن أبي رباح، مولى بني فهر تابعي ، كان عبْدًا أسْودًا، ولد في

جند باليمن ونشأ في مكّة فكان مفتي أهلها ومحدّثهم.
ينظر الأعلام للزركلي (235/4)، والوفيات لابن خلّكان (271/3).

- علي بن أبي طالب

أبو الحسن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة وُليّ الخلافة بعد مقتل عثمان ، ، قتل بالكوفة سنة 40 هـ.
ينظر الإصابة (464/4).

- ابن عمر

أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب، صحابي جليل ،نشأ في الإسلام وهاجر إلى المدينة، وهو آخر من توفي من الصحابة بمكّة.
ينظر الاستيعاب (86/3)، الأعلام للزركلي (108/4).

- عمر بن الخطاب

أبو حفص عمر بن الخطاب ابن نفيل القرشي العدوي ثاني الخلفاء الراشدين ، قتله أبو لؤلؤة المجوسي سنة 23 هـ.
ينظر الاستيعاب (240/3).

- عمر بن عبد العزيز

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص، الخليفة الصّالح والملك العادل توفي سنة 101 هـ.
ينظر الأعلام للزركلي (50/5).

ف

- الفرّاء

يحي بن زياد أبو زكريا الفرّاء، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنّحو واللغة والأدب، توفي سنة 207هـ. من كتبه: معاني القرآن، اللغات.
ينظر الأعلام للزركلي (145/8).

- الفضيل بن عياض

بن مسعود التميمي اليربوعي أبو علي، شيخ الحرم المكّي، من أكابر العباد الصلحاء كان ثقة في الحديث، أخذ عنه: الإمام الشافعي توفي سنة 187هـ .
ينظر الأعلام للزركلي (153/5).

ق

- قتادة

قتادة بن دعامة السدوسي البصري مفسّر حافظ كان ضريرا مات بواسط سنة 118 هـ.

ينظر الأعلام للزركلي (189/5).

- القرطبي

محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي المالكي، من كبار المفسّرين من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق واستقر بمصر وتوفي بها سنة 671 هـ ، من كتبه : الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة في أحوال الآخرة .

ينظر الديباج لابن فرحون ص 406. الأعلام للزركلي (323/2).

- ابن القيّم

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي شمس الدين مولده ووفاته بدمشق كان عالما فقيها زاهدا ، توفي سنة 751 هـ.

ينظر الدرر الكامنة لابن حجر(21/4) الأعلام للزركلي (56/6).

ك

- ابن كثير

إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء، فقيه محدّث مفسّر من كتبه البداية والنهاية و تفسيير القرآن العظيم ،توفي سنة 774 هـ.

ينظر الأعلام للزركلي (320/1).

- الكسائي

علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي أبو الحسن إمام في اللغة والنّحو والقراءة من أهل الكوفة، توفي سنة 189 هـ.

ينظر الأعلام للزركلي (283/4).

م

- مجاهد

أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكّي، مولى بني مخزوم تابعي مفسّر من أهل مكّة، شيخ القرّاء والمفسرين.

ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي (449/4).

- محمّد بن نصر المروزي

أبُو عبد الله ، إمام في الفقه والحديث، توفي بسمرقند سنة 294 هـ.

ينظر الأعلام للزركلي (125/4).

- مسروق

مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة، تابعي ثقة من أهل اليمن، قدم المدينة في أيام أبي بكر وسكن الكوفة توفي سنة 63 هـ.

ينظر الأعلام للزركلي (215/7).

- ابن مسعود

عبد الله بن مسعود بن مُضَر أبو عبد الرحمن، من كبار الصحابة ومن أول من أسلم.

ينظر الاستيعاب (110/3) .

- معاوية بن الحكم السُّلَمي

معاوية بن الحكم السُّلَمي كان ينزل بالمدينة ويسكن في بني سليم، له عن النبي صلى الله عليه و سلم حديث واحد حسن.

ينظر الاستيعاب (469/3).

- ابن أبي مليكة

عبد الله بن عبيد الله ،ابن أبي مليكة زهير ابن عبد الله بن جدعان ، كان عالما مفتيا ولي القضاء لابن الزبير توفي سنة 117 هـ.

ينظر الاستيعاب (324/4).

- أبو موسى الأشعري

عبد الله بن قيس الأشعري، صحابي جليل، ولّي الإمارة على عهد عمر بن الخطاب، عاش آخر عمره في مكّة حتى توفي بها سنة 44 هـ.

ينظر الاستيعاب (326/4).

ن

نَّافع

نَّافع بن عبد الرحمن المدني أحد القرّاء السبعة المشهورين، انتهت إليه رياسة القراءة في المدينة و توفي بها سنة 169 هـ.

ينظر الأعلام للزركلي (5/8).

- النسّائي

أحمد بن علي بن شعيب بن سنان النّسائي أبو عبد الرّحمن، صاحب السنن توفي سنة 303 هـ.

ينظر الأعلام للزركلي (171/1).

- النسفي

أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، حافظ الدّين، فقيه حنفي مفسّر توفي سنة 710 هـ من كتبه مدارك التنزيل، كنز الدّقائق.

ينظر الأعلام للزركلي (67/4).

- النعمان بن بشيرτ

النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري، من الخزرج ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه و سلم بثمان سنين، كان أميرًا لمعاوية على الكوفة ثم حمص وقتل بها سنة 64 هـ.

ينظر الاستيعاب (60/4).

- أبو نعيم

أحمد بن عبد الله الأصبهاني حافظ مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية، ولد ومات في أصبهان من تصانيفه حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، معرفة الصحابة، دلائل النبوّة وغيرها، توفي سنة 430 هـ.

ينظر الأعلام للزركلي (157/1).

هـ

- أبو هريرة

عبد الرحمن بن صخر الدوَّسي، أسلم عام خيبر ولازم رسول الله صلى الله عليه و سلم فكان من أحفظ النّاس وأعلمهم بحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم ، روى عنه أكثر من ثمان مائة رجلٍ، توفي سنة 59 هـ.

ينظر الاستيعاب لابن عبد البّر (332/4).

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة

الآية	الرقم	الصفحة
(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣)	3-2	49 -85
(مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤)	4	85

سورة البقرة

الآية	الرقم	الصفحة
(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ .....)	8	17، 27 112،
(يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ.....)	9	27 112،
(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ .....)	10	27
(إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٠)	20	47
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ .....)	21	33 169،
(ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ .....)	22	169
(وَإِن كُنتُمۡ فِى رَيۡبٖ مِّمَّا.....)	24-23	214
(وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ .....)	25	18،252 257،
(وَإِذ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ .....)	34	111
(وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ .....)	46-45	96
(وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا.....)	48	84
(قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٦٧)	67	135
(وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ .....)	82- 80	90
(أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ .....)	85	92
(مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ .....)	98	20
(وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ)	102	131
(وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ .....)	103	18
(وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ .....)	109	110
(وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى.....)	116	162
(بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ .....)	117	33، 47 162،

(رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ)	128	23 135،
(وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ.....)	132	24
(أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ .....)	133	54
(قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ .....)	136	18،107
(وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ.....)	143	107
(ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ .....)	146	110
(أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾)	148	82
(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ.....)	162- 161	91
(وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾)	163	171
(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ .....)	165	115
(وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ .....)	167	91
(لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ .....)	177	78، 19 106،
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ .....)	178	16
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ.....)	183	16
(يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ)	185	130
(وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ .....)	189	19
(أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم.....)	214	99 137،
(وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن .....)	221	15
(فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ .....)	230	21
(حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾)	238	20
(ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ .....)	255	38،39 170،
(أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ .....)	258	153
(وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ .....)	260	101 104،
(وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا .....)	271	20

سورة آل عمران

الآية	الرقم	الصفحة
(رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا)	8	135
(شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ.....)	18	48
(قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ.....)	26	35
(لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ .....)	28	16
(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ .....)	32-31	115
(ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾)	52	24 ، 17
(إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ .....)	59	164
(قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ .....)	64	55
(وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا .....)	83	58
(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ .....)	85	23
(وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾)	97	45
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ.....)	102	23
(وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾)	108	49
(وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ .....)	133	19،122
(ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ.....)	136-134	122
(رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا .....)	147	19
(سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ.....)	151	223
(وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾)	179	18
(وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ .....)	180	80
(رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ .....)	193	6

سورة النساء

الآية	الرقم	الصفحة
(فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ)	3	21
(وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ .....)	14-13	87،252
(وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ .....)	18	127
(وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ.....)	22	21
(وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ)	27	130
(وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ .....)	39	78
(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ)	40	49
(يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ)	51	5
(إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا)	58	131
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ .....)	59	79، 72
(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ .....)	60	119
(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ.....)	61	119
(وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ .....)	64	72،120
(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ .....)	65	120
(مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ .....)	80	71
(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ .....)	92	15
(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ.....)	122	90 249،
(وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ.....)	124	13 249،
(إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾)	140	113
(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ.....)	151-150	92
(وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾)	162	79
(لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ)	172	166

سورة المائدة

الآية	الرقم	الصفحة
(وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ)	2	19
(وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ.....)	5	16
(لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ.....)	17	164
(مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا.....)	32	70
(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي .....)	37 -36	91
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ .....)	41	112
(إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ .....)	44	24
(وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾)	49	136
(يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٍۚ)	54	136
(وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ.....)	66-65	225
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ .....)	67	70
(وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ .....)	72	55
(مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ.....)	75	165
(فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ .....)	89	20
(فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾)	92	71
(ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ)	116	96

سورة الأنعام

الآية	الرقم	الصفحة
(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ .....)	1	170
(وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ .....)	3	42
(قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ.....)	12	50
(قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ.....)	14	45
(وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾)	18	58 ، 48
(قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ)	19	200، 57

(فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ .....)	33	110
(وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ .....)	35	135
(إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَـٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾)	57	65
(وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ .....)	59	41
(ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ .....)	82	222،223
(وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ .....)	83 -86	76
(مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ)	91	195
(وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا .....)	94	83
(بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ .....)	101	163
(وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ)	107	133
(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ .....)	112	133
(أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ .....)	114	65
(وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ)	115	48
(وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)	116	136
(وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ .....)	121	67
(وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ .....)	124	75
(ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾)	131	198
(وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ)	133	44
(قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾)	162	59
(قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ .....)	164	34

سورة الأعراف

الآية	الرقم	الصفحة
(وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ .....)	9-8	238
(وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ .....)	11 -15	112
(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ)	28	131

(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا.....)	40	92
(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ.....)	42-40	87
(وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾)	43	251
(أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ)	54	64
(ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾)	55	61
(وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ .....)	57	191
(وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ .....)	65	53
(قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ .....)	70	53
(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا.....)	96	229
(وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى .....)	105-104	69
(وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ .....)	140- 138	54
(قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى بِكَلَـٰمِى.....)	144	76
(وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ .....)	148	175
(وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ)	156	49
(قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا.....)	158	76
(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ.....)	172	149
(أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ)	185	152
(قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ .....)	188	74
(وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾)	196	19
(وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ .....)	197	173

سورة الأنفال

الآية	الرقم	الصفحة
(إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ .....)	2	11 ،22، 28،105
(ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾.....)	4-3	11،105
(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ .....)	29	222

سورة التوبة

الآية	الرقم	الصفحة
(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ .....)	23	12
(قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ .....)	24	117
(لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ .....)	26-25	223
(ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ .....)	31	66
(وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا.....)	34	9
(فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٣٨﴾)	38	250
(لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ .....)	45-44	94
(وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ.....)	54	113
(إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ.....)	60	20
(يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ)	61	5-4
(وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ .....)	71	9
(وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا .....)	72	18 ، 8 252، 259،
(وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ .....)	101	17
(إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم .....)	111	123
(وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ .....)	125-124	103

سورة يونس

الآية	الرقم	الصفحة
(وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ)	2	9، 8
(إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ .....)	3	169، 34
(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ .....)	9	17
(وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا .....)	15	69
(قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ .....)	16	206
(فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ .....)	17	92
(وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ.....)	25	251

(لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ)	26	260
(قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ .....)	31	56
(أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم .....)	38	211
(ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ.....)	52	89
(قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾)	58	135
(قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم .....)	59	131
(ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾)	63	18
(قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ .....)	68	46، 161
(وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾)	72	23
(وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ.....)	90 -91	126
(فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ.....)	94	95
(وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ)	99	132،135
(وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ)	100	133
(قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ)	101	152
(قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ.....)	104	55

سورة هود

الآية	الرقم	الصفحة
(الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ.....)	2-1	55
(أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ .....)	14-13	211
(وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ .....)	26-25	53
(قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ)	47	134
(تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ .....)	49	213
(وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ.....)	61	54
(يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَ.....)	98	239
(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ .....)	107-106	241
(إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾)	107	47، 130

سورة يوسف

الآية	الرقم	الصفحة
(وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾)	17	4،5
(وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ.....)	21	48
(وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾)	33	135
(يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ .....)	39	54
(إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ)	40	54،65
(وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾)	103	13
(وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾)	106	57
(حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ.....)	110	97

سورة الرعد

الآية	الرقم	الصفحة
(وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ .....)	5	79
(أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ .....)	16	33، 35
(ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾)	29	17
(وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ.....)	43	201

سورة إبراهيم

الآية	الرقم	الصفحة
(وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ .....)	4	71
(وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ .....)	8	45
(أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَۛ .....)	9	94
(إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ.....)	11	75
(وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ.....)	17-15	246
(مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ .....)	18	14

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى .....)	35	134
(رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ)	40	135

سورة إلحجر

الآية	الرقم	الصفحة
(الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ .....)	2-1	241-24
(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩)	9	214
(وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝٢٣)	23	80
(إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ)	42	240
(.وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٣.....)	43	240
(إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٥ .....)	48- 45	90

سورة إلنحل

الآية	الرقم	الصفحة
(خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ .....)	16-3	159
(أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧)	17	38 158،
(وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠)	20	172
(جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ .....)	31	250
(لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ .....)	35	133
(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ.....)	36	52
(وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ .....)	38	81 185،
(لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ .....)	39	185
(وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ۝٥٧.....)	59-57	167
(وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ)	60	37
(وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ .....)	71	179
(وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا.....)	73	173
(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ .....)	89	19

(إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ)	90	131
(مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ .....)	97	14،232
(مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ.....)	106	113

سورة الإسراء

الآية	الرقم	الصفحة
(وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ.....)	19	14
(أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا .....)	40	167
(أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ .....)	57	179
(قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ .....)	88	211
(وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ .....)	93-90	73
(أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ.....)	99	192
(وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ.....)	111	33

سورة الكهف

الآية	الرقم	الصفحة
(مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ.....)	26	34 ،64
(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ.....)	31-30	253
(وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ .....)	47	82
(وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾)	53	97
(قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ.....)	108 -103	87

سورة مريم

الآية	الرقم	الصفحة
(أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ)	38	60
(إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٤٠﴾)	40	79
(يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾)	44	63

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ .....)	64	44
(رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ .....)	65	38
(وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ .....)	67-66	189
(فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ .....)	70-68	240
(وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيًّا .....)	72-71	238
(يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا .....)	86-85	240
(إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ .....)	93	58 ، 83
(لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾)	94	83
(وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾)	95	84

سورة طه

الآية	الرقم	الصفحة
(ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾)	5	50
(لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾)	52	43
(أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾)	89	175
(إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿٩٨﴾)	98	40 ،171
(فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ .....)	124-123	233

سورة الأنبياء

الآية	الرقم	الصفحة
(أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن .....)	24	177
(وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾)	25	52
(وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾)	35	139
(أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ .....)	43	173

(وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ .....)	47	86
(وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ.....)	65-51	174
(قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ.....)	67-66	54 174،
(إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ.....)	98	239
(إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ.....)	102-101	237

سورة الحج

الآية	الرقم	الصفحة
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ.....)	6-5	190
(وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧)	7	81 190،
(هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ.....)	22-19	247
(فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٥٠)	50	225
(ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ .....)	57-56	87
(أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ .....)	70	40
(وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا.....)	71	177
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ .....)	73	172
(ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ)	75	75

سورة المؤمنون

الآية	الرقم	الصفحة
(قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ .....)	11-1	10،106
(ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۚ .....)	44	93
(وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠)	60	11
(أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم.....)	69-68	206

(قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ .....)	89-84	56
(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ .....)	100- 99	129
(فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾)	101	84
(رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾)	107	129
(ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾)	108	129
(أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا .....)	116-115	183

سورة انور

الآية	الرقم	الصفحة
(وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً .....)	39	14
(إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ.....)	51	65،122

سورة الفرقان

الآية	الرقم	الصفحة
(تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾)	1	77
(وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ .....)	3	173
(بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ .....)	13-11	244
(لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ﴿١٦﴾)	16	250
(أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾)	43	63
(ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ .)	59	50
(وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ)	58	39
(وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا .....)	63	59

سورة الشعراء

الآية	الرقم	الصفحة
(قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾.....)	29-23	154
(وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾)	209-208	197
(وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾)	214	208

سورة النمل

الآية	الرقم	الصفحة
(فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَـٰتُنَا مُبۡصِرَةً.....)	13	111
(وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمًا وَعُلُوّٗاۚ)	14	104،111
(وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ .....)	40	45
(أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ .....)	60	35
(إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ .....)	91	170

سورة القصص

الآية	الرقم	الصفحة
(وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ)	23	239
(إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ)	56	135
(كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ)	88	79

سورة العنكبوت

الآية	الرقم	الصفحة
(أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ .....)	4-2	138
(إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ .....)	17	62 173،
(وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَـٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ .....)	48	209
(وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَـٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦ.....)	51-50	215

سورة الروم

الآية	الرقم	الصفحة

(الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ .....)	5-1	213
(وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ .....)	16-14	88
(ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم.....)	28	180
(ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ .....)	40	36

سورة لقمان

الآية	الرقم	الصفحة
(هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ .....)	11	172
(إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٨)	26	44
(إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۖ .....)	34	41
(وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ .....)	25	56

سورة السجدة

الآية	الرقم	الصفحة
(فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٧)	17	260
(أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ.....)	20-19	88

سورة الأحزاب

الآية	الرقم	الصفحة
(وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ.....)	7	20
(إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ)	35	25، 17
(وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ.....)	36	65
(مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ.....)	40	77
(وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ۝٤٧)	47	9
(يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ .....)	63	41

سورة سباء

الآية	الرقم	الصفحة
(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ.....)	3	41
(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا .....)	7	187
(وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ .....)	21-20	94
(قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ .....)	22	34 173،
(وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا)	28	76
(وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ .....)	35-34	89
(وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ.....)	37	89،108
(أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾)	40	95
(قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ .....)	41	96

سورة فاطر

الآية	الرقم	الصفحة
(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ.....)	1	33
(مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَا .....)	2	35
(فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ)	8	135
(مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ .....)	10	228
(يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ.....)	13	34 173،
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ.....)	15	44
(جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ.....)	33	253
(وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ .....)	35-34	251
(وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ .....)	36	248
(قُلۡ أَرَءَيۡتُم شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ.....)	40	178
(وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ.....)	44	47

سورة يس

الآية	الرقم	الصفحة

(إن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً.....)	54-53	86
(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ .....)	61-60	63
(أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ .....)	79-77	189
(أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ .....)	81	192
(إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾)	82	131
(فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾)	83	33

سورة الصافات

الآية	الرقم	الصفحة
(أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ .....)	65-62	246
(قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾)	28	203
(يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ .....)	47-45	256
(وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ .)	105-104	109

سورة ص

الآية	الرقم	الصفحة
(وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ.....)	5-4	57
(إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ)	24	136
(أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ .....)	28	186

سورة الزمر

الآية	الرقم	الصفحة
(وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ.....)	3	176
(إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ .....)	7	45
(لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ.....)	20	252
(قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ.....)	53	19 101،
(وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾)	61	237

الآية	الرقم	الصفحة
(وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن.....)	68	81-80

سورة غافر

الآية	الرقم	الصفحة
(رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا.....)	7	49
(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ.....)	10	13
(وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾)	31	58
(إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا .....)	51	229
(وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ.....)	60	61
(ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ .....)	72-70	93
(فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ.....)	85-84	126

سورة فصلت

الآية	الرقم	الصفحة
(قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ.....)	6	73
(فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ.....)	15	159
(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ.....)	17	221
(وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ .....)	37	60
(وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا .....)	39	191

سورة الشورى

الآية	الرقم	الصفحة
(وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ.....)	7	76

(وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ .....)	10	65
(لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾)	11	37
(أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ .....)	21	131
(أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ .....)	24	203
(وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ .....)	52	221، 6

سورة الزخرف

الآية	الرقم	الصفحة
(وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ .....)	27-26	54
(وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ .....)	45	53
(يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾)	68	59
(ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا .....)	70-69	25
(يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ .....)	71	250
(وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾)	72	108
(إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ .....)	75-74	248

سورة الدخان

الآية	الرقم	الصفحة
(إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾ .....)	51	91،251
(فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾ .....)-53	52	91
(كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٥٤﴾ .....)	54	91،257
(يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾)-56	55	91

سورة الجاثية

الآية	الرقم	الصفحة
(أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ .....)	21	186
(وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ .....)	24	155

(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ.....)	32-30	95
(وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ.....)	35-34	91

سورة الأحقاف

الآية	الرقم	الصفحة
(قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي.....)	4	178
(أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ.....)	8	201
(قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ.....)	9	73 ،200
(أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ .....)	33	192

سورة محمد

الآية	الرقم	الصفحة
(مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ.....)	15	256
(وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ .....)	38	44

سورة الفتح

الآية	الرقم	الصفحة
(إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ.....)	26	223

سورة الحجرات

الآية	الرقم	الصفحة
(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي.....)	7	7
(قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ .....)	14	26
(إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ.....)	15	11،27،106

سورة ق

الآية	الرقم	الصفحة
(بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم .....)	3-2	82،188

(قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ۝٤)	4	82
(أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا .....)	6	152
(وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ .....)	16	43

سورة الذاريات

الآية	الرقم	الصفحة
(فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا.....)	36-35	25
(وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦)	56	64،44،116
(مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧.....)	58-57	44

سورة الطور

الآية	الرقم	الصفحة
(وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢)	22	254
(وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ۝٢٤)	24	257
(أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ .....)	34-33	211
(أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥)	35	150

سورة النجم

الآية	الرقم	الصفحة
(وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ .....)	4-1	68
(أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢)	22-21	167
(فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ .....)	32	28

سورة القمر

الآية	الرقم	الصفحة
(وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠)	50	47 131،

سورة الرحمن

الآية	الرقم	الصفحة
(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾)	27-26	79
(فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾)	56	258
(كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾)	58	258
(فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾)	70	258
(حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾)	72	253

سورة الواقعة

الآية	الرقم	الصفحة
(إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ .....)	3-1	89
(وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾)	21-20	254
(وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾)	23-22	258
(وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ.....)	33-27	255
(إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ .....)	38-35	258
(وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ .....)	44-41	243
(ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ .....)	53-51	245

سورة الحديد

الآية	الرقم	الصفحة
(هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ .....)	3	39
(يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم .....)	12	9
(سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ۚ .....)	21	252
(يَٰٓأَيُّهَاهُوَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ ۚ .....)	28	222

سورة المجادلة

الآية	الرقم	الصفحة
(أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ .....)	7	42

(لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ .....)	22	118

سورة الحشر

الآية	الرقم	الصفحة
(هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ.....)	23	171

سورة الممتحنة

الآية	الرقم	الصفحة
(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ .....)	10	16

سورة الصف

الآية	الرقم	الصفحة
(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ.....)	11-10	238

سورة الجمعة

الآية	الرقم	الصفحة
(قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُواْ.....)	7-6	215

سورة المنافقون

الآية	الرقم	الصفحة
(إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ.....)	1	27
(وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)	8	228

سورة التغابن

الآية	الرقم	الصفحة
(وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ)	11	222

سورة الطلاق

الآية	الرقم	الصفحة
(إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ .....)	3	48
(وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ.)	3-2	225

سورة التحريم

الآية	الرقم	الصفحة
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا.....)	6	243
(ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ .....)	10	25

سورة الملك

الآية	الرقم	الصفحة
(مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ.....)	4-3	152
(وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝.....)	7-6	244

سورة القلم

الآية	الرقم	الصفحة
(أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ۝)	36-35	186

سورة الحاقة

الآية	الرقم	الصفحة

(قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾)	23	255
(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ .....)	47-44	202

سورة الجن

الآية	الرقم	الصفحة
(عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ.....)	27-26	74

سورة المزمل

الآية	الرقم	الصفحة
(إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالاً وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾)	13-12	245

سورة القيامة

الآية	الرقم	الصفحة
(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾)	23-22	260
(أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾)	36	197

سورة الإنسان

الآية	الرقم	الصفحة
(إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ.....)	6-5	59
(وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا)	19	256
(وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾)	20	252
(عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ .....)	21	240،253
(إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾)	22	240

سورة النازعات

الآية	الرقم	الصفحة
(يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾.....)	12-10	187

سورة عبس

الآية	الرقم	الصفحة
(يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ.....)	36-34	85

سورة الإنفطار

الآية	الرقم	الصفحة
(يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾)	19	85

سورة البروج

الآية	الرقم	الصفحة
(وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ .....)	9-1	140
(ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾)	16-15	47

سورة الأعلى

الآية	الرقم	الصفحة
(بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾)	17-16	249

سورة الغاشية

الآية	الرقم	الصفحة
(وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ .....)	7-2	245
(إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾)	26-25	86

سورة الفجر

الآية	الرقم	الصفحة
(فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ.....)	17-15	139

سورة التين

الآية	الرقم	الصفحة

(لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝)	4	184
(فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝)	7	184

سورة القارعة

الآية	الرقم	الصفحة
(فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ .....)	7-6	238
(وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ .....)	11-8	9،238

سورة التكاثر

الآية	الرقم	الصفحة

سورة قريش

الآية	الرقم	الصفحة
(وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝)	4	4،5

سورة الماعون

الآية	الرقم	الصفحة
(فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝)	5-4	9

سورة الكوثر

الآية	الرقم	الصفحة
(إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝)	2-1	60

سورة الكافرون

الآية	الرقم	الصفحة
(قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝ .....)	6-1	56

سورة المسد

الآية	الرقم	الصفحة

(تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢)	2-1	208

سورة الإخلاص

الآية	الرقم	الصفحة
(قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ .....)	3-1	39
(ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢)	2	37 ،39
(وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤)	4	37

فهرس الأحاديث المرفوعة

فهرس الأحاديث المرفوعة

أ

الحديث	الصفحة
« أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده .....»	259
« أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان.....»	242
« إذا دخل أهل الجنّة الجنّة .....»	260
« إذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار في النار.....»	24،241
« أرأيتكم لو أخبرتكم أنّ خيلاً بالوادي .....»	208
« الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاّ الله.....»	26
« الإسلام علانية والإيمان في القلب.....»	26
« أعتقها فإنّها مؤمنة.....»	15
« أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت.....»	260
« أقال لا إله إلاّ الله وقتلته.....»	15
« أكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلاّ حق.....»	68
« أليس يحرّمون ما أحلّ الله فتحرّمونه.....»	66
« أمرت أن أقاتل الناس.....»	15
« إنّ الحميم ليصبّ على رؤوسهم.....»	247
« إنّ الله لا يسألكم عن أحسابكم.....»	90
« إنّ الله لا ينظر إلى صوركم.....»	90
« إنّ الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر.....»	128
« إنّ رحمتي سبقت غضبي.....»	50
« إنّ طير الجنّة كأمثال البخت.....»	254
« إنّ في الجنّة لغرفًا يرى ظهورها من بطونها.....»	252
« إنّ للمؤمن في الجنّة لخيمة من لؤلؤة واحدة.....»	253
« إنّك تأتي قومًا من أهل الكتاب .....»	13
« إنّكم محشورون حفاة عراة.....»	84
« إنّي لأعرف آخر أهل النار خروجًا.....»	250
« إنّي لأعطي الرجل وغيره أحبّ إليّ منه.....»	28
« أوّل زمرة تدخل الجنّة.....»	259
« أي عم قل لا إله إلاّ الله .....»	128

خ

الحديث	الصفحة
« خضّد الله شوكه فجعل مكان كلّ شوكة تمرة.....»	255

د

الحديث	الصفحة
« الدعاء هو العبادة.....»	62

س

الحديث	الصفحة
« سئل النبي صلى الله عليه و سلم أيّ العمل أفضل.....»	108
« سأل أبو ذرّ النبي صلى الله عليه و سلم عن الإيمان.....»	106
« سأل موسى ربّه ما أدنى أهل الجنّة منزلة.....»	252

ك

الحديث	الصفحة
«كان النبيّ يبعث إلى قومه خاصة.....»	77
«كان رجل ممّن كان قبلكم يسرف على نفسه.....»	82
«كتب على ابن آدم حظّه من الزنا.....»	109

ل

الحديث	الصفحة
« لا أشك ولا أسأل.....»	96
« لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه.....»	28
« لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه.....»	28
« لا يا بنت الصدّيق هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدّق.....»	11
« لا يزني الزاني حين يزني.....»	28
« لبنة من فضة ولبنة من ذهب.....»	252
« للّه أرحم بعباده من هذه بولدها .....»	51
« لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنّة.....»	254،259
« لو أنّ رجلاً من أهل الجنّة اطّلع.....»	254
« لو أنّ قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا.....»	246

« لو أنّ موسى كان حيًا.....» 23

م

الحديث الصفحة
« ما أحلّ الله في كتابه فهو حلال.....» 44
« مازلت أعرف أنّ الذي هم عليه كفر.....» 6
« مفاتح الغيب خمس.....» 41

ن

الحديث الصفحة
« نحن أحق بالشك من إبراهيم.....» 101
« النوم أخو الموت.....» 40

ه

الحديث الصفحة
« هل في الجنّة من خيل.....» 250

و

الحديث الصفحة
« والله ما الدنيا في الآخرة إلاّ مثل ما يجعل أحدكم أصبعه.....» 250
« والله ما الفقر أخشى عليكم.....» 139
« الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلاّ دخلها.....» 239
« الولد للفراش وللعاهر الحجر.....» 21

ي

الحديث الصفحة
« يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح.....» 91
« يا عبادي إنّكم لن تبلغوا ضرّي.....» 46
« يخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله.....» 242

« يضرب الجسر على جهنم وتحلّ الشفاعة.....» 241
« ينادي منادٍ إنّ لكم أن تصحّوا فلا تسقموا.....» 251

فهرس الآثار الموقوفة

فهرس الآثار الموقوفة

أ

الأثـــر	الراوي	الصفحة
« أتـعرف محمدًا كما تعرف.....»	عمر	110
« أجرا حسنا بما قدّموا .....»	ابن عباس	8
« أفضل العبادة الدعاء .....»	ابن عباس	61
« أما إنّهم لم يكونوا يصومون لهم.....»	حذيفة	66
« إنّ العبد ليجرّ إلى النار، فتشهق.....»	ابن عباس	244
« أنّ هـ ذه الحجـ ارة مـ ن الكبريـ ت الأسود.....»	ابن مسعود	243
« أهي كذبُوا أم كذّبوا.....»	عائشة	99
« أي بالرخاء والشدّة.....»	ابن عباس	139
« أي فضلتك على الناس.....»	ابن عباس	76
« أي ما عظّموا الله.....»	ابن عباس	195
« أي هل تعلم للربّ مثلا .....»	ابن عباس	38
« أي آية في كتاب الله أرجى.....»	ابن عباس	101
« فضل الله القرآن.....»	أبو سعيد الخضري	136

خ

الأثـــر	الراوي	الصفحة
« خلق الله اللوح المحفوظ.....»	ابن عباس	40

ص

الأثـــر	الراوي	الصفحة
« الصـ ديد مـ ا يسـ يل بـ ين جلـ د الكـ افر ولحمه.....»	ابن عباس	246

« الصمد هو الذي يصمد إليه .....»	ابن عباس	37
« الصمد هو السيد .....»	ابن عباس	37

ق

الأثـــر	الراوي	الصفحة
« قل إني في الجنة.....»	ابن مسعود	28

ك

الأثـــر	الراوي	الصفحة
«كلما هوى شيئًا ركبه.....»	ابن عباس	64
«كنت لا أدري ما فاطر.....»	ابن عباس	33

ل

الأثـــر	الراوي	الصفحة
« لا يملك أحدٌ معه.....»	ابن عباس	85
« لما أسري برسول الله.....»	ابن عباس	53

م

ي

الأثـــر	الراوي	الصفحة
« مات على القبلة قبل أن تحوّل .....»	البراء بن عازب	107
« من حدّثك أنّ محمدًا كتم شيئاً.....»	عائشة	71

الأثـــر	الراوي	الصفحة
« يؤخذ بيد العبد أو الأمة.....»	ابن مسعود	85

فهرس المصادر و المراجع

فهرس المصادر و المراجع

القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم.

أ

1- أحمد
المسند للإمام أحمد بن حنبل-بتحقيق أحمد شاكر – دار الحديث- القاهرة- مصر- الطبعة الأولى 1416هـ-1996م.
2- الأدلة العقلية النقلية
الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد- سعود بن عبد العزيز العريفي- دار الفوائد – مكّة المكرّمة -السعودية- الطبعة الأولى 1419هـ.
3- إرشاد الثقات
إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوّات - محمد علي الشوكاني - دار الكتب العلمية –بيروت-لبنان- الطبعة الأولى 1404هـ-1984م.
4- إرواء الغليل
إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - محمّد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي – الطبعة الأولى 1399هـ-1979م.
5- أساس البلاغة
أساس البلاغة- جار الله محمود بن عمر الزمخشري- دار الهدى- عين مليلة- الجزائر.
6- الاستيعاب
الاستيعاب في معرفة الأصحاب -أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ القرطبي- دار الكتب العلمية –بيروت-لبنان- الطبعة الأولى 1415هـ-1995م.
7- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى
الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته -شمس الدين محمد بن أحمد القرطبي- المكتبة العصرية –بيروت-لبنان- الطبعة الأولى 1426هـ-2005م.

8- الإصابة
الإصابة في تمييز الصحابة –أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان- الطبعة الأولى 1415هـ-1995م.
9- أضواء البيان
أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- محمّد الأمين بن محمّد المختار الشنقيطي- مكتبة ابن تيمية – القاهرة- مصر- 1408هـ-1988م.
10- الأعلام
الأعلام – خير الدين الزركلي -دار العلم للملايين –بيروت-لبنان-الطبعة الثامنة

1989م.
11- الإيمان
الإيمان – تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية-طبعة المكتب الإسلامي- الطبعة الخامسة 1416هـ-1996م.
12- الإيمان
كتاب الإيمان – أبو بكر عبد الله بن محمّد بن أبي شيبة-تحقيق محمد ناصر الدين الألباني-المكتب الإسلامي – الطبعة الثانية 1403 هـ -م.1983
13- الإيمان والحياة
الإيمان والحياة- يوسف القرضاوي-مكتبة وهبة – القاهرة-مصر-الطبعة الرابعة عشر 1425هـ-2005م.

ب

14- البحر المحيط
البحر المحيط في التفسير- محمد بن يوسف الشهير بأبي حبّان الأندلسي-دار الفكر- بيروت- لبنان- 1425 هـ -2005م.
15- البخاري
الجامع الصحيح - أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري-دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

ت

16- التحرير والتنوير
تفسير التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور-دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس- .1997
17- تحفة الأحوذي
تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي- محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري- دار الفكر-بيروت-لبنان . 1424هـ-2003م.
18- التذكرة
التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة- شمس الدين محمّد بن أحمد القرطبي- دار المعرفة –بيروت-لبنان- الطبعة الثانية 1417هـ-1997م.
19- الترغيب والترهيب
الترغيب والترهيب – عبد العظيم بن عبد القوي المنذري-دار ابن رجب – المنصورة-مصر-الطبعة الأولى 1423هـ-2003م.
20- الترمذي

الجامع الصحيح- أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي-دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

21- تعريف عام بدين الإسلام

تعريف عام بدين الإسلام – علي الطنطاوي -دار الوفاء- المنصورة-مصر-الطبعة الرابعة عشر 1412هـ-1992م.

22- تعظيم قدر الصلاة

تعظيم قدر الصلاة – محمّد بن نصر المروزي-مكتبة العلم– القاهرة- مصر الطبعة الأولى 1421 هـ -2000م.

23- تفسير ابن كثير

تفسير القرآن العظيم – عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي – دار الأندلس – بيروت- لبنان.

24- تفسير أبي السعود

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم-أبو السعود بن محّمد العمادي الحنفي- مكتبة الرياض الحديثة – الرياض-السعودية.

25- تفسير الطبري

جامع البيان في تأويل القرآن – لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري-دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الثالثة 1420هـ-1999م.

26- تفسير القرطبي

الجامع لأحكام القرآن- أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي-دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الخامسة 1417ه-1996م.

27- التفسير الكبير

التفسير الكبير-تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية-دار الكتب العلمية –بيروت- لبنان.

28- تفسير الكشاف

تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – جار الله محمود بن عمر بن محمّد الزمخشري- دار الكتب العلمية –بيروت- لبنان- الطبعة الثالثة 1424هـ- 2003م.

29- تفسير النسفي

مدارك التنزيل وحقائق التأويل- عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي-المكتبة التوفيقية- القاهرة- مصر.

30- التهذيب التهذيب

تهذيب التهذيب –أحمد بن حجر العسقلاني-دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان الطبعة الثانية 1413هـ-1993م.

31- التيسير في القراءات السبع

التيسير في القراءات السبع-أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني- مكتبة العلم – القاهرة- مصر- الطبعة الأولى 1424هـ- 2003م.

ج

32- جامع العلوم والحكم
جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلالم-أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلي-دار الفكر – بيروت- لبنان- 1421هـ-2000م.

33- الجامع لتفسير ابن القيّم
بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيّم الجوزية- جمعه ووثّق نصوصه وخرّج أحاديثه يسري السيّد محمّد-دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية- الطبعة الأولى 1414هـ-1993م.

34- جواهر القرآن
جواهر القرآن-أبو حامد الغزالي-المكتبة العصرية-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى 1426هـ-2005م.

ح

35- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح
حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح-شمس الدين محمّد بن أبي بكر المعروف بابن القيّم- دار البيان – دمشق-سورية-الطبعة الثالثة 1423 هـ -2003م.

36- حلية الأولياء
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء-أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان- الطبعة الأولى 1409 هـ-1989م.

خ

37- خصائص التصوّر الإسلامي ومقوّماته
خصائص التصور الإسلامي ومقوماته-سيد قطب-دار الشروق-الطبعة السابعة 1402هـ-1982م.

د

39- الدارمي
سنن الدارمي – أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي- دار المغني للنشر والتوزيع – الرياض- السعودية- الطبعة الأولى 1421هـ-2000م.

40- أبو داود
سنن أبي داود- أبو داود سليمان بن الأشعث السيجستاني-دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

41- الدّر المنثور
الدّر المنثور في التفسير بالمأثور – جلال الدين السيوطي-تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي -مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية – القاهرة – مصر -الطبعة الأولى 1424هـ-2003م.

42- الدرر الكامنة
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة- شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني- أم القرى للطباعة والنشر – القاهرة-مصر.

43- دلائل التوحيد
دلائل التوحيد – محمّد جمال الدين القاسمي-دار الكتب العلمية –بيروت-لبنان الطبعة الأولى 1405هـ-1984م.

44- دلائل النبوّة
أحمد بن الحسين البيهقي-دار الفكر- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى 1418هـ-1997م.

45- الدلالة العقلية في القرآن
الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية-عبد الكريم نوفان عبيدات-دار النفائس -عمّان- الأردن- الطبعة الأولى 1420هـ-2000م

46- الديباج
الديباج المذّهب في معرفة أعيان المذهب-إبراهيم بن نور الدين بن فرحون-دار الكتب العلمية –بيروت-لبنان- الطبعة الأولى 1417هـ-1997م.

ر

47- الروح
الروح-شمس الدين محمّد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية-دار المعرفة – بيروت-لبنان-الطبعة الأولى 1426هـ-2005م.

48- روح المعاني
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني-أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي-دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

ز

49- زاد المسير
زاد المسير في علم التفسير- أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي- دار الفكر- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى 1407ه-1987م.

س

50- السلسلة الصحيحة
سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها-محمّد ناصر الدين الألباني- مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض-السعودية- الطبعة الأولى 1422 هـ- 2002م.
51- السلسلة الضعيفة
سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمّة- محمّد ناصر الدين الألباني- مكتبة المعارف –الرياض-السعودية-الطبعة الأولى 1422هـ-2002م
52- السيرة النبوية
السيرة النبوية- أبو الفداء إسماعيل بن كثير- دار الفكر- بيروت- لبنان- 1411هـ- 1990م
53- السيرة النبوية
السيرة النبوية- عبد الملك بن هشام المعافري- المكتبة العلمية- بيروت- لبنان.

ش

54- شجرة النور الزكية
شجرة النور الزكية في طبقات المالكية- محمد بن محمد مخلوف- دار الكتب العلمية –بيروت-لبنان- الطبعة الأولى 1424هـ-2004م.
55- شرح العقيدة الأصفهانية
شرح العقيدة الأصفهانية – تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية- المكتبة العصرية – بيروت-لبنان-الطبعة الأولى 1425 هـ-2005م.
56- شرح النووي على مسلم
شرح مسلم- محي الدين يحي بن شرف النووي- مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- القاهرة- مصر- الطبعة الأولى 2001م.
57- الشفا
الشفا بتعريف حقوق المصطفى -صلى الله عليه و سلم القاضي أبو الفضل عياض الحصبي- دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان.
58- شفاء العليل
شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل- شمس الدين محمّد بن أبي

بكر المعروف بابن القيم الجوزية-دار الكتب العربي- بيروت- لبنان- الطبعة الثالثة 1418هـ-1998م.

ص

59- صحيح أبي داود
صحيح سنن أبي داود – محمّد ناصر الدين الألباني- مكتبة المعارف –الرياض- السعودية- الطبعة الأولى 1419هـ-1998م.
60- صحيح الترغيب والترهيب
صحيح الترغيب والترهيب – محمّد ناصر الدين الألباني- مكتبة المعارف –الرياض- السعودية-الطبعة الأولى 1421هـ-2001م.
61- صحيح الترمذي
صحيح سنن الترمذي – محمّد ناصر الدين الألباني- مكتبة المعارف –الرياض- السعودية -الطبعة الأولى 1420هـ-2000م.
62- صحيح الجامع
صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)-محمّد ناصر الدين الألباني-المكتب الإسلامي – الطبعة الثالثة 1408هـ-1988م.
63- صحيح مسلم
مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري- دار ابن حزم – بيروت- لبنان- الطبعة الأولى 1416هـ -1995م.

ض

64- ضعيف الجامع
ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)- محمّد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي – الطبعة الثالثة 1408هـ-1988م.

ط

65- طريق الهجرتين
طريق الهجرتين وباب السعادتين-شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيّم الجوزية-دار الفكر- بيروت-لبنان- الطبعة الأولى 1425هـ-2005م.

غ

66- غاية المرام
غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام – محمّد ناصر الدين الألباني-المكتب الإسلامي – الطبعة الأولى 1400هـ-1980م.

67- غيث النفع في القراءات السبع
غيث النفع في القراءات السبع- علي النوري بن محمّد السفاقسي-دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان- الطبعة الأولى 1425هـ-2004م.

ف

68- فتح الباري
فتح الباري شرح صحيح البخاري-زين الدين أبو الفرج بن رجب الحنبلي-مكتبة الغرباء الأثرية-المدينة المنوّرة-السعودية-الطبعة الأولى 1417هـ-1996م.
69- فتح الباري
فتح الباري شرح صحيح البخاري- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- مكتبة دار السلام- الرياض- السعودية- الطبعة الثالثة 1421ه-2000م.

70- فتح القدير
فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير- محمّد بن علي بن محمّد الشوكاني- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.
71- الفصل في الملل والأهواء والنحل
الفصل في الملل والأهواء والنحل- أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم- دار الكتب العلمية – بيروت-لبنان- الطبعة الثانية 1420هـ-1999م.
72- الفوائد
الفوائد-شمس الدين محمّد بن أبي بكر المعروف بابن قيّم الجوزية- دار النفائس
73- في ظلال القرآن :
في ظلال القرآن -سيّد قطب- دار الشروق- القاهرة- مصر- الطبعة الرابعة والثلاثون 1425هـ -2004م.

غ

74- القاموس المحيط
القاموس المحيط- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي- دار الجيل- بيروت- لبنان.
75- قذائف الحق
قذائف الحق –محمد الغزالي- دار القلم- دمشق- سورية- الطبعة الأولى 1411هـ-1991م.
76- القضاء والقدر
القضاء والقدر-عمر سليمان الأشقر-دار النفائس-عمّان-الأردن- الطبعة الثالثة عشر

1425هـ-2005م.
77- القيامة الكبرى
القيامة الكبرى- عمر سليمان الأشقر- دار النفائس-عمّان-الأردن- الطبعة السادسة 1415هـ-1995م.

ك

78- كبرى اليقينيات الكونية
كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق-محمّد سعيد رمضان البوطي- دار الفكر-دمشق-سورية- تصوير عن الطبعة الثامنة 1417هـ-1997م.

ل

79- لباب النقول في أسباب النزول
لباب النقول في أسباب النزول- جلال الدين السيوطي- دار المعرفة- بيروت- لبنان- الطبعة الثانية 1419 هـ -1998م.
80- لسان العرب
لسان العرب - محمد بن مكرم بن علي بن منظور- دار صادر- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى 1997م.

م

81- ابن ماجه
سنن ابن ماجه - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
82- مباحث في إعجاز القرآن
مباحث في إعجاز القرآن – مصطفى مسلم- دار المسلم للنشر والتوزيع-الرياض- السعودية- الطبعة الثانية 1416هـ-1996م.
83- مجموع الفتاوى
مجموعة الفتاوى- تقيّ الدين أحمد بن تيمية الحرّانّي- دار الوفاء- المنصورة- مصر- الطبعة الثانية 1421ه- 2001م.
84- المحرّر الوجيز
المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- أبو محمّد عبد الحق بن غالب بن عطيّة الأندلسي- دار الكتاب الإسلامي- القاهرة- مصر- الطبعة الثانية.
85- مختار الصحّاح

مختار الصحّاح - محمّد بن أبي بكر الرازي- مكتبة لبنان ناشرون- بيروت- لبنان – 1995م

86- مختصر الصواعق المرسلة

مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيّم الجوزية -اختصار محمّد بن الموصلي- مكتبة أضواء السلف – الطبعة الأولى1425هـ-2004م.

87- مدارج السالكين

مدارج السالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية-دار الجيل- بيروت- لبنان.

88- المستدرك

المستدرك على الصحيحين – أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري- دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان- الطبعة الأولى 1411 هـ -1990م.

89- المصنّف

المصنّف–أبو بكر عبد الرزّاق بن همّام الصنعاني-المجلس العلمي- جوها نسبرغ- جنوب إفريقيا- الطبعة الثانية 1403هـ-1983م.

90- المطالب العالية

المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية-أحمد بن علي بن حجر العسقلاني-دار العاصمة-الرياض-السعودية- الطبعة الأولى 1420هـ-2000م.

91- معالم التنزيل

معالم التنزيل – الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي-دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى 1414 هـ -1993م.

92- معالم في الطريق

سيّد قطب-دار الشروق- القاهرة- مصر .

93- معاني القرآن

معاني القرآن وإعرابه-أبو إسحاق إبراهيم بن السرّي الزّجاج- دار الحديث- القاهرة- مصر-1424هـ -2004م .

94- معاني القرآن

معاني القرآن -أبو جعفر أحمد بن محمد السرادي النحاس- دار الحديث- القاهرة- مصر- 1425 هـ -2004م.

95- معجم المفسرين

معجم المفسرين– عادل نويهض- مؤسسة نويهض الثقافية- الطبعة الأولى 1403هـ-1983م.

96- معجم مقاييس اللّغة

معجم مقاييس اللّغة - أحمد بن فارس بن زكريا-دار الجيل- بيروت- لبنان.

97- مفاتيح الغيب

التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب- فخر الدين محمّد بن عمر الرازي-المكتبة التوفيقية- القاهرة- مصر.

98- مفتاح دار السعادة

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة-شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية- دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان- 1419هـ-1998م.

99- المفردات في غريب القرآن

المفردات في غريب القرآن- أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهاني- دار المعرفة – بيروت- لبنان- الطبعة الأولى 1418هـ-1998م.

100- مقالات الإسلاميين

مقالات الإسلاميين- أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد-الطبعة الثانية 1405هـ-1985م.

101- مقوّمات التصوّر الإسلامي

مقوّمات التصوّر الإسلامي – سيد قطب- دار الشروق- الطبعة الثالثة 1408هـ-1988م

102- مناهج الأدلّة

مناهج الأدلّة في عقائد الملّة – ابن رشد- مكتبة انجلوا المصرية –القاهرة-مصر- الطبعة الثالثة.

103- الموافقات

الموافقات في أصول الأحكام- أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشهير بالشاطبي-دار الفكر –بيروت- لبنان.

ن

104- النبوّات

النبوّات-تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية- المكتبة العصرية-بيروت-لبنان- 1424هـ-2004م.

105- نظم الدّرر

نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور- برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الثانية 1424 هـ - 2003م

106- نهاية الإقدام في علم الكلام

نهاية الإقدام في علم الكلام- محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني- دار الكتب العلمية – بيروت-لبنان- الطبعة الأولى 1425هـ-2004م.

107- النهاية في الفتن والملاحم

النهاية في الفتن والملاحم- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي-دار

الكتب العلمية-بيروت-لبنان- الطبعة الأولى 1419هـ-1998م
108- النهاية في غريب الحديث
النهاية في غريب الحديث والأثر- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري-دار الكتب العلمية –بيروت-لبنان- الطبعة الثانية 1423هـ-2002م.
109- نواقض الإيمان القولية والعملية
نواقض الإيمان القولية والعملية- عبد العزيز بن محمّد العبد اللطيف- دار الوطن- الرياض-السعودية-الطبعة الثانية 1415هـ.
110- نيل الابتهاج
نيل الابتهاج في تطريز الديباج- أحمد بابا التنبكتي- مكتبة الثقافة الدينية –القاهرة – مصر- الطبعة الأولى 1423هـ- 2003م.
هـ
111- هداية الحيارى
هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى-شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية-مكتبة الصفا- القاهرة-مصر-الطبعة الأولى 1426هـ-2005م.
و
112- الوجوه والنظائر
الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز-أبو عبد الله الحسين بن محمّد الدامغاني- دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان.
113- وفيات الأعيان
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان -شمس الدين أحمد بن محمد بن خلّكان-دار صادر –بيروت-لبنان- 1414هـ-1994م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	
الفصل الأول :حقيقة الإيمان في القرآن الكريم	1
المبحث الأول : مسمى الإيمان في اللغة وفي القرآن الكريم	3
أولا : مسمّى الإيمان في اللّغة	4
ثانيا : مسمّى الإيمان في القرآن الكريم	5
أ - ورود لفظ الإيمان مطلقا	5
1- ورود لفظ الإيمان بالمعنى العام	6
- الآيات الواردة في سياق الترغيب في الإيمان	6
- الآيات الواردة في وعد المؤمنين بالجنة	8
- الآيات الواردة في وصف المؤمنين	9
2- ورود الإيمان بالمعنى الخاص	12
- ورود الإيمان في مقابل الكفر	12
- ورود الإيمان كشرط في قبول الأعمال	13
- ورود الإيمان في سياق تقرير الأحكام الظاهرة	15
ب- ورود لفظ الإيمان مقترنا بغيره	17
- العلاقة بين الإيمان والإسلام	22
المبحث الثاني: أركان الإيمان في القرآن الكريم	30
المطلب الأوّل: التصديق	32
القسم الأول: التصديق المجمل	32
أولا: الإيمان بالله تعالى	32

- الإيمان بالله تعالى خالقا مالكا متصرفا..... 33
- الإيمان بأنّ لله تعالى صفات الكمال المطلق..... 36
- الإيمان باستحقاق الله تعالى العبادة و بطلان عبادة ما سواه..... 52
- مسمى العبادة في اللغة وفي القرآن الكريم 57
ثانيا: الإيمان بنبوّة محمّد ρ..... 68
1- الإيمان بأنّ محمدا صلى الله عليه و سلم مبلغ عن الله تعالى 68
2 - الإيمان بوجوب طاعة النبي ρ 71
3 - الإيمان بأنّ محمدا ρ بشر..... 73
4 - الإيمان بعموم رسالته ρ..... 76
ثالثا: الإيمان باليوم الآخر..... 77
- القواعد الأساسية للإيمان باليوم الآخر في القرآن الكريم 79
القاعدة الأولى: فناء العالم الذي نعيش فيه..... 79
القاعدة الثانية: إعادة إحياء الموتى ليحاسبوا على أعمالهم..... 81
القاعدة الثالثة: إثابة المؤمنين بالجنة ومعاقبة الكافرين و العصاة في النار..... 87
القسم الثاني التصديق المفـصّل..... 92
- الآيات الدالة على أنّ التكذيب أو الشك في شيء ممّا أخبر به الله تعالى أو رسوله يعدّ كفرا 92
معنى قوله تعالى : { فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ } 95
معنى قوله تعالى: { ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ }..... 96
معنى قوله تعالى: { حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ }..... 97
معنى قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ }..... 101

- الآيات الدالة على قبول الإيمان التفاضل قلّة وكثرة وقوّة وضعفا. 103
المطلب الثاني: الإنقياد 105
- أوجه دلالة القرآن الكريم على أنّ الانقياد ركن في الإيمان 105
الوجه الأوّل : الآيات الدالة على شمول لفظ الإيمان التصديق و العمل 105
الوجه الثاني: الآيات الدالة على أنّ كثيرا من الكفار مصدقون في الباطن بدعوة الرسل 109
الوجه الثالث: الآيات الدالة على أهمية العمل 114
المبحث الثالث معالم مهمة لحقيقة الإيمان في القرآن الكريم 125
المطلب الأوّل: عدم نفع الإيمان عند حلول العذاب أو الموت 126
المطلب الثاني: لا إيمان إلاّ بمشيئة الله تعالى 130
المطلب الثالث: أكثر الناس لا يؤمنون 136
المطلب الرابع : اقتران الإيمان بالابتلاء 137
الفصل الثاني براهين الإيمان في القرآن الكريم 144
المبحث الأول: براهين الإيمان بالله تعالى. 146
المطلب الأول: براهين الإيمان بالله تعالى خالقا مالكا متصرفا 147
المطلب الثاني: براهين اتصاف الله تعالى بصفات الكمال المطلق وتنزهه عن النقص 157
أوّلاً : براهين اتصاف الله تعالى بصفات الكمال المطلق إجمالاً 157
ثانيا: براهين إبطال نسبة الولد لله تعالى 160
- إبطال قول اليهود أنّ عزيرا ابن الله 161
- إبطال قول النصارى أنّ المسيح ابن الله 162
- إبطال قول مشركي العرب أنّ الملائكة بنات الله 166
المطلب الثالث: براهين استحقاق الله تعالى العبادة وانتفاء ذلك عمّا سواه 169

أوّلاً: براهين استحقاق الله تعالى العبادة 169
ثانيًا: براهين إبطال ألوهية ما سوى الله تعالى..... 171
1- بيان عجز الآلهة المزعومة عن الخلق. 172
2- بيان عجز الآلهة المزعومة عن الدفاع عن نفسها. 173
3- بيان عجز الآلهة المزعومة عن الكلام..... 175
- براهين إبطال زعم المشركين أنّ آلهتهم وسائط بينهم وبين الله تعالى. 176
المبحث الثاني: براهين الإيمان باليوم الآخر. 181
المطلب الأوّل: براهين إثبات اليوم الآخر..... 183
المطلب الثاني: براهين تفنيد شبهة منكري اليوم الآخر..... 187
أوّلاً: الاستدلال بخلق الإنسان..... 189
ثانيًا: الاستدلال بإحياء الأرض الميّتة..... 191
ثالثًا: الاستدلال بخلق السماوات والأرض..... 192
المبحث الثالث: براهين الإيمان بنبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم**.** 193
المطلب الأوّل: دلالة كمال صفات الله تعالى على نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم 195
المطلب الثاني: دلالة سيرة محمّد صلى الله عليه و سلم **قبل البعثة على نبوّته**..... 206
المطلب الثالث: دلالة القرآن على نبوّة محمّد صلى الله عليه و سلم 210
أوّلاً : إعجاز القرآن الناس عن الإتيان بمثله..... 210
ثانيًا :إخبار القرآن الكريم بالأمور المغيّبة..... 213
الفصل الثالث آثار الإيمان في القرآن الكريم..... 218
المبحث الأوّل: الآثار الدنيوية للإيمان في القرآن الكريم 220
أوّلا : الهداية. 221

ثانيًا: الأمن..... 223
ثالثًا : الرزق والسعة..... 225
رابعًا: العزّة والنصرة..... 228
خامسًا: السعادة..... 232
المبحث الثاني: الآثار الأخروية للإيمان في القرآن الكريم..... 235
أوّلاً: النجاة من النار..... 237
- النجاة من دخول النار..... 237
- النجاة من الخلود في النار..... 241
- بعض صفات النار الواردة في القرآن كريم..... 242
ثانيا : دخول الجنة..... 249
- بعض صفات الجنة الواردة في القرآن الكريم على سبيل الإجمال..... 249
1- دلالة القرآن الكريم على أنّ الآخرة أفضل من الدنيا..... 249
2- دلالة القرآن الكريم على أنّ لأهل الجنّة جميع ما تشتهي أنفسهم..... 250
3- دلالة القرآن الكريم على سلامة الجنّة من الآفات والمصائب..... 251
4- دلالة القرآن الكريم على اتساع الجنّة وعظم ملك أهلها فيها..... 251
- بعض صفات الجنة الواردة في القرآن الكريم على التفصيل..... 252
1- صفة مساكن أهل الجنّة..... 252
2- صفة لباس أهل الجنّة وحليّهم.**.....** 253
3- صفة طعام أهل الجنّة وشرابهم..... 254
4- صفة خدم أهل الجنة**.....** 256
5- صفة أزواج أهل الجنّة..... 257
6- نظر أهل الجنّة إلى وجه الله الكريم ورضوانه سبحانه 259

عليهم.....
الخاتمة..... **262**
تراجم الأعلام..... **267**
الفهارس **282**
- فهرس الآيات القرآنية..... **283**
- فهرس الأحاديث المرفوعة..... **315**
- فهرس الآثار الموقوفة..... **320**
- فهرس المصادر والمراجع..... **324**
- فهرس الموضوعات. **340**